الكتاب : أيسر التفاسير

المؤلف : أبو بكر الجزائري

مصدر الكتاب : موقع التفاسير

http://www.altafsir.com

[الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]

الجزء الثالث

من بداية سورة الأعراف إلى نهاية سورة هود

– سورة الأعراف –

المص (1) كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2) اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (3) وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (4) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (5)

شرح الكلمات :

{ المص } : هذه أحد الحروف المقطعة ويقرأ هكذا : ألف لآم ميم صَادْ ، والله أعلم بمراده بها .

{ كتاب } : أي هذا كتاب .

{ حرج } : ضيق .

{ وذكرى } : تذكرة بها يذكرون الله وما عنده وما لديه فيقبلون على طاعته .

{ أولياء } : رؤساؤهم في الشرك .

{ وما تذكرون } : أي تتعظون فترجعون إلى الحق .

{ وكم من قرية } : أي كثيراً من القرى .

{ بأسنا بياتا } : عذابنا ليلاً وهم نائمون .

{ أو هم قائلون } : أي نائمون بالقيلولة وهم مستريحون .

{ فما كان دعواهم } : أي دعاؤهم ، إلا قولهم إنا كنا ظالمين .

معنى الآيات :

{ المص } في هذه الحروف إشارة إلى أن هذا القرآن تألف من مثل هذه الحروف المقطعة وقد عجزتم عن تأليف مثله فظهر بذلك أنه كلام الله ووحيه إلى رسوله فآمنوا به وقوله { كتاب } أي هذا كتاب { أنزل إليك } يا رسولنا { فلا يكن في صدرك حرج منه } أي ضيق منه { لتنذر به } قومك عواقب شركهم وضلالهم ، وتذكر به المؤمنين منهم ذكرى وقل لهم { اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم } من الهدى والنور ، { ولا تتبعوا من دونه } أي من غيره { أولياء } لا يأمرونكم إلا بالشرك والشر والفساد ، وهم رؤساء الضلال في قريش { قليلاً ما تذكرون } أي تتعظون فترجعون إلى الحق الذي جانبتموه { وكم من قرية أي وكثيرا من القرى أهلكنا أهلها لما جانبوا الحق ولازموا الباطل { فجاءها بأسنا } أي عذابنا الشديد . { بياتاً أو هم قائلون } أي ليلاً أو نهاراً ، فما كان دعاءهم يومئذ إلا قولهم : يا ولينا إنا كنا ظالمين فاعترفوا بذنبهم ، ولكن هيهات أن ينفعهم الاعترف بعد معاينة العذاب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- القرآن الكريم هو مصدر نذارة الرسول صلى الله عليه وسلم وبشارته بما حواه من الوعد والوعيد ، والذكرى والبشرى .

2- وجوب اتباع الوحي ، وحرمة اتباع ما يدعو إليه أصحابه الأهواء وَالمبتدعة .

3- الاعتبار بما حل بالأمم الظالمة من خراب ودمار .

4- لا تنفع التوبة عن معاينة الموت أو العذاب .

(451/1)

فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (6) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (7) وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (8) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (9) وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (10)

معنى الكلمات :

{ أرسل إليهم } : هم الأمم والأقوام .

{ فلنقصن عيلهم بعلم } : فنخبرنهم بأعمالهم متتابعين لها فلا نترك منها شيئاً .

{ وما كنا غائبين } : أي عنه أيام كانوا يعملون .

{ الوزن يومئذ الحق } : أي العدل .

{ فمن ثقلت موازينه } : أي بالحسنات فأولئك هم المفلحون بدخول الجنة .

{ خسروا أنفسهم } : بدخولهم النار والإصطلاء بها أبداً .

{ معايش } : جمع معيشة بمعنى العيش الذي يعيشه الإنسان .

{ قليلاً ما تشكرون } : أي شكراً قليلاً والشكر ذكر النعمة للمنعم وطاعته بفعل محابه وترك مكارهه .

معنى الآيات :

قوله تعالى : { فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ، فلنقصن عيلهم بعلم وما كنا غائبين } يخبر تعال أنه إذا جمع الخلائق لفصل القضاء مؤكداً الخبر بالقسم أنه يسأل كل أة أو جماعة أو فرد أرسل إليهم رسله يسألهم عن مدى إجابتهم دعوة رسله إليهم ، فهل آمنوا بما جاءتهم به الرسل ، وأطاعوهم فيما بلغوهم ، من التوحيد والعبادة الطاعة والانقياد ، كما يسأل الرسل أيضاً هل بلغوا ما ائتمنهم عليه من رسلاته المتضمنة أمر عباده بالإيمان به وتوحيده وطاعته في أمره ونهيه ، ثم يقصُّ تعالى على الجميع بعلمه كل ما كان منهم من ظاهر الأعمال وباطنها ، ولا يستطيعون إخفاء شيء أبداً ، ولم يكن سؤاله لهم أولاً ، إلا من باب إقامة الحجة وإظهار عدالته سبحانه وتعالى فيهم ، ولتوبيخ من يستحق التوبيخ منهم ، وهذا معنى قوله تعالى : { فنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين } عنهم حينما كانوا في الدنيا يعملون فكل أعمالهم كانت مكشوفة ظاهرة له تعالى ولا يخفى عليه منها شيء وهو السميع البصير .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (6) والثانية (7) أما الآيتان الثالثة الرابعة فقد أخبر تعالى أنه بعد سؤالهم وتعريفهم بأعمالهم ينصب الميزان وتوزن لهم أعمالهم فمن ثقلت موازين حسناته أفلح بالنجاة من النار ودخول الجنة دار السلام ومن خَّفت لقلة حسناته وكثرة سيئاته خسر نفسه بإلقائه في جهنم ليخلد في عذاب أبدي ، وعلل تعالى لهذا الخسران في جهنم بقوله { بما كانوا بآياتنا يظلمون } أي يكذبون ويجحدون ، وأطلق الظلم وأريد به التكذيب ولجحود لأمرين

هما :

أولاً : اكتفاء بحرف الجر الباء إذ لا تدخل على ظلم ولكن على كذب أو جحد يقال كذب به وجحد به ولا يقال ظلم به ولكن ظلمه وهذا من باب التضمين وهو سائغ في لغة العرب التي نزل بها القرآن .

وثانياً : أنهم بدل أن يؤمنوا بالآيات وهي واضحات كذبوا بها فكانوا كأنهم ظلموا الآيات ظلماً حيث لم يؤمنوا بها وهي بينات .

هذا ما دلت عليه الآيتان أما الآية الخامسة (10) فقد تضمنت امتنان الله تعالى على عباده ، وكان المفروض أن يشكروا نعمه عليهم بالإيمان به وتوحيده وطاعته ، ولكن الذي حصل هو عدم الشكر من أكثرهم قال تعالى { ولقد مكناكم في الأرض } حيث جعلهم متمكنين في الحياة عليها يتصرفون فيها ويمشون في مناكبها ، وقوله { وجعلنا لكم فيها معايش } هذه نعمة أخرى وهي أن جعل لهم فيها معايش وأرزاقاً يطلبونها فيها ويحصلون عليها وعليها قامت حياتهم ، وقوله { قليلاً ما تشكرون } أي لا تشكرون إلا شكراً يسيراً لا يكاد يذكر .

(452/1)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير عقيدة البعث والسؤال والحساب ووزن الأعمال يوم القيامة .

2- صعوبة الموقف حيث تسأل الأمم والرسل عليهم السلام كذلك .

3- الفلاح والخسران مبنيان على الكسب في الدنيا فمن كسب خيراً نجا ، ومن كسب شراً هلك .

4- وجوب شكر النعم بالإيمان والطاعة لله ورسوله .

(453/1)

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (18)

شرح الكلمات :

{ خلقناكم ثم صورناكم } : أي خلقنا أباكم آدم أي قدرناه من الطين ثم صورناه على الصورة البشرية الكريمة التي ورثها بنوه من بعده إلى نهاية الوجود الإنساني .

{ فسجدوا } : أي سجود تحية لآدم عليه السلام .
{ إبليس } : أبو الشياطين من الجن وكنيته أبو مرة ، وهو الشيطان الرجيم .
{ فاهبط منها } : أي من الجنة .
{ من الصاغرين } : جمع صاغر الذليل المهان .
{ فبما أغويتني } : أي فبسبب إضلالك لي .
{ مذموماً مدحوراً } : ممقوتاً مذموماً مطروداً .
معنى الآيات :
ما زال السياق في تعداد أنعم الله تعالى عباده تلك النعم الموجبة لشكره تعالى بالإيمان به وطاعته فقال تعالى { ولقد خلقناكم ثم صورناكم } أي خلقنا أباكم آدم من طين ثم صورناه بالصورة البشرية التي ورثها بنوه عنه ، { ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم } وفي هذا إنعام آخر وهو تكريم أبيكم آدم بأمر الملائكة بالسجود له تحية له وتعظيما { فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين } أي أبى وامتنع أن يسجد ، فسأله ربه تعالى قائلا : { ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك } أي أي شيء جعلك لا تسجد فأجاب إبليس قائلا : { أنا خير منه خلقتني من نار ، وخلقته من طين } فأنا أشرف منه فكيف أسجد له ، ولم يكن إبليس مصيباً في هذه القياس الفاسد أولاً : ليست النار أشرف من الطين بل الطين أكثر نفعاً وأقل ضرراً ، والنار كلها ضرر ، وما فيها من نفع ليس بشيء إلى جانب الضرر وثانيا : إن الذي أمره بالسجود هو الرب الذي تجب طاعته سواء كان المسجود له فاضلاً أو مفضولاً ، وهنا أمره الرب تعالى أن يهبط من الجنة فقال { اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين } أي الذليلين الحقيرين ، ولما وقع إبليس في ورطته ، وعرف سبب هلكته وهو عدم سجوده لآدم قال للرب تبارك وتعالى { انظرني } أي أمهلني لا تمتني { إلى يوم يبعثون } فأجابه الرب بقوله { إلى يوم الوقت المعلوم } وهو فناء هذه الدنيا فقط وذلك قبل البعث ، جاء هذا الجواب في سورة الحجر وهنا قال { إنك من المنظرين } ومراد إبليس في الإمهال التمكن من إفساد أكبر عدد من بني آدم انتقاماً منهم إذ كان آدم هو السبب في طرده من الرحمة ، ولا أجابه الرب إلى طلبه قال : { فبما أغويتني } أي أضللتني { لأقعدن لهم صراطك المستقيم } يريد آدم وذريته ، والمراد من الصراط الإسلام إذ هو الطريق المستقيم والموصل بالسالك له إلى رضوان الله تعالى { ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم } يريد يحيط بهم فيمنعهم سلوك الصراط المستقيم حتى لا ينجوا ويهلكوا كما هلك هو زاده الله هلاكاً ، وقوله { ول تجد أكثرهم شاكرين } هذا قول إبليس للرب تعالى ، ولا تجد أكثر أولاد آدم الذي أضللتني بسببه شاكرين لك بالإيمان والتوحيد والطاعات .
وهنا أعاد الله أمره بطرد اللعين فقال { اخرج منها } أي من الجنة { مذموماً مدحوراً } أي ممقوتاً مطروداً { لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين } أي فبعزتي لأملأن جهنم منك وممن اتبعك منهم أجمعين .
هداية الآيات
من هداية الآيات :
1- خطر الكبر على الإنسان .
2- ضرر القياس الفاسد .

3- خطر إبليس وذريته على بنى آدم ، والنجاة منهم بذكر الله تعالى وشكره .
4- الشكر هو الإيمان والطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

(454/1)

وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22)

شرح الكلمات :

{ وزوجك } : هي حواء التي خلقها الله تعالى من ضلع آدم الأيسر .

{ الجنة } : دار السلام التي دخلها رسول الله صلى الله عليه سلم ليلة الإسراء والمعراج .

{ من الظالمين } : أي لأنفسهم .

{ فوسوس } : الوسوسة : الصوت الخفي ، وسوسة الشيطان لابن آدم إلقاء معانٍ فاسدة ضارة في صدره مزينة لعتقدها أو يقول بها أو يعمل .

{ ليبدي لهما ما ووري } : ليظهر ما ستر عنهما من عوراتهما .

{ وقاسمهما } : حلف لكل واحد منهما .

{ فدلاهما بغرور } : أي أدناهما شيئاً فشيئاً بخداعه وتغريره حتى أكلا من الشجرة .

{ وطفقا يخصفان } : وجعلا يشدان عليهما من ورق الجنة ليسترا عوراتهما .

معنى الآيات :

ولما طرد الرحمن إبليس من الجنة نادى آدم قائلاً له { يا آدم اسكن أنت وزوجك } أي حواء { الجنة فكلا من حيث شئتما } يعني من ثمارها وخيراتها ، { ولا تقربا هذه الشجرة } أشار لهما إلى شجرة من أشجار الجنة معينة ، ونهاهما عن الأكل منها ، وعلمهما أنهما إذا أكلا منها كانا من الظالمين المستوجبين للعقاب ، واستغل إبليس هذه الفرصة التي أتيحت له فوسوس لهما مزيناً لهما الأكل من الشجرة قائلاً لهما { ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين } { وقاسمهما } أي حلف لهما أنه ناصح لهما وليس بغاش لهما ، { فدلاهما بغرور } وخداع حتى أكلا { فلما ذاقا الشجرة بدت . . . } أي ظهرت لهما سواءتهما حيث انحسر النور الذي كان يغطيهما ، فجعلا يشدان من ورق الجنة على أنفسهما ليستر عوراتهما ، وهو معنى قوله تعالى { وطفقا يخصفا فجعلا يشدان من ورق الجنة على أنفسهما ربهما سبحانه وتعالى قائلاً : ألم أنهكما عن هذه الشجرة وهو استفهام تأديب وتأنيب ، { وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين } فكيف قبلتما نصحه وهو عدوكما .

هداية الآيات

1- سلاح إبليس الذي يحارب به ابن آدم هو الوسوسة والتزيين لا غير .

2- تقرير عداوة الشيطان للإنسان .

3- النهي يقتضي التحريم إلا أن توجد قرينة تصرف عنه إلى الكراهة .

4- وجوب ستر العورة من الرجال والنساء سواء .

5- جواز الاقسام بالله تعالى ، ولكن لا يحلف إلا صادقاً .

(455/1)

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25)

شرح الكلمات :

{ ظلمنا أنفسنا } : أي بأكلهما من الشجرة .

{ الخاسرين } : الذين خسروا دخول الجنة والعيش فيها .

{ مستقر } : مكان استقرار وإقامة .

{ متاع إلى حين } : تمتع بالحياة إلى حين انقضاء آجالكم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن آدم عليه السلام ، أنه لما ذاق آدم وحواء الشجرة وبدت لهما سؤاتهما عاتبهما ربهما على ذلك قالا معلنين عن توبتهما : { ربنا ظلمنا أنفسنا } أي بذوق الشجرة { وإن لم تغفر لنا } أي خطيئتنا هذه { لنكونن من الخاسرين } أي الهالكين ، وتابا فتاب الله تعالى عليهما وقال لهم اهبطوا إلى الأرض إذ لم تعد الجنة في السماء داراً لهما بعد ارتكاب المعصية ، إن إبليس عصا بامتناعه عن السجود لآدم ، وآدم وحواء بأكلهما تمن الشجرة وقوله { بعضكم لبعض عدو } أي اهبطوا إلى الأرض حال كون بعضكم لبعض عدواً ، إبليس وذريته عدو لآدم وبنيه ، وآدم وبنوه عدو لإبليس وذريته ، { ولكم في الأرض مستقر } أي مقام استقرار ، { ومتاع إلى حين } أي تمتع بالحياة إلى حين انقضاء الآجال وقوله تعالى { فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون } يريد من الأرض التي أُهبطهم إليها وهي هذه الأرض التي يعيش عليها بنو آدم ، والمراد من الخروج الخروج من القبور إلى البعث والنشور .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- قول آم وحواء : { ربنا ظلمنا أنفسنا . . } الآية هو الكلمة التي ألقاها تعالى إلى آدم فتلقاها عنه فتاب عليه بها .

2- شرط التوبة الاعتراف بالذنب وذلك بالاستغفار أي طلب المغفرة .

3- شؤم الخطيئة كان سبب طرد إبليس من الرحمة ، وإخراج آدم من الجنة .

4- لا تَتِمُّ حياةٌ للإنسان على غير الأرض ، ولا يدفن بعد موته في غيرها لدلالة آية { فيها تَحْيَوْن وفيها تموتون ومنها تُخْرجون } .

(456/1)

يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (26) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (28)

شرح الكلمات :

{ وريشاً } : لباس الزينة والحاجة .

{ يواري سوءاتكم } : يستر عوراتكم .

{ لباس التقوى } : خير في حفظ العورات والأجسام والعقول والأخلاق .

{ من آيات الله } : دلائل قدرته .

{ لا يفتننكم } : أي لا يصرفنكم عن طاعة الله الموجبة لرضاه ومجاورته في الملكوت الأعلى .

{ أبويكم } : آدم وحواء .

{ قبيله } : جنوده من الجن .

{ فاحشة } : خصلة قبيحة شديدة القبح كالطواف بالبيت عراة .

معنى الآيات :

قوله تعالى { يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً } هذا النداء الكريم المقصود منه تذكير للمشركين من قريش بنعم الله وقدرته عليهم لعلهم يذكرون فيؤمنون ويسلمون بترك الشرك والمعاصي ، من نعمه عليهم أن أنزل عليهم لباساً يوارون به سوءاتهم ، { وريشاً } لباساً يتجملون به ، في أعيادهم ومناسباتهم ، ثم أخبر تعالى أن لباس التقوى خير لصاحبه من لباس الثياب ، لأن المتقي عبد ملتزم بطاعة الله ورسوله ، والله ورسوله يأمران بستر العورات ، ودفع الغائلات ، والمحافظة على الكرامات ، ويأمران بالحياء ، والعفة وحسن السمت ونظافة الجسم والثياب فأين لباس الثياب مجردة عن التقوى من هذه؟؟ .

وقوله تعالى { ذلك من آيات الله } أي من دلائل قدرته قدرته الموجبة للإيمان به وطاعته ، وقوله { لعلهم يذكرون } أي رجاء أن يذكروا هذه النعم فيشكروا بالإيمان والطاعة .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (26) وفي الآية الثانية (27) ناداهم مرة ثانية فقال { يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما } يحذرهم من إغواء الشيطان لهم مذكراً إياهم بما صنع مع أبويهما من إخراجهما من الجنة بعد نزعه لباسهما عنهما فانكشفت سوءاتهما الأمر الذي سبب إخراجهما من

دار السلام ، منبهاً لهم على خطورة العدو من حيث أنه يراهم هو وجنوده ، وهم لا يرونهم ، ثم أخبر تعالى أنه جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ، وذلك حسب سنته في خلقه ، فالشياطين يمثلون قمة الشر والخبث ، فالضين لا يؤمنون قلوبهم مظلمة لا نعدام نور الإيمان فيها فهي متهيئة لقبول الشياطين وقبول ما يوسوسون به ويوحونه من أنواع المفاسد والشرور كالشرك والمعاصي على اختلافها ، وبذلك تتم الولاية بين الشياطين والكافرين ، وكبرهان على هذا الولاء بينهم أن المشركين إذا فعلوا فاحسة خصلة ذميمة قبيحة شديدة قبيحة شديدة القبح ونهوا عنها احتجوا على فعلهم بأنهم وجدوا آباءهم يفعلونها ، وأن الله تعالى أمرهم بها وهي حجة باطلة لما يلي أولا : فعل آبائهم ليس ديناً ولا شرعاً .

ثانيا : حشا لله تعالى الحكيم العليم أن يأمر بالفواحش إنما يأمر بالفواحش الذين يأتونها بالفحشاء } ووبخهم معنفاً إياهم بقوله : { أتقولون على الله ما لا تعلمون } .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- التذكير بنعم الله تعالى المقتضي للشكر على ذلك بالإيمان والتقوى .

2- التحذير من الشيطان وفتنته لا سيما وأنه يرى الإنسان الإنسان لا يراه .

3- القلوب الكافرة هي الآثمة ، وبذلك تتم الولاية بين الشياطين والكافرين .

4- قبح الفواحش وحرمتها .

5- بطلان الاحتجاج بفعل الناس إذ لا حجة إلا في الوحي الإلهي .

6- تنزه الرب تعالى عن الرضا بالفواحش فضلاً عن الأمر بها .

(457/1)

قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29) فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (30) يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)

شرح الكلمات :

{ القسط } : العدل في القول والحكمة والعمل .

{ أقيموا وجوهكم } : أي أخلصوا العبادة لله استقبلوا بيته .

{ كما بدأكم تعودون } : كما بدأ خلقكم أول مرة يعيدكم بعد الموت أحياء .

{ أولياء من دون الله } : يوالونهم محبة ونصرة وطاعة ، من غير الله تعالى .

{ زينتكم } : أي البسوا ثيابكم عند الدخول في الصلاة .

{ ولا تسرفوا } : في أكل ولا شرب ، والإسراف مجاوزة الحد المطلوب في كل شيء .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان أخطاء مشركي قريش فقد قالوا في الآيات السابقة محتجين على فعلهم الفواحش بأنهم وجدوا آباءهم على ذلك وأن الله تعالى أمركهم بها وأكذبهم الله تعالى في ذلك وقال في هذه الآية (29) { قل } يا رسولنا { أمر ربي بالقسط } الذي هو العدل وهو الإيمان بالله ورسوله وتوحيد الله تعالى في عبادته ، وليس هو الرك بالله وفعل الفواحش ، والكذب على الله تعالى بأنه حلل كذا وهو لم يحلل ، وحرم كذا وهو لم يحرم ، وقوله تعالى : { وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد } أي وقل لهم يا رسولنا أقيموا وجوهكم عند كل مسجد أي أخصلوا لله العبادة ، واستقبلوا بيته الحرام قوله : { كما بدأكم تعودون } يذكرهم بالدار الآخرة والحياة الثانية ، فإن من آمن بالحياة بعد الموت والجزاء على كسبه خيراً أو شراً أمكنه أن يستقيم على العدل والخير طوال الحياة وقوله { فريقاً هدى ، وفريقاً حق عليهم الضلالة } بيان لعدله وحكمته ومظاهر قدرته فهو المدىء والمعيد والهادي والمضل ، له الملك المطلق الحكم الأوحد ، فكيف يعدل به أصنام وأوثان هدى فريقاً من عباده فاهتدوا ، وأضل آخرين فضلوا ولكن بسبب رغبتهم عن الهداية وموالاتهم لأهل الغواية ، { إنهم اخذوا الشياطين أولياء من دون الله } فضلوا ضلالاً بعيداً { ويحسبون } لتوغلهم في الظلام والضلال { أنهم مهتدون } .

وقوله تعالى : { يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد } أي البسوا ثيابكم عند الطواف بالبيت فلا تطوفوا عراة ، وعند الصلاة فلا تصلوا وأنتم مكشوفوا العورات كما يفعل المشركون المتخذون الشياطين أولياء فأضلتهم حتى زينت لهم الفواحش قولاً وفعلاً واعتقاداً . وقوله : { كلوا واشربوا ولا تسرفوا } أي كلوا مما أحل الله لكم واشربوا ، ولا تسرفوا بتحريم ما أحل الله ، وشرع ما لم يشرع لكم فالزموا العدل ، فإنه تعالى لا يحب المسرفين فاطلبوا حبه بالعدل ، واجتنبوا بغضه بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

من هداية الآيات :

1- وجوب العدل في القول وفي الحكم .

2- وجوب اخلاص العبادة صلاةً كانت أو دعاءً لله تعالى .

3- ثبوت القدر .

4- وجوب ستر العورة في الصلاة .

5- حرمة الإسراف في الأكل والشرب وفي كل شيء .

(458/1)

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (32) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (33) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (34)

شرح الكلمات :

من حرم زينة الله : التحريم : المنع ، والزينة : ما يتزين به من ثياب وغيرها .

{ والطيبات } : جمع طيب وهو الحلال غير المستخبث .

{ خالصة } : لا يشاركهم فيها الكفار لأنهم في النار .

{ الفواحش } : جمع فاحشة والمراد بها هنا الزنى واللواط السري كالعلني .

{ والإثم } : كل ضار قبيح من الخمر وغيرها من سائر الذنوب .

{ والبغي بغير الحق } : الظلم بغير قصاص ومعاقبة بالمثل .

{ وأن تشركوا } : أي الشرك بالله وهو عبادة غير الله تعالى .

{ السلطان } : الحجة التي تثبت بها الحقوق المختلف فيها أو المتنازع عليها .

{ أجل } : وقت محدد تنتهي إليه .

معنى الآيات :

لما حرم المشركون الطواف بالبيت بالثياب وطافوا بالبيت عراة بدعوى أنهم لا يطوفون . بثياب عصوا لله تعالى فيها ، أنكر تعالى ذلك عليهم بقوله : { قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق } كلحوم ما حرموه من السوائب ، فالاستفهام في قوله { قل من حرم زينة الله } للإنكار . ومعنى أخرجها : أنه أخرج النبات من الأرض كالقطن والكتان ومعادن الحديد لأن الدروع من الحديد ، وقوله تعالى { قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا } بالأصالة ، لأن المؤمنين علماء فيحسنون العمل والإنتاج والصناعة ، والكفار تبع لهم في ذلك لجهلهم وكسلهم وعدم بصيرتهم ، { خالصة يوم القيامة } أي هي خالصة للمؤمنين يوم القيامة لا يشاركهم فيها الكفار ولأنهم في دار الشقاء النار والعياذ بالله تعالى وقوله تعالى { كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون } أي كذها التفصيل والبيان الذي بيناه وفضلناه في هذه الآيات وما زلنا نفصل ونبين ما ننزل من آيات القرآن الكريم لقوم يعلمون أما غيرهم من أهل الجهل والضلال فإنهم لا ينتفعون بذلك لأنهم محجبون بظلمة الكفر والشرك ودخان الأهواء والشهوات والشبهات .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (32) أما الآية الثانية (33) فقد تضمنت بيان أصول المحرمات وأمهات الذنوب وهي : الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم : وهو سائر المعاصي بترك الواجب أو فعل الحرام والبغي : وهو الاستطالة على الناس والاعتداء عليهم بهضم حقوقهم وأخذ أموالهم وضرب أجسامهم بمثل ما جنى وظلم ، والشرك بالله تعالى بعبادة غيره ، والقول على الله تعالى بدون علم منه وذلك كشرع ما لم يشرع بتحريم ما لم يحرم ، وإيجاب ما لم يوجب .

هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الثالثة والأخيرة في هذا السياق (34) فقد أخبر تعالى فيها أن لكل أمة أجلاً محدداً أي وقتاً معيناً هلاكها فيه لا تتقدمه بساعة ولا تتأخر عنه بأخرى . وفي هذا إشارة أفصح من عبارة وهي أن هلاك الأمم والجماعات والأفراد يتم بسبب انحرافهم عن منهج الحياة ، كالمرء يهلك بشرب السم ، وبإلقاء نفسه من شاهق ، أوة إشعال النار في جسمه كذلك ارتكاب أمهات الذنوب وأصول المفاسد التي ذكر تعالى في قوله { قل إنما حرم ربي الفواحش . . .

. . } من شأنها أن تودى بحياة مرتكبيها لا محالة ما لم يتوبوا منها وتصلح حالهم بالعودة إلى منهج الحياة الذي وضع الله في الإِيمان والتوحيد والطاعة لله ورسوله بفعل كل أمر وترك كل نهي .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- الإِنكار الشديد على من يحرم ما أحل الله من الطيبات كبعض المتنطعين .

2- المستلذات من الطعام والشراب والمزينات من الثياب وغيرها المؤمنون أولى بها من غيرهم لأنهم يحسنون العمل ، ويبذلون الجهد لاستخراجها والانتفاع بها . بخلاف أهل الجهالات فإنهم عمي لا يبصرون ومقعدون لا يتحركون . وإن قيل العكس هو الصحيح فإن أمم الكفر وأوربا وأمريكا هي التي تقدمت صناعياً وتمتعت بما لم يتمتع به المؤمنون؟ فالجواب : أن المؤمنين وعقائدهم ، فعوقوهم عن العمل مكراً بهم وخداعاً لهم . والدليل أن المؤمنين لما كانوا كاملين في إيمانهم كانوا أرقى الأمم وأكملها حضارة وطهارة وقوة وإنتاجاً مع أن الآية تقول { . . . لقوم يعلمون } فإذا حل الجهل محل العلم فلا انتاج ولا اختراع ولا حضارة .

2- بيان أصول المفاسد وهي الفواحش وما ذكر بعدها إلى { . . . . وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون } .

3- ذكرت هذه المفاسد بطريقة التدلي آخرها أخطرها وهكذا أخفها أولها .

4- أجل الأمم كأجل الأفراد يتم الهلاك عند انتظام المرض كامل الأمة أو أكثر أفرادها كما يهلك الفرد عندما يستشري المرض في كامل جسمه .

(460/1)

يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (35) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (36)

شرح الكلمات :

{ إما يأتينكم } : أصل إما إن -الشرطية- وما زائدة لتقوية الكلام أدغمت فيها (إن) فصارت إما .

{ يقصون عليكم آياتي } : يتلونها عليكم آية بعد آية مبينين لكم ما دلت عليه من أحكام الله وشرائعه ، ووعده ووعيده .

{ فمن اتقى } : أي الشرك فلم يشرك وأصلح نفسه بالأعمال الصالحة .

{ فلا خوف عليهم } : في الدنيا والآخرة .

{ ولا هم يحزنون } : على ما تركوا وراءهم أو فاتهم الحصول عليه من أمور الدنيا .

معنى الآيتين :

هذا النداء جائز أن يكون نداءً عاماً لكل بني آدم كما هو ظاهر اللفظ وأن البشرية كلها نوديت به على ألسنة رسلها ،

وجائز أن يكون خاصاً بمشركي العرب وأن يكون المراد من الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ذكر بصيغة الجمع تعظيماً وتكريماً له ، وما نوديت إليه ربه وهي تحمل العلم بالله وصفاته وبيان محابه ومساخطه ، فمن اتقى الله فترك الشرك به ، وأصلح ما أفسده قبل العلم من نفسه وخلقه وعقله وذلك بالإيمان والعمل الصالح فهؤلاء في حكم الله أنه { لا خوف عليهم ولا هم يحزنون } في الحياتين معاً ، أما الذين كذبوا بآيات الله التي جاءت الرسل بها وقصتها عليهم واستكبروا عن العمل به كما استكبروا عن الإيمان بها ، فأولئك البعداء من كل خير { أصحاب النار } أي أهلها { هم فيها خالدون } لا يخرجون منها بحال من الأحوال .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- قطع حجة بني آدم بإرسال الرسل إليهم .

2- أول ما يبدأ به في باب التقوى الشرك بأن يتخلى عنه الإنسان المؤمن أولاً .

3- الإصلاح يكون بالأعمال الصالحة التي شرعها الله مزكية للنفوس مطهرة لها .

4- التكذيب كالاستكبار كلاهما مانع من التقوى والعمل الصالح . ولذا أصحابهما هم أصحاب النار .

(461/1)

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (37) قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (38) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (39) إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (40) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (41)

شرح الكلمات :

{ فمن أظلم } : الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، ولذا المشرك ظالم لأنه وضع العبادة في غير موضعها حيث عبد بها من لا يستحقها .

{ نصيبهم } : ما قدر لهم في كتاب المقادير .

{ رسلنا } : المراد بهم ملك الموت وأعوانه .

{ قالوا ضلوا عنا } : غابوا عنا فلم نرهم ولم نجدهم .

{ في أمم } : أي في جملة أمم .

{ اداركوا } : أي تداركوا ولحق بعضهم بعضا حتى دخلوها كلهم .

{ اخراهم لأولاهم } : الاتباع قالوا للرؤساء في الضلالة وهم المتبوعون .

{ تكسبون } : من الظلم والشر والفساد .

{ يلج الجمل في سم الخياط } : أي يدخل الجمل في ثقب الإبرة .

{ المجرمين } : الذين أجرموا على أنفسهم فافسدوها بالشرك والمعاصي .

{ مهاد } : فراش يمتهدونه من النار .

{ غواش } : أغطية يتغطون بها من النار كذلك .

معنى الآيات :

يُخبر تعالى بأنه لا أظلم ولا أجهل ولا أضل ممن يفترى على الله الكذب فيقول اتخذ ولداً أو أمر بالفواحش ، أو حرم كذا وهو لم يحرم ، أو كذب بآياته التي جاءت بها رسله فجحدها وعاند في ذلك وكابر ، فهؤلاء المفترون المكذبون يخبر تعالى أنه { ينالهم نصيبهم من الكتاب } أي ما كُتب لهم في اللوح المحفوظ منخير وشر وسعادة أو شقاء { حتى إذا جاءتهم رسلنا } أي ملك الموت وأعوانه { يتوفونهم } . يقولون لهم { اين ما كنتم تدعون من دون الله } اي تعبدون من أولياء؟ فيجيبون قائلين : { ضلوا عنا } أي غابوا فلم نرهم . قال تعالى : { وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين } ويوم القيامة يقال لهم { ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس } في النار ، فيدخلون . { كلما دخلت أمة لعنت أختها } فلعن المشركون بعضهم بعضاً . واليهود والنصارى كذلك ، { حتى إذا اداركوا فيها جميعاً } أي تلاحقوا وتم دخولهم النار أخذوا يشتكون { قالت اخراهم لأولاهم ربنا } أي يا ربنا { هؤلاء أضلونا } عن صراطك فلم نعبدك { فآتهم عذاباً ضعفاً } أي مضاعفاً { من النار } ، فأجابهم الله تعالى بقوله { لكل ضعف } لكل واحدة منكم ضعف من العذاب { ولكن لا تعلمون } ، إذ الدار دار عذاب فهو يتضاعف على كل من فيها ، وحينئذ { قالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل ، فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون } أي من الشرك والافتراء على الله والتكذيب بآياته ، ومجانبة طاعته وطاعة رسوله .

هذا ما دلت عيه الآيات الثلاث أما الآيتان الرابعة والخامسة فإن الرابعة قررت حكماً عظيما وهو أن الذين كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها فلم يؤمنوا ولم يعملوا الصالحات وعاشوا على الشرك والشر والفساد هؤلاء إذا مات أحدهم وعرجت الملائكة بروحه إلى السماء لا تفتح له أبواب السماء ، ويكون مآلهم النار كما قال تعالى { ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط } فعلق دخولهم الجنة على مستحيل وهو دخول الجمل في ثقب الإبرة ، والمعلق على مستحيل مستحيل .

قال تعالى { وكذلك نجزي المجرمين } على أنفسهم حيث أفسدوها بالشرك والمعاصي . هذا ما تضمنته الآية الرابعة ، وهي قوله تعالى : { إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين } .

أما الخامسة فقد تضمنت الخبر التالي : { لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش } أي أغطية من النار وكما جزى تعالى

هؤلاء المكذبين المستكبرين والمجرمين يجزي بعدله الظالمين لأنفسهم حيث لوثوها وخبثوها بأوضار الذنوب والآثام .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- شر الظلم ما كان كذبا على الله وتكذيبا بشرائعه .

2- تقرير فتنة القبر وعذابه .

3- لعن أهل النار بعضهم بعضاً حنقاً على بعضهم بعضاً إذ كان كل واحد سبباً في عذاب الآخر .

4- بيان جزاء المكذبين بآيات الله والمستكبرين عنها وهو الحرمان من دخول الجنة ، وكذلك المجرمون الظالمون .

(463/1)

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (42) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43)

شرح الكلمات :

{ إلا وسعها } : طاقتها وما تتحمله وتقدر عليه من العمل .

{ ونزعنا } : أي أقلعنا وأخرجنا .

{ من غل } : أي من حقد وعداوة .

{ هدانا لهذا } : أي للعمل الصالح في الدنيا الذي هذا جزاؤه وهو الجنة .

{ بما كنتم تعملون } : أي بسبب أعمالكم الصالحة من صلاة وصيام وصدقات وجهاد .

معنى الآيتين :

لما ذكر تعالى جزاء أهل التكذيب والاستكبار عن الإيمان والعمل الصالح وكان شقاء وحرماناً ذكر جزاء أهل الإيمان والعمل الصالح فقال : { والذين آمنوا وعملوا الصالحات } ، ولما كان العمل منه الشاق الذي لا يطاق ومنه السهل الذي يقدر عليه قال : { لا نكلف نفساً إلا وسعها } أي ما تقدر عليه من العلم ويكون في استطاعتهما ، ثم أخبر عن المؤمنين العامين للصالحات فقال { أولئك أصحاب الجنة فيها خالدون } . كما أخبر في الآية الثانية أنه طهرهم باطناً فنزع ما في صدورهم من غل على بعضهم بعضاً ، وأن الأنهار تجري من تحت قصورهم ، وأنهم قالوا شاكرين نعم الله عليهم : { الحمد لله الذي هدانا لهذا } أي لعمل صالح هذا جزاؤه أي الجنة وما فيها من نعيم مقيم ، وقرروا حقيقة وهي أن هدايتهم التي كان جزاؤها الجنة لم يكونوا ليحصلوا عليها لولا أن الله تعالى هو الذي هداهم فقالوا : { وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله } ، ثم قالوا والله { لقد جاءت رسل ربنا بالحق } فهاهم أهل الكفر والمعاصي في النار ، وها نحن أهل الإيمان والطاعات في نعيم الجنة فصدقت الرسل فيما أخبرت به من وعد ووعيد ، وناداهم ربهم سبحانه وتعالى هو الذي هداهم فقالوا : { وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله } ، ثم قالوا والله { لقد جاءت رسل ربنا بالحق }

فهاهم أهل الكفر والمعاصي في النار ، وها نحن أهل الإيمان والطاعات في نعيم الجنة فصدقت الرسل فيما أخبرت به من وعد ووعيد ، وناداهم ربهم سبحانه وتعالى : { أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون } فيزاد بذلك نعيمهم وتعظم سعادتهم .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

1- الإيمان والعمل الصالح موجبان لدخول الجنة مقتض للكرامة في الدارين .

2- لا مشقة لا تحتمل في الدين الصحيح الذي جاءت به الرسل إلا ما كان عقوبة .

3- لا عداوة ولا حسد في الجنة .

4- الهداية هبة من الله فلا تطلب إلا منه ، ولا يحصل عليها إلا بطلبها منه تعالى .

5- صدقت الرسل فيما أَخْبَرَتْ به من شأن الغيب وغيره .

(464/1)

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (44) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (45) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (46) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (47)

شرح الكلمات :

{ فأذن مؤذن } : أي أعلن بأعلى صوته أن لعنة اتلله على الظالمين .

{ لعنة الله } : أي أمره بطرد الظالمين من الرحمة إلى العذاب .

{ يصدون عن سبيل الله } : سبيل الله الإسلا والصد : الصرف فهم صرفوا أنفسهم وصرفوا غيرهم .

{ ويبغونها عوجا } : يطلبون الشريعة أن تميل مع ميولهم وشهواتهم فتخدم أغراضهم .

{ وبينهما حجاب } : أي بين أهل الجنة وأهل النار حاجز فاصل وهو سور الأعراف .

{ وعلى الأعراف } : سور بين الجنة والنار قال تعالى من سورة الحديد { فضرب بينهم بسور } .

{ يعرفون كلا بسيماهم } : أي كل من أهل الجنة أهل الجنة بعلاماتهم .

{ صرفت أبصارهم } : أي نظروا إلى الجنة التي فيها أصحاب النار .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن أصحاب الجنة وأصحاب النار فيخبر تعال أن أصحاب الجنة نادوا أصحاب النار قائلين لهم إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا به من الجنة ونعيمها حقاً ، فهل وجدتم أنتم ما وعدكم ربكم من النار وعذابها حقاً؟

فأجابوهم : نعم إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، وهنا أذن مؤذن قائلاً : لعنة الله على الظالمين الذي يصدون عن سبيل الله التي هي الإسلام الموصل إلى رضا الله تعالى والجنة ، ويبغونها عوجاً أي يريدون سبيل الله معوجة تدور معهم حيث داروا في شرورهم ومفاسدهم ، وشهواتهم وأهوائهم ، وهم بالآخرة كافرون أيضاً فهؤلاء يلعنونهم : لعنة الله على الظالمين الذين تلك صفاتهم قال تعالى في الآية الثالثة : { وبينهما } أي بين أهل الجنة وأهل النار { حجاب } فاصل أي حاجز وهو مكان على مرتفع ، وعليه رجال من بنى آدم استوت سيئاتهم وحسناتهم فحبسوا هناك حتى يقضي بين أهل الموقف فيحكم فيهم بدخلوهم الجنة إن شاء الله تعالى .

وقوله : { يعرفون كلاً بسيماهم } أي يعرفون أهل الجنة بسيماهم وهي بياض الوجوه ونضرة النعيم ، ويعرفون أهل النار بسواد الوجوه وزرقة العيون .

{ ونادوا أصحاب الجنة } أي نادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنة قائلين : سلام عليكم يتطمعون بذلك كما قال تعالى { لم يدخلوها وهم يطمعون . وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار } أي نظروا إلى جهة أهل النار فرأوا أهلهات مسودة وجوههم زرق أعينهم يكتنفهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، رفعوا أصواتهم قائلين : { ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين } أي أهل النار لأنهم دخلوها بظلمهم العياذ بالله .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- وجود اتصال كامل بين أهل الجنة وأهل النار متى أراد أحدهم ذلك بحيث إذا أراد من في الجنة أن ينظر إلى من في النار ويخاطبه تم له ذلك .

2- يجوز إطلاق لفظ الوعد على الوعيد للمشاكلة أو التهكم كما في هذه الآيات .

3- التنديد بالصد عن سبيل الل ، والظلم والكفر بالآخرة وهي أسباب الشقاء في الدار الآخرة .

4- تقرير مبدأ ثقل الحسنات ينجي وخفتها تردي ، ومن استوت حسناته وسيئاته ينجو آخر من ينجو من دخول النار .

5- مشروعية الطمع إذا كان مقتضاه موجوداً .

(465/1)

وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (48) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (49) وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (50) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (51)

شرح الكلمات :

بسيماهم : السيما العلامة الدالة على من هي فيه .

{ جمعكم } : أي للمال وللرجال كالجيوش .

{ أهؤلاء } : إشارة إلى ضعفاء المسلمين وهم في الجنة .

{ أو مما رزقكم الله } : أي من الطعام والشراب .

{ حرمهما } : منعهما .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن أصحابه الجنة وأصحاب النار قال تعالى : { ونادى أصحاب الأعراف رجالا } أي من أهل النار يعرفونهم بسيماهم التي هي سيما أصحاب النار من سواد الوجوه وزرقة العيون نادوهم قائلين : { ما أغنى عنكم جمعكم } أي للأموال والرجال للحروب والقتال ، كما لم يغن عنكم استكباركم على الحق وترفعكم عن قبوله وها أنتم في أشد ألوان العذاب ، ثم يشيرونلهم إلى ضعفة المسلمين الذين يسخرون منهم في النيا ويضربونهم ويهينونهم { أهؤلاء الذين أقسمتم } أي حلفتم { لا ينالهم الله برحمة } ثم يقال لأصحاب الأعراف { ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون } .

وفي الآية الثالثة يقول تعالى مخبراً عن أصحاب النار وأصحاب الجنة { ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء } وذلك لشدة عطشهم { أو مما رزقكم الله } أي من الطعام وذلك لشدة جوعهم فيقال لهم : { إن الله حرمهما } أي شراب الجنة وطعامها { على الكافرين } فلا ينالوهما بحال من الأحوال .

ثم وصف الكافرين ليعرض جرائمهم التي اقتضت حرمانهم وعذابهم ليكون ذلك عظة وعبرة للكفار من قريش ومن سائر الناس فقال وهو ما تضمنته الآية الرابعة { الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون } أي نتركهم في عذابهم كما تركوا يومهم هذا فلم يعملوا له من الإيمان والصالحات ، وبسبب جحودهم لآياتنا الداعية إلى الإيمان وصالح الأعمال .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- عدم إغناء المال والرجال أيَّ إغناء لمن مات كافراً مشركاً من أهل الظلم والفساد .

2- بشرى الضعفة من المسلمين بدخول الجنة وسعادتهم فيها .

3- تحريم اتخاذ شيء من الدين لهواً ولعباً .

4- التحذير من الاغترار بالدنيا حتى ينسى العبد آخرته فلم يعد لها ما ينفعه فيها من الإيمان وصالح الأعمال .

(466/1)

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (53) إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54)

شرح الكلمات :

{ ولقد جئناهم } : أي أهل مكة أولاً ثم سائر الناس .

{ بكتاب } : القرآن العظيم .

{ فصلناه على علم } : بيناه على علم منَّا فبيّنا حلاله وحرامه ووعده ووعيده وقصصه ومواعظه .

{ تأويله } : تأويل ما جاء في الكتاب من وعد ووعيد أي عاقبة ما أنذروا به .

{ وضل عنهم } : أي ذهب ولم يعثروا عليه .

{ في ستة أيام } : يغطي كل واحد منهما الآخر عند مجيئه .

{ حثيثاً } : سريعاً بلا انقطاع .

{ مسخرات } : مذللات .

{ ألا } : أداة استفتاح وتنبيه (بمنزلة ألو للهاتف) .

{ له الخلق والأمر } : أي له المخلوقات والتصرف فيها وحده لا شريك له .

{ تبارك } : أي عظمت قدرته ، وجلت عن الحصر خيراته وبركاته .

{ العالمين } : كل ما سوى الله تعالى فهو عالم أي علامة على خالقه وإلهه الحق .

معنى الآيات :

بعد ذلك العرض لأحوال الناس يوم القيام ومشاهد النعيم والجحيم أخبر تعالى أنه جاء قريشاً لأجل هدايتهم بكتاب عظيم هو القرآن الكريم وفصّله تفصيلاً فبينّ التوحيد ودلائله ، والشرك وعوامله ، والطاعة وآثارها الحسنة والمعصية وآثارها السيئة في الحال والمآل وجعل الكتاب هدى أي هادياً ورحمة يهتدي به المؤمنون وبه يرحمون . هذا ما تضمنته الآية الأولى (52) وهي قوله تعالى : { ولقد جئناهم بكتاب فصَّلناه على علم هدىً ورحمةً لقوم يؤمنون } وأما الآية الثانية (53) فقد استبطأ الحق تعالى فيها إيمان أهل مكة الذين جاءهم بالكتاب المفصّل المبيَّن فقال : { هي يَنْظُرون } أي ما ينظرون { إلاّ تأويله } أي عاقبة ما أخبر به القرآن من القيامة وأهوالها ، والنّار وعذابها ، وعندئذ يؤمنون ، وهل ينفع يومئذ الإيمان؟ وها هم أولاء يقولون { يوم يأتي تأويله } وينكشف الغطاء عما وعد به ، { يقول الذين نسوه من قبل } أي قبل وقوعه ، وذلك في الحياة الدنيا ، نسوه فلم يعملوا بما ينجيهم فيه من العذاب يقولون : { قد جاءت رسل ربنا بالحق } اعرفوا بما كانوا به يجحدون ويكذبون ثم يتمنون ما لا يتحقَق لهم أبداً فيقولون : { فهل ن من شفعاء فيشفعوا لنا؟ أو نردُّ } إلى الدنيا { فنعمل غير الذي كنا نعمل } من الشرك والشر والفساد . وتذهب تمنايتهم أدراج الرياح ، ولم يُرعْهُمْ إلا الإعلان التالي { قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون } خسرا أنفسهم في جهنم ، وضاع منهم كلَّ أمل وغاب عنهم ما كانوا يفترون من أنَّ آلهتهم وأولياءهم يشفعون لهم فينجونهم من النار ويخلونهم الجنة .

وفي الآية الأخيرة يقول تعالى لأولئك المتباطئين في إيمانهم { إنّ ربَّكم } الذي يُحبُّ ان تعبدوه وتدعوه وتتقربوا إليه وتطيعوه { اللُّه الذي خلق السمواتِ والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يُغْشِي اللّيْلَ النهَّار يطلبه حثيثاً والشمس القمرَ والنجّومَ مسخراتٍ بأمره } هذا هو ربكم الحق وإلهكم الذي لا إله لكم غيره ، ولا ربَّ لكم سواه ، أمّا الأصنام والأوثان فلن تكون ربّاً ولا إلهاً لأحد أبداً لأنّها مخلوقة غير خالقة وعاجزة عن نفع نفسها .

ودفع الضّر عنها فكيف بغيرها؟ إنّ ربَّكم ومعبودكم الحقّ الذي له الخلق كلّه ملكاً وتصرفاً وله الأمر وحده يتصرف كيف يشاء في الملكوت كله . علويّه وسفليّه فتبارك الله رب العالمين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- لا ينفع الإيمان عند معاينة الموت والعذاب كما لا ينفع يوم القيامة .

2- يحسن التثبت في الأمر والتأني عند العمل وترك العجلة ، فالله قادرٌ على خلق السمَّوات والأرض في ساعة ولكن خلقها في ستة أيام بمقدار أيام الدّنيا تعليماً وإرشاداً إلى التثبت في الأمور والتأني فيها .

3- صفة من صفات الرب تعالى التي يجب الإيمان بها ويحرم تأويلها أو تكييفها وهي اسواؤه تعالى على عرشه .

4- انحاصر الخلق كلّ الخلق فيه تعالى فلا خالق إلا هو ، والأمر كذلك فلا آمر ولا ناهي غيره . هنا قال عمر : من بقي له شيء فليطلبه إذ لم يبق شيء ما دام الخلق والأمر كلاهما لله .

ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (56)

شرح الكلمات :

{ ادعوا ربكم } : سلوه حوائجكم والأخروية فإنّه ربّكم فلا تستحيوا من سؤاله .

{ تضرعاً وخفية } : أي حال كونكم ضارعين متذللين مخفي الدعاء غير رافعين أصواتكم به .

{ المعتدين } : أي في الدعاء وغيره والاعتداء في الدعاء أن يسأل الله ما لم تجر سنته بإعطائه أو إيجاده أو تغييره كأن يسأل أن يكون نبياً أو أن يرد طفلاً أو صغيراً ، أو يرفع صوته بالدعاء .

{ ولا تفسدوا في الأرض } : أي بالشرك والمعاصي بعد إصلاحها بالتوحيد والطاعات .

{ المحسنين } : الذين يحسنون أعمالهم ونياتهم ، بمراقبتهم الله تعالى في كل أحوالهم .

معنى الآيات :

لما عرّف تعالى عباده بنفسه وأنه ربهم الحق وإلههم ، وأنه الخالق الآمر المتصرف بيده كل شيء أمرهم إرشاداً لهم أن يدعوه ، وبين لهم الحال التي يدعونه عليها ، ليستجيب لهم فقال : { ادعوا ربكم تضرعاً } أي تذللاً وخشوعاً { وخفية } أي سراً جهراً ، ونهاهم عن الاعتداء في الدعاء حيث أعلمهم أنه لا يحب المعتدين ، والاعتداء في الدعاء أن يُدْعَى غير الله تعالى أو يدعى معه غيره ، ومنه طلب ذوات الأسباب بدون إعداد أسبابها ، أو سؤال ما لم تجر سنة الله به

كسؤال المرء أن يكون نبياً أو يرد من كهولته إلى شبابه أو من شبابه إلى طفولته .

ثم بعد هذا الإرشاد والتوجيه إلى ما يكملهم ويسعدهم نهاهم عن الفساد في الأرض بعد أن أصلحها تعالى والفساد في الأرض يكون بالشرك والمعاصي ، والمعاصي تشمل سائر المحرمات كقبل الناس وغصب أموالهم وإفساد زروعهم وإفساد عقولهم بالسحر والمخدرات وأعراضهم بالزنى والموبقات . ومرة أخرى يحضهم على دعائه لأن الدعاء هو العبادة وفي الحديث الصحيح « الدعاء هو العبادة » فقال : ادعوا ربكم أي سلوه حاجتكم حال كونكم في دعائكم خائفين من عقابه طامعين راجين رحمتة وبين لهم أن رحمته قريب من المحسنين الذين يحسنون نيّاتهم وأعمالهم ومن ذلك الدعاء فمن أحسن الدعاء ظفر بالإجابة ، فثواب المحسنين قريب الحصول بخلاف المسيئين فإنه لا يستجاب لهم .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- وجوب دعاء الله تعالى فإن الدعاء هو العبادة .

2- تبيان آداب الدعاء وهو : أن يكون الداعي ضارعاً متذللاً ، وأن يخفي دعاءه فلا يجهر به ، وأن يكون حال الدعاء خائفاً طامعاً ، وأن لا يعتدي في الدعاء بدعاء غير الله تعالى أو سؤال ما لم يتجر سنة الله بإعطائه .

3- حرمة الإفساد في الأرض بالشرك والمعاصي بعد أن أصلحها الله تعالى بالإسلام .

4- الترغيب في الإحسان مطلقاً خاصاً وعاماً حيث أن الله تعالى يحب أهله .

(469/1)

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (57) وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (58)

شرح الكلمات :

{ الرياح } : جمع ريح وهو الهواء المتحرك .

{ بُشْراً } : جمع بشير أي مبشرات بقرب نزول نزل المطر ، قرىء نشراً أي تنشر السحاب للأمطار .

{ رحمته } : أي رحمة الله تعالى وهي المطر .

{ أقلت سحاباً ثقالاً } : أي حملت سحاباً ثقالاً مسبعاً ببخار الماء .

{ ميت } : لا نبات به ولا عشب ولا كلأ .

{ كذلك نخر الموتى } : أي كذلك نحيي الموتى ونخرجهم من قبورهم أحياء .

{ تذكرون } : تذكرون فتؤمنون بالبعث والجزاء .

{ الطيب } : أي الطيب التربة .

{ خبث } : أي خبثت تربته بأن كانت سبخة .

{ إلا نَكِداً } : أي إلا عسراً .

{ تصرف الآيات } : أي ننوعها ونخالف بين أساليبها ونذكر في بعضها ما لم نذكره في بعضها للهداية والتعليم .

{ لقوم يشكرون } : لأنهم هم الذين نتفعون بالنعم بشكرها بصرفها في محاب الله تعالى .

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم في بيان مظاهر القدرة الربانية والرحمة الإلهية الموجبة لعبادته تعالى وحده دون سواه قال تعالى { وهو القدرة الربانية والرحمة الإلهية الموجبة لعبادته تعالى إله إلا هو وبشراً أي مبشرات ونشراً أي تنشر الرياح تحمل السحب الثقال ليسقي الأرض الميتة فتحيا بالزروع والنباتات لتأكلوا وترعوا أنعامكم ، وبمثل هذا التدبير في إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها يحييكم بعد موتكم فيخرجكم من قبوركم أياء ليحاسبكم على كسبكم في هذه الدار ويجزيكم به الخير بالخير ولاشر بمثله جزاء عادلاً لا ظلم فيه وهذا الفعل الدال علىلقدرة والرحمة ولطف التدبير يُريكموه فترونه بأبصاركم لعلكم به تذكرون أن القادر على إحياء موات الأرض قادر على إحياء موات الأجسام فتؤمنوا بلقاء ربكم وتوقنوا به فتعملوا بمقتضى ما يسعدكم ولا يشقيكم فيه .

هذا ما تضمنته الآية الأولى (57) { وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته } أي المطر { حتى إذا أقلَّت } أي حملت { سحاباً ثقالاً } أي ببخار الماء { سقناه } بقدرتنا ولطف تدبيرنا { لبلد ميت } لا يحاة به لا نبات ولا زرع ، ولا عشب { فأنزلنا به } أي بالسحاب { الماء } العذب الفرات ، { فأخرجنا به من كل الثمرات } المختلفة الألوان والروائح والطعوم { كذلك نخرج الموتى } كهذا الإخراج للنبات من الأرض الميتة نخرج الموتى من قبورهم وعملنا هذا نسمعكم إياه ونريكموه بأبصاركم رجاء أن تذكروا فتذكروا أن القادر على إحياء الأرض قادر على إحياء الموتى رحمة منا بكم وإحساناً منا إليكم .

أما الآية الثانية (58) فقد تضمنت مثلاً ضربه الله تعالى للعبد المؤمن والكافر إثر بيان قدرته على إحياء الناس بعد موتهم فقال تعالى : { والبلد الطيب } أي طيب التربة { يخرج نباته بإذن ربه } وذلك بعد إنزال المطر به ، وهذ مثل العبد المؤمن ذي القلب الحي الطيب إذا سمع ما ينزل من الآيات يزداد إيمانه وتكثر أعماله الصالحة { والذي خبث } أي والبلد الذي تربته خبيثة سبخة أو حمأة عندما ينزل به المطر لا يخرج نباته إلا نكداً عسراً قليلاً غير صالح وهذا مثل الكافر عندما يسمع الآيات القرآنيةلا يقبل عليها ولا ينتفع بها في خُلقه ولا سلوكه فلا يعمل خيراًولا يترك شراً .

(470/1)

وقوله تعالى : { كذلك نصرف الآيات } أي ببيان مظاهر قدرته تعالى وعلمه وحكمته ورمته وضر الأمثال وسوق الشواهد والعبر { لقوم يشكرون } إذ هم المنتفعون بها أما الكافرون الجاحدون فأنى لهم الإنتفاع بها وهم لا يعرفون الخير ولا ينكرون الشر .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- تقرير عقيدة البعث والحياة بعد الموت للحساب والجزاء إذ هي من أهم أركان الإيمان .

2- الإستدلال بالحاضر على الغائب وهو من العلوم النافعة .

3- حسن ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان .

4- فضيلة الشكر وهو صرف النعمة فيما من أجله وهبها الله تعالى للعبد .

(471/1)

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (60) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (61) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (62) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (63) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (64)

شرح الكلمات :

{ نوحاً } : هذا أول الرسل هذا العبد الشكور هونوح بن لَمْك بن متوشلخ بن أخنوخ أي أدريس عليهما السلام ، أحد أولى العزم الخمسة من الرسل عاش داعياً وهادياً ومعلماً ألفاً ومائتين وأربعين سنة ، ومدة الدعوة ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وما بعدها عاشها هادياً ومعلماً للمؤمنين .

{ هذا يوم عظيم } : هو عذاب يوم القيامة .

{ الملأ } : أشراف القوم ورؤساؤهم الذين يملأون العين والمجلس .

{ وأنصح لكم } : أريد لكم الخير لا غير .

{ أوَعجبتم } : الاستفهام للإنكار ، وعجبتم الواو عاطفة والمعطوف عليه جملة هي كذبتم أي أكذبتم وعجبتم .

{ لينذركم } : أي العذاب المترتب على الكفر والمعاصي .

{ ولتتقوا } : أي الله تعالى بالإيمان به وتوحيده وطاعته فترحمون فلا تعذبون .

{ والذين معه في الفلك } : هم المؤمنون من قومه والفلك هي السفينة التي صنعها بأمر الله تعالى وعونه .

{ عمين } : جمع عمٍ وهو أعمى البصيرة أما أعمى العينين يقال فيه أعمى .

معنى الآيات :

هذا شروع في ذكر قصص ستة من الرسل وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام والمراد من ذكر هذا القصص هوتنويع أسلوب الدعوة ليشاهد المدعون من كفار قريش صوراً ناطقة ومشاهد حية لأمم سبقت وكيف كانت بدايتها وبم ختمت نهايتها ، وهي لا تختلف إلا يسيراً عما هم يعيشونه من أحداث الدعوة الصراع الدائر بينهم وبين نبيهم لعلهم يتعظون ، ومع هذا فالقصص يقرر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إذ لو لم يكن رسولاً يوحى إليه لما أتى أن يقص من أخبار الماضين ما بهر العقول كما أن المؤمنين مع نبيهم يكتسبون من العبر ما يحملهم على الثبات

والصبر ، ويجنبهم القنوط واليأس من حسن العافية والظفر والنصر .
وهذا أول قصص يقوله تعالى فيه { ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه } أي وعزتنا لقد أرسلنا نوحا إلى قومه كما أرسلناك أنت يا رسولنا إلى قومك من العرب والعجم ، فقال : أي نوح في دعوته : { يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره } أي ليس لكم على الحقيقة إله غيره ، إذ الإله الحق من يخلق يرزق ويدبر فيحيي ويميت ويعطي ويمنع ، ويضر وينفع ، ويسمع ويبصر فأين هذا من آلهة نحتموها بأيديكم ، ووضعتموها في بيوتكم عمياء لا تبصر صماء لا تسمع بكماء لا تنطق فكيف يصح أن يطلق عليها اسم الإله وتعبد { إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم } أنذرهم عذاب يوم القيامة إن هم أصروا على الشرك والعصيان فأجابه الملأ منهم وهم أهل الحل والعقد في البلاد قائلين : { إن النراك في ضلال مبين } بسبب موقفك العدائي هذا لآلهتنا ، ولعبادتنا إياها فأجاب عليه السلام قائلاً { يا قوم ليس بي ضلالة } مجرد ضلالة فكيف بالضلال كله كما تقولون ، { ولكني رسول من رب العالمين } أي إليكم { أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم } أي بما هو خير لكم في حالكم ومآلكم ، واعلموا أني { وأعلم من الله ما لا تعلمون } فأنا على علم بما عليه ربي من عظمة وسلطان ، وجلال ، وجمال ، وما عنده من رحمة وإحسان ، وما لديه من نكال وعذاب ، وأنتم لا تعلمون فاتقوا الله إذاً وأطيعوني يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى آجالكم ، ولا يعجل بفنائكم وواصل حديثه معهم وقد دام ألف سنة إلا خمسين عاماً قائلاً : أكذبتم بما دعوتكم إليه وجئتكم به وعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ، ولتتقوا الله بتوحيده وعبادته وطاعته رجاء أن ترحموا فلا تعذبوا أمن هذا يتعجب العقلاء؟ وكانت نتيجة لهذه الدعوة المباركة الخيّرة أن كذبوه فأنجاه ربه والمؤمنين معه ، وأغرق الظالمين المكذبين ، لأنهم كانوا قوماً عمين فلا يستحقون البقاء والنجاة قال تعالى { فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك ، وأغرقنا الذينكذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين } لا يبصرون الآية ولا يرون النذر والشواهد .

(472/1)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كنبوة نوح عليه السلام .

2- تقرير وتأكيد التوحيد ، وبيان معنى لا إله إلا الله .

3- التحذير من عذاب يوم القيامة بالتذكير به .

4- أصحاب المنافع من مراكز وغيرها هم الذين يردون دعوة الحق لمنافاتها للباطل .

5- تقرير مبدأ العاقبة للمتقين .

6- تعمى القلوب أخطر من عمى العيون على صاحبه .

(473/1)

وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (65) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (66) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (67) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (68) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (69)

شرح الكلمات :

{ وإلى عاد } : أي ولقد أرسلنا إلى عاد وهم قبيلة عاد ، وعاد أبو القبيلة وهو عاد بن عوص ابن إرم بن سام بن نوح عليه السلام .

{ أخاهم هوداً } : أخاهم في النسب لا في الدين وهود هو هود بن سالخ بن أرفخشد بن سام ابن نوح عليه السلام .

{ أفلا تعقلون } : أي أتصرّون على الشرك فلا تتَّقون عذاب الله بالإيمان به وتوحيده ، والاستفهام إنكاري أي ينكر عليهم عدم تقواهم لله عز وجل .

{ في سفاهة } : السفاهة كالسّفَه هو خِفّة العقل ، وقلّة الإدراك والحلم .

{ أمين } : لا أخونكم ولا أغشكم ولا أكْذِبُكم ، كما أني مأمون على رسالتي لا أفرط في إبلاغها .

{ بسط } : أي طولاً في الأجسام ، إذ كانوا عمالق من عظم أجسادهم وطولها .

{ آلاء الله } : نعمه واحدها أَليً وإلىً والْيٌ وإلْوٌ والجمع آلاء .

{ تفلحون : بالنجاة من النار في الآخرة ، والهلاك في الدنيا .

معنى الآيات :

هذا هو القصص الثاني ، قَصَصُ هود عليه السلام مع قومه عاد الأولى التي أهلكها الله تعالى بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام . قوله تعالى { وإلى عاد } أي وأرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم من النسب هوداً فماذا قال لهم { قال يا قوم اعبدوا الله } أي وحدوه في العبادة ولا تعبدوا معه آلهة أخرى . وقوله : { ما لكم من إله غيره } أي ليس لكم أي إله غير الله ، إذ الله هو الإله الحق وما عداه فآلهة باطلة ، لأنه تعالى يخلق وهم لا يخلقون ويرزق وهم لا يرزقون ويدبر الحياة بكل ما فيها وهم مدبَّررون لا يملكون نفعاً ولا ضراً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فكيف يكنون آلهة . ثم حضهم على التقوى وأنكر عليهم تركهم لها فقال عليه السلام لهم : { أفلا تتقون } أي الله ربّكم فتتركوا الشرك وتوحدوه؟ فأجاب الملأ الذين كفروا من قومه ، بأسوأ إجابة وذلك لكبريائهم واغترارهم فقالوا : { إنا لنرك في سفاهة } أي حمق وطيش وعدم بصيرة بالحياة وإلا كيف تخرج عن إجماع قومك ، وتواجههم بعيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم ، { وإن لنظنك من الكاذبين } فيما جئت به أي من الرسالة ، ودعوت إليه من التوحيد ونبذ الآلهة غير الله تعالى ، فأجاب هود عليه السلام راداً شبهتهم فقال : { يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين } أي أني لست كما تزعمون أن بي سفاهة ولكني أحمل رسالة أبلغكموها ، وأنا في ذلك ناصح لكم مريد لكم الخير أمين على وحي الله تعالى إلي ، أمين لا أغشكم ولا أخونكم فما أريد لكم إلا الخير . ثم واصل دعوته فقال { أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربّكم } أي أكذبتم برسالاتي وعجبتم من مجيئكم ذكر من ربكم { على رجل منكم لينذركم } أي عواقب كفركم وشرككم ، أمن مثل هذا يتعجب العقلاء أم أنتم لا تعقلون؟ .

ثم ذكرهم بنعم الله تعالى لعلّها تُحدْثُ لهم ذكراً في نفوسهم فيتراجعون بعد عنادهم وإصرارهم فقال : { واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح } أهلكهم بالطوفان لإصرارهم على الشرك { وزادكم في الخلق بسطة } أي جعل أجسامكم قوية وقاماتكم طويلة هذه نعم الله عليكم { فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون } لأنكم ذكرتموها بقلوبكم شكرتموها بأقوالكم وأعمالكم ، وبذلك يتم الفلاح لكم ، وهو نجاتكم من المرهوب ظفركم بالمحبوب وذلك هو الفوز المطلوب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- الدعوة إلى عبادة وترك عبادة ما سواه وهو معنى لا إله إلا الله .

2- مشروعية دفع الإتهام ، وتبرئة الإنسان نفسه ما يتهم به من الباطل .

3- من وظائف الرسل عليهم السلام البلاغ لما أمروا بإبلاغ لما أمروا بإبلاغه .

4- فضيلة النصح وخُلُق الأمانة .

5- استحسان التذكير بالنعم فإن ذلك موجب للشكر والطاعة .

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (70) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (71) فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (72)

شرح الكلمات :

{ ونذر } : أي نترك .

{ بما تعدنا } : أي من العذاب .

{ رجسٌ } : سخطٌ موجبٌ للعذاب .

{ أتجادلونني } : أي أتخاصمونني .

{ من سلطان } : أي من حجَّة ولا برهان يثبت أنها تستحق العبادة .

{ دابر } : دابر القوم آخرهم لأنه إذا هلك آخر القوم هلك أولهم بلا ريب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص هود عليه السلام ، فهاهم أولاء يردُّون على دعوة هود بقول الملأ منهم { أجئتنا لنعبد الله

وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا } وتهددنا إن نحن لم نترك عبادة آلهتنا ، { فأتنا بما تعدنا } به من العذاب { إن كنت من الصَّادقين } في دعواك فرد هود عليه السلام على قولهم هذا قائلاً قد وقع عليكم رجس أي سخط وغضب من الله تعالى وأن عذابكم لذلك أسبح متوقعاً في كل يوم فانتظروا ما سَيَحِلُّ بكم { إني معكم من المنتظرين } قال تعالى { فأنجيناه والذين معه برحمة منّا } أي بعد إنزال العذاب ، ومن معه من المؤمنين برحمة منا خاصة لا تتم إلا لمثلهم ، { وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا ، وما كانوا مؤمنين } أهلكناهم بخارقة ريح تدمر كل شيء بأمر بها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ، وكذلك جزاء الظالمين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- احتجاج المشركين على صحَّة باطلهم بفعل آبائهم وأجدادهم يكاد يكون سنّةً مطَّردةً في الأمم والشعوب ، وهو التقليد المذموم .

2- من حمق الكافرين استعجالهم بالعذاب ، ومطالبتهم به .

3- آلهة الوثنيين مجرّد أسماء لا حقائق إذ إطلاق المرء اسم إله على حجر لا يجعله إلهاً ينفع ويضر ، ويحيي ويميت .

4- قدرة الله تعالى ولطفه تتجلَّى في إهلاك عاد وإنجاء هود والمؤمنين .

(476/1)

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (76)

شرح الكلمات :

{ وإلى ثمود } : أي أرسلنا إلى ثمود ، وثمود قبيلة سميت باسم جدها وهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح .

{ أخاهم صالحاً } : أي في النسب وصالح هو صالح بن عبيد بن آسف بن كاسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود .

{ آية } : علامة على صدقي في أني رسول الله إليكم .

{ وبوأكم في الأرض } : أنزلكم في منازل تحبون فيها .

{ وتنحتون } : تنجرون الحجارة في الجبال للتخذوا منازل لكم لتسكنوها .

{ آلاء الله } : نعم الله تعالى وهي كثيرة .

{ ولا تعثوا } : أي لا تفسدوا في الأرض مفسدين .

{ استكبروا } : عتوا وطغوا وتكبروا فلم يقبلوا الحق ولم يعترفوا به .

معنى الآيات :

هذا القصص الثالث قصص نبي الله صالح عليه السلام قال تعالى { وإلى ثمود أخاهم صالحاً } أي وأرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً نبياً أرسلناه بما أرسلنا به رسلنا من قبله ومن بعده بكلمة التوحيد قال { قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره } وهذا مدلول كلمة الإخلاص التي جاء بها خاتم الأنبياء « لا إله إلا الله » { قد جاءتكم بينة من ربكم } تشهد بأنه لا إله إلا هو ، وأني رسوله إليكم ، هذه البينة ناقة تخرج من صخرة في جبل ، { هذه ناقة الله لكم آية } علامة وأية علامة على صدقي في إرسال الله تعالى لي رسولاً إليكم لتعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ، فذروا هذه الناقة تأكل في أرض الله { ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم } ، فكانت الناقة ترعى في المرج ، وتأتي إلى ماء القوم فتشربه كله ، ويتحول في بطنها إلى لبن خالص فيَحْلِبون ما شاءوا وقال لهم يوماً هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ، ووعظهم عليه السلام بقوله : { واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد } أي بعد هلاكهم ، وكانت ديار عاد بحضرموت جنوب الجزيرة العربية وديار ثمود بالحجر شمال الجزيرة بين الحجاز والشام . وقوله { وبوأكم في الأرض } أرض الحِجْر تتخذون من سهولهاقصوراً تسكنونها في الصيف ، وتنحتون من الجبال بيوتاً تسكنونها في الشتاء ، { فاذكروا آلاء الله } أي نعمه العظيمة لتشكروها بعبادته وحده دون ما اتخذتم من أصنام ، وحذَّرهم من عاقبة الفساد فقال { ولا تَعْثَوْا في الأرض مفسدين } أي لا تنشروا الفساد في الأرض بالشرك وارتكاب المعاصي وإزاء هذه الدعوة الصادقة الهادفة إلى هداية القوم وإصلاحهم لينجوا من عاقبة الشرك والشر والفساد { قال الملأ الذين استكبروا من قومه } أي قوم صالح ، قالوا { للذين استضعفوا لمن آمن منهم } أي لمن آمن من ضعفاء القوم : { أتعلمون أن صالحاً مرسلٌ من ربه } ، وهو استفهام سخرية واستهزاء دال على صلف القوم وكبريائهم ، فأجاب المؤمنون من ضعفة القوم قائلين { إنا بما أرسل به مؤمنون } قالوها واضحةً صريحةً مُعْلنةً عن إيمانهم بما جاء به رسول الله صالح غير خائفين ، وهنا ردّ المستكبرون قائلين : { إنا بالذي آمنتم به كافرون } وإمعاناً منهم في الجحود والتكبّر ، لم يقولوا إنا بما أرسل به كافرون حتى لا يعترفوا بالرسالة ولو في جواب رد الكلام فقالوا { إنا بالذي آمنتم به كافرون } .

(477/1)

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- اتحاد دعوة الرسل في الإيمان بالله والكفر باطاغوت أي في عبادة الله وحده .

2- تقرير إرسال الرسل بالآيات وهي المعجزات وآية صالح أعجب آية وهي الناقة .

3- وجوب التذكير بنعم الله إذ هو الباعث على الشكر ، والشكر هو الطاعة .

4- النهي عن الفساد في الأرض ولاشرك وارتكاب المعاصي .

5- الضعفة هم غالباً أتباع الأنبياء : وذلك لخلوهم من الموانع كالمحافظة على المنصب أو الجاه أو المال ، وعدم إنغماسهم في الملاذ والشهوات .

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (78) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (79)

شرح الكلمات :

{ فعقروا الناقة } : نحروها بعد أن عقروا قوائمها أي قطعوها ، والناقة هي الآية .

{ وعتوا عن أمر ربهم } : تمردوا عن الأمر وعصوا فلم يطيعوا .

{ الرجفة } : المرة من رجف إذا اضطرب ، وذلك لما سمعوا الصيحة أخذتهم الرجفة .

{ جاثمين } : باركين على الركب كما يجثم الطير أي هلكى على ركبهم .

{ فتولى عنهم } : بعد أن هلكوا نظر إليهم صالح وهم جاثمون وقال راثياً لحالهم { يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي } إلى قوله { ولكن لا تحبون الناصحين } ثم أرعض عنهم وانصرف .

معنى الآيات : ما زال السياق في قصص صلاح عليه السلام فإنه بعد تلك الدعوة الطويلة العريضة والمستكبرون يردونها بصلف وكبرياء ، وطالبوا بالآية لتدل على صدقه وأنه من المرسلين وأوتوا الناقة آية مبصرة ولجوا في الجدال والعناد وأخيراً تمالؤوا على قتل الناقة وعقروها { فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها }

قوله تعالى في الآية الأولى { فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم } يخبر تعالى أن قوم صالح عقروا الناقة قطعوا أرجلها ثم نحروها وهو العقر ، وعتوا بذلك وتكبروا متمردين عن أمر الله تعالى حيث أمرهم أن يتركوها تأكل في أرض الله ولا يمسوها بسوء فإذا بهم يعقرونها تحدياً وعناداً ، { وقالوا يا صالح } بدل أن يقولوا يا رسول الله أو يا نبي الله { ائتنا بما تعدنا } أي من العذاب إن مسسنا الناقة بسوء فقد نحرناها فأتنا بالعذاب إن كنت كما تزعم من المرسلين قال تعالى { فأخذتهم الرجفة } وهي هزة عنيفة اضطربت لها القلوب والنفوس نتيجة صيحة لملك عظيم صاح فيهم صباح السبت كما قال تعالى { فأخذتهم الصيحة مشرقين } ولما هلكوا وقف عليهم صالح كالمودع كما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل القليب ببدرٍ فناداهم يا فلان يا فلان كذلك صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وقف عليهم وهم خامدون وقال كراثي المتحسر { يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين } وتولى عنهم وانصرف .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- حلول نقمة الله تعالى بكل من عتا عن أمره سبحانه وتعالى .

2- مشروعية الرثاء لمن مات أو أصيب بمصاب عظيم .

3- علامة قرب ساعة الهلاك إذا أصبح الناس يكرهون النصح ولا يحبون الناصحين .

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (82) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (83) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (84)

شرح الكلمات :

{ ولوطاً } : أي وأرسلنا لوطاً هو لوط بن هاران ابن أخي ابراهيم عليه السلام . ولد في بابل العراق .

{ الفاحشة } : هي الخصلة القبيحة وهي اتيان الرجال في أدبارهم . { من العالمين } : أي من الناس .

{ من الغابرين } : الباقين في العذاب .

{ وأمطرنا } : أنزلنا عليهم حجارة من السماء كالمطر فأهلكتهم .

{ المجرمين } : أي المفسدين للعقائد والأخلاق والأعراض .

معنى الآيات :

هذا هو القصص الرابع قصص نبي الله تعالى لوط بن هاران ابن أخي ابراهيم عليه السلام فقوله تعالى { ولوطاً . . . . } أي وأرسلنا لوطاً إلى قومه نم أهل سذوم ، ولم يكن لوط منهم لأنه من أرض بابل العراق هاجر مع عمه إبراهيم وأرسله الله تعالى إلى أهل سذوم وعمورة قرب بحيرة لُوطٍ بالاردن .

وقوله إذ قال لقومه الذين أرسل إليهم منكراً عليهم فعلتهم المنكرة : { أتأتون الفاحسة } وهي اتيان الرجال في أدبارهم { ما سبقكم بها من أحد من العالمين } أي لم يسبقكم إليها أحد من الناس قاطبة ، وواصل إنكاره هذا المنكر موبخاً هؤلاء الذين هبطت أخلاقهم إلى درك لم يهبط إليه غيرهم فقال : { إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ، بل أنتم قوم مسرفون } وإلا فالشهوة من النساء هي المفطور عليها الإنسان ، لا إدبار الرجال ، ولكنه الإجرام والتوغل في الشر والفساد والإسراف في ذلك ، والإسراف صاحبه لا يقف عند حد .

وبعد هذا الوعظ والإرشاد إلى سبيل النجاة ، والخروج من هذه الورطة التي وقع فيها هؤلاء القوم المسرفون ما كان ردهم { إلا أن قالوا أخرجوهم } أي لوطاً والمؤمنين معه { من قريتكم } أي مدينتكم سدوم ، معللين الأمر بإخراجهم من البلاد أناس يتطهرون من الخبث الذي هم منغمسون فيه قال تعالى بعد أن بلغ الوضع هذا الحد { فأنجيناه وأهله } من بناته وبعض نسائه { إلا امرأته كانت من الغابري } حيث أمرهم بالخروج من البلاد ليلاً قبل حلول العذاب بالقوم فخرجوا ، وما إن غادروا المنطقة حتى جعل الله تعالى عاليها سافلها وأمطر عليها حجارة من سجين فأهلكوا أجمعين .

وقوله تعالى في ختام هذا القصص { فانظر كيف كان عاقبة المجرمين } فإنه خطاب عام لكل من يسمع هذا القصص ليعتبر به حيث شاهد عاقبة المجرمين دماراً كاملاً وعذاباً أليماً .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- شدة قبح جريمة اللواط .

2- أول من عرف هذه الجريمة القذرة هم قوم لوط عليه السلام .

3- الكفر والإجرام الاعتدال في الأقوال والأفعال يتولد عنه كل شر وفساد .

4- من أتى هذه الفاحشة من المحصنين يرجم بالحجارة حتى الموت .

(480/1)

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (85) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (86) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (87)

شرح الكلمات :

{ وإلى مدين آخاهم شعيباً } : مدين أبو القبيلة وهو مدين بن إبراهيم الخليل وشعيب من أبناء القبيلة فهو أخوهم في النسب حقيقة إذ هو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين .

{ ولا تبخسوا الناس أشياءهم } : أي لا تنقصوا الناس قيم سلعهم وبضائعهم ، إذ كانوا يفعلون ذلك .

{ صراط توعدون } : طريق وتوعدون تخيفون المارة وتأخذون عليهم المكوس أو تسلبونهم أمتعتهم .

{ وتبغونها عوجاً } : أي تريدون سبيل الله –وهي شريعته– معوجةً حتى توافق ميولكم .

{ المفسدين } : هم الذين يعملون بالمعاصي في البلاد .

{ يحكم بيننا } : يفصل بيننا فينجي المؤمنين ويهلك الكافرين .

معنى الآيات :

هذا هو القصص الخامس في سورة الأعراف وهو قصص نبي الله شعيب مع قومه أهل مدين ، فقوله تعالى : { وإلى مدين أخاهم شعيباً } أي وأرسلنا إلى أهل مدين أخاهم شعيباً . فماذا قال لهم لما أرسل إليهم؟ { قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره } أي قولوا لا إله إلا الله ، ولازم ذلك أن يصدقوا برسول الله شعيب حتى يمكنهم أن يعبدوا الله بما يحب أن يعبد به وبما من شأنه أن يكملهم ويسعدهم في الدارين وقوله رقد جاءتكم بينة من ربكم } أي آية واضحة تشهد لي بالرسالة وبما أن آمركم به وأنهاكم عنه هو من عند الله تعالى إذاً { فأوفوا الكيل والميزان } أي بالقسط الذي هو العدل ، رولا تبسخوا الناس أشياءهم } بل أعطوهم ما تستحقه بضائعهم من الثمن بحسب جودتها ورداءتها { ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها } أي في البلاد بعد إصلاحها ، وذلك بترك الشرك والذنوب ومن ذلك ترك التلصص وقطع الطرق ، وترك التطفيف في الكيل والوزن وعدم بخس سلع النسا وبضائعهم ذلكم الذي دعوتكم إليه من الطاعة وترك المعصية خير لكم حالاً ومآلاً إن كنتم مؤمنين وقوله : { ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله نم آمن به وتبغونها عوجاً } ينهاهم عليه السلام عن أبشع الإجرام وهو أنهم يجلسون في مداخل البلاد ، وعلى أفواه

السكك ، ويتوعدون المارة بالعذاب إن هم اتصلوا بالنبي شعيب وجلسوا إليه صرفاً للناس عن الإيمان والاستقامة ، كما أنهم يقطعون الطرق ويسلبون الناس ثيابهم وأمتعتهم أو يدفعون إليهم ضريبة خاصة .

وقوله { واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم } يذكرهم عليه السلام بنعمة الله تعالى عليهم وهي أنهم أصبحوا شعباً كبيراً بعدما كانوا شعباً صغيراً لا قيمة له ولا وزن بين الشعوب وقوله : { وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين } يعظهم ببيان مصير الظلمة المفسدين من الأمم المجاورة والشعوب حيث لحت بهم نقمة الله ونزل بهم عذابه فهلكوا يعظهم لعلهم يذكرون فيتركوا الشرك والمعاصي ، ويعملوا بالتوحيد والطاعة .

وأخيراً يخوفهم بالله تعالى ويهددهم بان حكماً عدلاً هو الله سيحكم بينهم وعندها يعلمون من هو المحق ومن هو المبطل فقال : { وإن كان طائفة منكم } أي جماعة { آمنوا بالذي أرسلت به } من التوحيد والطاعة وترك الشرك والمعاصي ، { وطائفة } اخرى { لم يؤمنوا } وبهذا كنا متخاصمين نحتاج غلى من يحكم بيننا إذاً { فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين } .

(481/1)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- دعو الرسل واحدة في باب العقيدة إذ كلها تقوم على أساس التوحيد والطاعة .

2- حرمة التطفيف في الكيل والميزان ، وبخس الناس أشياءهم ، ويدخل في ذلك الصناعات وحرف المهن وما إلى ذلك .

3- حرمة الفساد في الأرض بالمعاصي لا سيما البلاد التي طهرها الله بالإسلام وأصحلها بشرائعه .

4- حرمة التلصص وقطع الطرق وتخويف المارة .

5- حرمة الصد عن سبيل الله بمنع الناس من التدين والإلتزام بالشريعة ظاهراً وباطناً .

(482/1)

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (88) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (89)

شرح الكلمات :

{ الملأ } : أشراف القوم الذين يملؤون المجلس إذا جلسوا ، والعين إذا نظر اليهم .

{ استكبروا } : تكفلوا الكبر وهم حقيرون ، تى لا يقبلوا الحق .

{ من قريتنا } : مدينتنا .

{ في ملتكم } : في دينكم .

{ على الله توكلنا } : أي فوضنا امرنا واعتمدنا في حمايتنا عليه .

{ ربنا افتح بيننا } : أي يا ربنا احكم بيننا .

{ وأنت خير الفاتحين } : أي وأنت خير الحاكمين .

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم في قصص شعيب مع قومه أهل مدين فبعد أن أمرهم ونهاهم وذكرهم ووعظهم { قال الملأ الذين استكبروا من قومه } مهددين موعدين مقسمين { لنخرجنك يا شعيب ولاذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا } . هكذا سنة الطغاة الظلمة إذا غلبوا بالحجج والبراهين يفزعون إلى القوة فلما أفحمهم شعيب خطيب الأنبياء عليهم السلام ، وقطع الطريق عليهم شهروا السلاح في وجهه ، وهو النفي والإخراج من البلاد أو العودة إلى دينهم الباطل ، رلنخرجنك يا شعيب ولاذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا } ورد شعيب على هذا التهديد بقوله : { أولو كنا كارهين } أي أنعود في ملتكم ولو كنا كارهين لها { قد افترينا على لاله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها } ووجه الكذب على الله إن عادوا إلى ملة الباطل هو شعيباً أخبرهم أن الله تعالى أمرهم بعبادته وحده وترك عبادة غيره ، وأنه تعالى أرسله إليهم رسولاً وأمرهم بطاعته إنقاذاً لهم من الباطل الذي هم فيه فإذا أرتد وعاد هو ومن معه من المؤمنين إلى ملة الشرك كان موقفهم موقف من كذب على الله تعالى بأنه قال كذا وكذا والله عز وجل لم يقل . هذا ثم قال شعيب { وما يكون لنا أن نعود فيها } ليس من الممكن ولا من المتهيء لنا العودة في ملتكم أبداً ، اللهم إلا أن يشاء ربنا شيئاً فغن مشيئته نافذه في خلقه ، وقوله : { وسع ربناكل شيء علما } فإذاكان قد علم أنا نرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، فسوف يكون ما علمه كما علمه وهو الغالب على أمره .

ثم قال عليه السلام بعد أن أعلمهم أن العودة إلى دينهم غير واردة ولا ممكنة بحال من الأحوال إلاّ في حال مشيئة الله ذلك ، وهذا مما لا يشاءه الله تعالى قال : { على الله توكلنا } في الثبات على دينه الحق ، والبراءة نم الباطل ثم سأل ربه قائلاً : { ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق } أي احكم بيننا وبينهم بالحق { وأنت خير الفاتحين } أي الحاكمين ، وذلك بإحقاق الحق وإبطال الباطل .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان سنة بشرية وهي أن الظلمة والمتكبرين يجادلون بالباطل حتى إذا أعياهم الجدال وأفحموا بالحجج بدل أن يسلموا بالحق ويعترفوا به ويقبلوه ، فيستريحوا ويريحوا يفزعون إلى القوة بطرد أهل الحق ونفيهم أو إكراههم على قبول الباطل بالعذاب والنكال .

2- لا يصح من أهل الحق بعد أن عرفوه ودعوا إليه أن يتنكروا ويقبلوا الباطل بدله .

3- يستحب الاستثناء في كل ما عزم عليه المؤمن مستقبلاً وإن لم يرده او حتى يفكر فيه .

4- وجوب التوكل على لاله عند تهديد العدو وتخويفه ، والمضي في سبيل الحق .

5- مشروعية الدعاء وسؤال الله تعالى الحكم بين أهل الحق وأهل الباطل ، لأن الله تعالى يحكم بالحق وهو خير الحاكمين .

(483/1)

وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (90) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (91) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (92) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (93)

شرح الكلمات :

{ لئن اتبعتم شعيباً } : أي على ما جاء به من الدين والهدى .

{ الرجفة } : الحركة العنيفة كالزلزلة .

{ جاثمين } : باركين على ركبهم ميتين .

{ كأن لم يغنوا فيها } : أي كأن لم يعمروها ويقيموا فيها زمناً طويلاً .

{ الخاسرين } : إذ هلكوا في الدنيا وادخلوا النار في الآخرة .

{ آسى } : أي أحزن أو آسف شديد الأسف .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص شعيب مع أهل مدين فإنه بعد أن هدد الظالمون شعيباً بالإبعاد من مدينتهم هو والمؤمنون معه أو أن يعودوا غلى ملتهم فرد شعيب على التهديد بما أيأسهم من العودة إلى دينهم ، وفزع إلى الله يعلن توكله عليه ويطلب حكمه العادل بينه وبين قومه المشركين الظالمين كأن الناس اضطربوا وأن بعضاً قال اتركوا الرجل وما هو عليه ، ولا تتعرضوا لما لا تطيقونه من البلاء . هنا قال الملأ الذين استكبروا من قومه مقسمين بآلهة الباطل : { لئن اتبعتم شعيباً } اي على دينه وما جاء به وما يدعو إليه من التوحيد والعدل ورفع الظلم { إنكم إذاً لخاسرون } قال تعالى : { فأخذتهم الرجفة } استجابة لدعوة شعيب فأصبحوا هلكى جاثمين على الركب . قال تعالى : { الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها } أي كأن لم يعمروا الديار ويقيموا بها زمناً طويلاً ، وأكد هذا الخبر وهو حكمة في المكذبين الظالمين فقال : { الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرون } أما الذين صدقوا شعيباً فهم المفلحون الفائزون وودعهم شعيب كما ودع صالح قومه قال تعالى : { فتولى عنهم } وهم جاثمون هلكى فقال { يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم } فأبيتم إلا تكذيبي ورد قولي والإصرار على الشرك والفساد حتى هلكتم رفيكف آسَى على قوم كافرين } أي لا معنى للحزن والاسف على مثلكم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- ثمرة الصبر والثبات النصر العاجل أو الآجل .

2- نهاية الظلم والطغيان والدمار والخسران .

3- لا أسىً ولا حزناً على من أهلكه الله تعالى بظلمه وفساده في الأرض .

4- مشروعية توبيخ الظالمين بعد هلاكهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل القليب وكما فعل صالح وشعيب عليهما السلام .

(484/1)

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (94) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (95)

شرح الكلمات :

{ في قرية } : القرية : المدينة الجامعة لأعيان البلاد ورؤسائها وهي المدينة .

{ بالبأساء } : بالشدة كالقحط والجوع والحروب .

{ والضراء } : الحالة المضرة كالأمراض والغلاء وشدة المؤونة .

{ يضرعون } : يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ليكشف عنهم السوء .

{ مكان السيئة الحسنة } : أي بدل الغلاء الرخاء ، وبدل الخوف الأمن ، وبدل المرض الصحة .

{ حتى عفوا } : كثرت خيراتهم ونمت أموالهم ، وأصبحت حالهم كلها حسنة .

{ أخذناهم بغتة } : أنزلنا بهم العقوبة فجأة .

معنى الآيتين :

على إثر بيان قصص خمسة أنبياء ذكر تعالى سننه في الأمم السابقة ليكون ذلك عظة لكفار قريش ، وذكرى للمؤمنين فقال تعالى : { وما أرسلنا في قرية } أي في أهل والمراد بالقرية الحاضرة والعاصمة من كبريات المدن حيث الكبراء والرؤساء من نبي من الأنبياء والمرسلين فكذبوه قومه وردوا دعوته مصرين على الشرك والضلال إلا أخذ الله تعالى أهل تلك المدينة بألوان من العذاب التأديبي كالقحط والجوع وشظف العيش ، والأمراض والحروب المعبر عنه بالبأساء والضراء . رجاء أن يرجعوا إلى الحق بعد النفور منه ، وقبوله بعد الإعراض عنه ثم يغير تعالى ما بهم من بأساء وضراء إلى يسر ورخاء ، وعافية وهنا فتكثر أموالهم وأولادهم ويعظهم سلطانهم ، ويقولون عندما يوعظون ويذكرون ليتوبوا فيؤمنوا ويتقوا : { قد مس آباءنا الضراء والسراء } أي الخير والشر وما هناك ما تخوفوننا به إنما هي الأيام هكذا دول يوم عسر وآخر يسر وبذلك يحق عليهم العذاب فيأخذهم الجبار عز وجل فجأة { وهم لا يشعرون } فيتم هلاكهم ويمسون حديث عبرة لمن بعدهم عذاب في الدنيا ، وعذاب في الآخرة وعذاب الآخرة أشد وأبقى .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- بيان سنة الله تعالى في الأمم السابقة .

2- تخويف كفار قريش بما دلت عليه هذه السنة من أخذ الله تعالى المصرين على الكفر المتمردين على الحق .
3- التذكير والوعظ بتاريخ الأمم السابقة المنبىء عن أسباب هلاكهم وخسرانهم ليتجنبها العقلاء ، كما قال تعالى : { لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب } .

(485/1)

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (98) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (99) أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (100)

شرح الكلمات :

{ آمنوا واتقوا } : أي آمنوا بالله ورسوله ووعد الله ووعيده واتقوه تعالى بطاعته وعدم معصيته .

{ بركات من السماء والأرض } : جمع بركة وهي دوام الخير وبقاؤه والعلم والإلهام والمطر من بركات السماء والنبات والخصب والرخاء والأمن والعافية من بركات الأرض .

{ يكسبون } : من الشرك والمعاصي .

{ بياتا } : أي ليلاً وهم نائمون .

{ مكر الله } : استدراجه تعالى لهم بإغداق النعم عليهم من صحة الأبدان ورخاء العيش حتى إذا آمنوا مكره تعالى بهم أخذهم بغتة .

{ أو لم يهد لهم } : أي أو لم يبين لهم بمعنى يتبين لهم .

{ بذنوبهم } : أي بسبب ذنوبهم .

معنى الآيات :

بعدما بين تعالى سنته في الأمم السابقة ، وهي أخذ الأمة بعد تكذيبها عصيانها بالبأساء والضراء ، ثم إذا هي لم تتب واستمرت على كفرها وعصيانها أغدق عليها الخيرات حتى عفت بكثرة مالها وصلاح حالها أخذها بغتة فأهلكها ، وتم خسرانها في الدارين ، فتح الله باب التوبة والرجاء لعباده فقال : { ولو أن أهل القرى } المكذبين ككفار مكة والطائف وغيرهما من المدن { آمنوا } أي بالله ورسوله وبلقاء الله ووعده ووعيده ، { واتقوا } الله تعالى في الشرك وفي معصيته ومعصية رسوله لفتح عليهم أبواب السماء بالرحمات والبركات ، وفتح عليهم كنوز الأرض ورزقهم من الطيبات ولكن أهل القرى الأولين كذبوا فأخذهم بالعذاب بما كانوا يكسبون ، وأهل القرى اليوم وهم مكذبون فإما أن يعتبروا بما أصاب أهل القرى الأولين فيؤمنوا ويوحدوا ويطيعوا ، وإما أن يصروا على لاشرك والتكذيب فينزل بهم ما نزل بمن قبلهم من عذاب الإبادة والاستئصال ، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (96) وهي قوله تعالى { ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون } أما الآيات الثلاث بعدها فإن الله تعالى

ينكر على أهل القرى غفلتهم موبخاً لهم على تماديهم وإصرارهم على الباطل معجباً من حالهم فيقول : { أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياناً وهم نائمون؟ } أي أجهلوا من نزل بمن قبلهم فأمنوا أن يأتيهم عذابنا ليلاً وهم نائمون؟ { أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا } أي عذابنا { ضحى وهم يلعبون؟ } أي أو غفل أهل القرى وأمنوا أن يأتيهم عذابنا ضحى وهم في أعمالهم التي لا تعود عليهم بخير كأنها لعب أطفال يلعبون بها { أفمنوا مكر الله } ؟ أغرهم إمهالنا لهم واستدراجنا إياهم فأمنوا مكر الله؟ إنهم في ذلك خاسرون إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، وقوله تعالى في الآية الخامسة (100) { أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبنانهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون } أي عمى الذين يرثون الأرض من بعد أهلها ولم يتبين لهم بعد ولم يعلموا أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا الذين ورثوا ديارهم بذنوبهم { ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون } أي ونجعل على قلوبهم غشاوة حتى لا يعوا ما يقال لهم ولا يفهموا ما يراد بهم حتى يهلكوا كما هلك الذين من قبلهم .

(486/1)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- عرض الرحمن تبارك وتعالى رحمته على ولم يطلب منهم أكثر من الإيمان والتقوى .

2- حرمة الغفلة ووجوب الذكر واليقظة .

3- حرمة الأمن من مكر الله تعالى .

4- إذا أمنت مكر الله تهيأت للخسران وحل بها لا محالة .

5- وجوب الاعتبار بما أصاب الأولين ، وذلك بترك ما كان سبباً لهلاكهم .

(487/1)

تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (101) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (102)

شرح الكلمات : { تلك القرى } : الإشارة إلى قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب .

{ من أنبائها } : أي من أخبارها .

{ بالبينات } : بالحجج والبراهين الدالة على توحيد الله وصدق رسله .

{ من قبل } : أي من قبل خلقهم ووجودهم ، إذ علم الله تعالى تكذيبهم فكتبه عليهم في كتاب المقادير .

{ وما وجدنا لأكثرهم من عهد } : أي لم نجد لأكثرهم وفاء بعهودهم التي أخذت عليهم يوم أخذ الميثاق .

معنى الآيتين :

يخاطب الرب تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم قائلا { تلك القرى نقص عليك من أنبائها } أي من أخبارها مع أنبيائها كيف دعتهم رسلهم إلى الإيمان والتوحيد والطاعة ، وكيف ردت تلك الأمم دعوة الله واستكبرت على عبادته ، وكيف كان حكمنا فيهم لعل قومك يذكرون فيؤمنوا ويوحدوا . وقوله تعالى { ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات } أي بالحجج الواضحات على صدق دعوتهم ، وما جاءتهم به رسلهم من امر ونهي من ربهم . وقوله { فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل } اي لم يكن أولئك الهالكون من أهل القرى ليؤمنوا بما كذبوا به في لعلم الله وقدره إذ علم الله أنهم لا يؤمنون فكتب ذلك عليهم فلذا هم لا يؤمنون ، وقوله تعالى : { كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين } أي كما كتب على الهالكين من أهل القرى أنهم لا يؤمنون ولم يؤمنوا فعلاً فأهلكهم ، يطبع كذلك على قلوب الكافرين فلا يؤمنون حتى يأخذهم العذاب وهم ظالمون بكفرهم . وهذا الحكم الإلهي قائم على مبدأ ان الله علم من كل إنسان قبل خلقه ما يرغب فيه وما يؤثره على غيره ويعمله باختياره وارادته فكتب ذلك عليه فهو عند خروجه إلى الدنيا لا يعمل إلا به . ليصل الى ما كتب عليه ، وقدر له أزلاً قبل خلق السموات والأرض ، وقوله تعالى { وما وجدنا لأكثرهم من عهد } أي لم نجد لتلك الأمم التي أهلكنا وهم قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب . لم نجد لأكثرهم وفاء بعهدهم الذي أخذناه عليهم قبل خلقهم من الإيمان بنا وعبادتنا وطاعتنا وطاعة رسلنا ، وما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين عن أمرنا خارجين عن طاعتنا وطاعة رسلنا ، وكذلك أحللنا بهم نقمتنا وأنزلنا بهم عذابنا فأهلكناهم أجمعين .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- تقرير الوحي الإلهي وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه ما قُصَّ من أنباء الأولين لا يُتَلَقَّى إلا بوحي إلهي ولا يتلقى عن الله تعالى إلا رسول أُعِدَّ لذلك .

2- وجود البينات مهما كانت قوية واضحة غير كاف في إيمان من لم يشأ الله هدايته .

3- المؤمن من آمن في الأزل ، والكافر من كفر فيه .

4- الطبع على قلوب الكافرين سببه اختيارهم للكفر والشر والفساد وإصرارهم على ذلك كيفما كانت الحال .

(488/1)

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (103) وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (104) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (105) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (106) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (107) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (108)

شرح الكلمات :

{ ثم بعثنا من بعدهم } : أي من بعد نوح وهود صالح ولوط وشعيب .

{ موسى } : هو موسى بن عمران من ذرية يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم عليه السلام .

{ بآياتنا } : هي تسع آيات : العصا ، واليد ، والسنون المجدبة ، والدم ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والطمس على أموال فرعون .

{ إلى فرعون } : أي بعث موسى الرسول إلى فرعون وهو الوليد بن مصعب بن الريان ، ملك مصر .

{ وملئه } : أي أشراف قومه وأعيانهم من رؤساء وكبراء .

{ فظلموا بها } : أي ظلموا أنفسهم بالآيات وما تحمله من هدى حيث كفروا بها .

{ بينة من ربكم } : حجة قاطعة وبرهان ساطع على أني رسول الله إليكم .

{ ونزع يده } : أخرجها بسرعة من جيبه .

معنى الآيات :

قوله تعالى { ثم بعثنا من بعدهم موسى } هذا شروع في ذكر القصص السادس مما اشتملت عليه سورة الأعراف ، وهي قصص موسى عليه السلام مع فرعون وملئه . قال تعالى وهو يقص على نبيه ليثبت به فؤاده ، ويقرر به نبوته ، ويعظ امته ، ويذكر به قومه { ثم بعثنا من بعدهم } أي من بعد نوح وهود صالح ولوط وشعيب موسى بن عمران إلى فرعون وملئه من رجالات ملكه ودولته ، وقوله بآياتنا . هي تسع آيات لتكون حجة على صدق رسالته وأحقية دعوته . وقوله تعالى { فظلموا بها } أي جحدوها ولم يعترفوا بها فكفروا بها وبذلك ظلموا أنفسهم بسبب كفرهم بها ، واستمروا على كفرهم وفسادهم حتى أهلكهم الله تعالى بإغراقهم ، ثم قال لرسوله { فانظر كيف كان عاقبة المفسدين } أي دماراً وهلاكاً وهي عاقبة كل مفسد في الأرض بالشرك والكفر والمعاصي . هذا ما دلت عيله الآية الأولى (103) وأما ال « آيات بعدها فإنها في تفصيل أحداث هذا القصص العجيب . وأتى موسى فرعون وقال { يا فرعون إني رسول الله من رب العالمين ، حقيق } أي جدير وخليق بي { أن لا أقول على الله إلا الحق ، قد جئتكم ببينة من ربكم } دالة على صدقي شاهدة بصحة ما أقول { فأرسل معي بني إسرائيل } لأذهب بهم إلى أرض الشام التى كتب الله لهم وقد كانت دار آبائهم . وهنا تكلم فرعون وطالب موسى بالآية التي ذكر أنه جاء بها فقال { إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين } أي فيما تدعيه وتقول به وتدعوا إليه . وهنا ألقى موسى عصاه أي أمام فرعون المطالب بالآية { فإذا هي ثعبان مبين } أي حية عظيمة تهتز { فغذا هي بيضاء للناظرين } بيضاء بياضاً غير معهود مثله في أيدي الناس . هذا ما تضمنته هذه الآيات الخمس في هذا السياق .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان سوء عاقبة المفسدين بالشرك والمعاصي .

2- تذكير موسى فرعون بأسلوب لطيف بأنه ليس رباً بل هناك رب العالمين وهو الله رب موسى وهرون والناس أجمعين .

3- تقرير مبدأ الصدق لدى الرسل عليهم السلام .

4- ظهور آيتين لموسى العَصَا واليد .

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (110) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (112)

شرح الكلمات

ساحر عليم: أي ذو علم بالسحر خبير به ليس مجرد مدّع.

من أرضكم: أي من بلادكم ليستولى عليها ويحكمكم.

فماذا تأمرون: أي أشيروا بما ترون الصواب في حل هذا المشكل.

أرجه: أي أمهله وأخاه لا تعجل عليهما قبل اتخاذ ما يلزم من الاحتياطات.

في المدائن: مدن المملكة الفرعونية.

حاشرين: رجالاً يجمعون السحرة الخبراء في فن السحر للمناظرة.

معنى الآيات:

ما زال السياق في تفصيل قصص موسى مع فرعون فبعد أن تقدم موسى بما طلب فرعون منه من الآية فأراه آية العصا، واليد، وشاهد الملأ من قوم فرعون الآيتين العظيمتين قالوا {إن هذا لساحر عليم} وذلك لما بهرتهم الآيتان تحول العصا إلى حية عظيمة واليد بيضاء من غير سوء كالبرص بل بياضها عجب حتى لكأنها فلقة قمر أي قطعة منه، واتهموا موسى فوراً بالسياسة وأنه يريد بهذا إخراجكم من بلادكم ليستولي عليها هو وقومه من بني إسرائيل، وهنا تكلم فرعون وقال: {فماذا تأمرون} أي بم تشيرون عليّ أيها الملأ والحال كما ذكرتم؟ فأجابوه قائلين {أرجه وأخاه} أي أوقفهما عندك {وأرسل في المدائن حاشرين} أي رجالاً من الشرط يحشرون أي يجمعون أهل الفن من السحرة من كافة أنحاء الإيالة أي الإقليم المصري، وأجر معه مناظرة فإذا انهزم انتهى أمره وأمنا من خطره على بلادنا وأوضاعنا. هذا ما دلت عليه الآيات الأربع في هذا السياق.

هداية الآيات

هن هداية الآيات

1- جهل الملأ بالآيات أدى بهم إلى أن قالوا إن موسى ساحر عليم.

2- مكر الملأ وخبثهم إذ اتهموا موسى سياسياً بأنه يريد الملك وهو كذب بحت وإنما يريد إخراج بني إسرائيل من مصر حيث طال استعبادهم وامتهانهم من قبل الأقباط وهم أبناء الأنبياء وأحفاد إسرائيل واسحق وإبراهيم عليهم السلام.

3- فضيحة فرعون حيث نسي دعواه الربوبية، فاستشار الملأ في شأنه، إذ الرب الحق لا يستشير عباده فيما يريد فعله لأنه لا يجهل ما يحدث مستقبلاً.

4- السحر صناعة من الصناعات يتعلم ويبرع فيها المرء، ويتقدم حتى يتفوق على غيره.

5- حرمة السحر وحرمة تعلمه، ووجوب إقامة الحد على من ظهر عليه وعرف به.

وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (113) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (114) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (116)

شرح الكلمات :

{ السحرة } : جمع ساحر وهو من يتقن فن السحر ويؤثر في أعين الناس بسحره .

{ إن لنا لأجراً } : أي ثواباً من عندك أي اجراً تعطيناه إن نحن غلبنا .

{ نحن الملقين } : لعصيّنا .

{ سحروا أعين الناس } : حيث صار النظارة في الميدان يشاهدون عصي السحر وحبالهم يشاهدونها حيات وثعابين تملأ الساحة .

{ واسترهبوهم } : أي أدخلوا الرهب والرعب في قلوب الناس من قوة أثر السحر في عيونهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحوار الدائر بين موسى عليه السلام من جهة وبين فرعون وملئه من جهة أخرى ، فقد جاء في الآيات السابقة أن الملأ أشارواعلى فرعون بأن يحبس موسى وأخاه هارون ويرسل شرطة في المدن يأتون بالخبراء في فن السحر لمناظرة موسى عيسى أن يغلبوه ، وفعلاً أرسل فرعون في مدنه حاشرين يجمعون خبراء السحر ، وها هم أولاء قد وصلوا قال تعالى { وجاء السحرة فرعون } وعرفوا أن الموقف جد صعب على فرعون فطالبوه بالأجر العظيم إن هم غلبوا موسى وأخاه فوافق فرعون على طلبهم ، وهو معنى قوله تعالى : { وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين؟ قال نعم } وزادهم أيضاً أن يجعلم من خواصه ورجال قصره فقال { وإنكم لمن المقربين } أي لدينا . وهنا تقدموا لموسى وكأنهم على ثقة في قوتهم السحرية وان الجولة ستكون لهم ، تقدموا بإلقاء آلاتهم السحرية أو تقدم موسى عليهم فقالوا { يا موسى إما أن تلقي ، وإما أن نكون نحن الملقين } أي الق عصاك أو نلقى نحن عصينا فقال لهم موسى { ألقوا } فألقوا فعلاً فسحروا أعين الناس وجاءوا بسحر عظيم كما أخبر تعالى الأمر الذي استرهب النظارة حتى إن موسى عيه السلام أوجس في نفسه خيفة فنهاه ربه تعالى عن ذلك وأعلمه أن الغالب بإذن الله تعالى جاء هذا الخبر في سورة طه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- مشروعية طلب الأجرة على العمل الذي يقوم به الإنسان خارجاً عن نطاق العبادة .

2- مشروعية الترقيات الحكومية لذي الخدمة الجُلى للدولة .

3- تأثير السحر على أعين الناس حقيقة بحيث يرون الشيء على خلاف ما هو عيله إذ العصي والحبال استحالت في أعين الناس إلى حيات وثعابين .

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (118) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (119) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (120) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (122)

شرح الكلمات :

{ تلقف } : تأخذ بسرعة فائقة وحذق عجيب .

{ ما يأفكون } : ما يقلبون بسحرهم وتمويههم .

{ فوقع الحق } : ثبت وظهر .

{ صاغرين } : ذليلين .

{ ساجدين } : ساقطين على وجوههم سجداً لربهم رب العالمين .

معنى الآيات :

ما زال السياق في المناظرة أو المباراة بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون ، فبعد أن ألقى السحرة حبالهم وعصيهم في الساحة وانقلبت بالتمويه السحري حيات وثعابين ورهب الناس من الموقف وظن فرعون وملأه أنهم غالبون أوحى الله تعالى إلى موسى أن يلقي عصاه فألقاها { فإذا هي تلقف ما يأفكون } أي تأخذه وتبتلعه وبذلك وقع الحق أي ظهر وثبت واستقر { وبطل ما كان يعملون } أي السحر والتمويه وقوله تعالى { فغلبوا } أي فرعون وملأه وقومه { هنالك } أي في ساحة المباراة والمناظرة { وانقبلوا } إلى ديارهم { صاغرين } أي ذليلين مهزومين . وقوله تعالى { وألقي السحرة ساجدين } أي إنهم بعد أن شاهدوا الآية الكبرى بهرتهم فخروا ساجدين كأنما ألقاهم أحد على وجه الأرض لا حراك لهم وهم يقولون { آمنا برب العالمين رب موسى وهرون } وضمن ذلك فقد كفروا بربوبية فرعون الباطلة ، لأن الإيمان بالله سيلزم الكفر بما عداه ، ولذا قالوا { آمنا برب العالمين رب موسى وهارون } تلويحاً بكفرهم بفرعون الطاغية وبكل إله غير الله .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان سنته تعال في أن الحق والباطل إذا التقيا في أي ميدان فالغلبة للحق دائماً .

2- بطلان السحر وعدم فلاح أهله ولقوله تعالى في سورة طه { ولا يفلح الساحر حيث أتى } .

3- فضل العلم وأنه سبب الهداية فإيمان السحرة كان ثمرة العلم ، إذ عرفوا أن ما جاء به موسى ليس سحراً وإنما هو آية له من الله فآمنوا .

4- مظهر من مظاهر القضاء والقدر فالسحرة أصبحوا كافرين وأمسوا مسلمين .

قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (123) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (124) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (125) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (126)

شرح الكلمات :

{ آمنتم به } : أي صدقتموه فيما جاء به ودعا إليه .

{ مكر مكرتموه } : أي حيلة احتلتموها وتواطأتم مع موسى على ذلك .

{ من خلاف } : بأن يقطع اليد اليمنى مع والرجل اليسرى أو العكس .

{ ثم لأصلبنكم } : التصليب : الشد على خشبة حتى الموت .

{ منقلبون } : أي راجعون .

{ وما تنقم منا } : أي وما تكره منا وتنكر علينا إلا إيماننا بآيات ربنا لما جاءتنا .

{ أفرغ علينا صبراً } : أي افض علينا صبراً قوياً حتى نثبت على ما توعدنا فرعون من العذاب ولا نرتد بعد إيماننا .

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث قصص موسى وفرعون ففي الآيات قب لهذه تمت المناظرة بين موسى والسحرة بنصر موسى عليه السلام وهزيمة فرعون النكراء حيث سحرته بعد ظهور الحق لهم واضحاً مكشوفاً آمنوا وأسلموا وسجدوا لله رب العالمين . وفي هذه الآيات يخبر تعالى عن محاكمة فرعون للسحرة فقال عز من قائل { قال فرعون } أي للسحرة { آمنتم به } أي بموسى رقبل أن أذن لكم } أي في الإيمان به ، وهي عبارة فيها رائحة الهزيمة والحمق ، وإلا فهل الإيمان بتأتى فيه الإذن وعدمه ، الإيمان إذعان باطني لا علاقه له بالإذن إلا من الله تعالى ، ثم قال لهم { إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها } أي إن هذا الذي قمتم به من ادعاء الغلب لموسى بعدما اظهرتم الحماس في بداية المباراة ما هو إلا مكر إخراجكم الناس من المدينة واستيلائكم عليها . ثم تهددهم وتوعدهم بقوله { فسوف تعلمون } ما أنا صانع بكم . وذكر ما عزم عليه فقال مقسماً { لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف } يريد بقطع من كل واحد منهم يده اليمنى ورجله اليسرى ، ثم يربطهم على أخشاب في ساحة معينة ليموتوا كذلك نكالاً وعبرة لغيرهم . هذا ما أعلنه فرعون وصرح به للسحرة المؤمنين فما كان جواب السحرة { قالوا إنا إلى ربنا منقلبون } أي راجعون فقتلك إيانا لم يزد على أن قربنا من ربنا وردنا إليه ونحن في شوق إلى لقاء ربنا ، وعليه فحكمك يقتلنا ما هو بضائرنا ، وشيء آخر هو أنك { ما تنقم منا } يا فرعون أي ما تكره منا ولا تنكر شيء لا مذمة فيه علينا ، ولا عاراً يلحقنا ، فلذا { اقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا } ثم أقبلوا على الله ورفعوا أيديهم إليه وقالوا ضارعين سائلين { ربنا أفرغ علينا صبراً } حتى نتحمل العذاب في ذاتك { وتوفنا مسلمين } ، ونفذ فرعون جريمته ولكن احدث ذلك اضطراباً في البلاد ولم يكن فرعون ولا ملأه يتوقعون دل عليه الآيات التالية .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- القلوب المظلمة بالكفر والجرائم أصحابها لا يتورعون عن الكذب واتهام الأبرياء .

2- فضيلة الاسترجاع أن يقول { إنا لله وإنا إليه راجعون } حيث فزع إليها السحرة لما هددهم فرعون إذ قالوا { إنا إلى

ربنا منقلبون } أي راجعون فهان عليهم ما تهددوا به .
3- مشروعية سؤال الصبر على البلاء للثبات على الإيمان .
4- فضل الوفاة على الإسلام وأنه مطلب عال لأهل الإيمان .

(493/1)

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (127) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (129)

شرح الكلمات :
{ قال الملأ } : أي لفرعون .
{ أتذر } : أي أنترك .
{ وقومه } : اي بني إسرائيل .
{ ليفسدوا في الأرض } : أي في البلاد بالدعوة إلى مخالفتك ، وترك طاعتك .
{ وآلهتك } : أصناماً صغاراً وضعها ليعبدها الناس وقال أنا ربكم الأعلى وربها .
{ نستحيي نساءهم } : نبقي على على نسائهم لا تذبحهن كما تذبح الأطفال الذكور .
{ ويستخلفكم في الأرض } : أي يجعلكم خلفاء فيها تخلفون الظالمين بعد هلاكهم .
معنى الآيات :
ما زال السياق في أحداث قصص موصى وفرعون انه بعد انتصار موسى في المباراة وإيمان السحرة ظهر أمر موسى واتبعه ستمائة ألف من بني إسرائيل ، وخاف قوم فرعون من إيمان الناس بموسى وبما جاء به من الحق قالوا لفرعون على وجه التحريض والتحريك له { أتذر موسى وقومه } يريدون بني إسرائيل { ليفسدوا في الأرض } أي أرض مصر فإفساد خدمك وعبيدك { ويذرك وآلهتك } أي ويترك فلا يخدمك ولا يطيعك ويترك آلهتك فلا يعبدها إذ كان لفرعون أصنام يدعو الناس لعبادتها لتقربهم إليه وهو الرب الأعلى للكل . وبعد هذا التحريش الإغراء من رجال فرعون ليبطش بموسى وقومه قال فرعون { سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم } كما كان يفعل قبل عند أخبر بأن سقوط ملكه سيكون على يد بني إسرائيل { وإنا فوقهم قاهرون } هذه الكلمة من فرعون في هذا الظرف بالذات لا تعد وأن تكون تعويضاً عما فقد من جبروت ورهبوت كان له قبل هزيمته في المبارة وإيمان السحرة برب العالمين رب موسى وهارون . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (127) وهي قوله تعالى { وقال الملأ من قوم فرعون : أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ، ويذرك وآلهتك . قال سنقتل طأبناءهم ونستحيي نساءهم ، وإنا فرقهم قاهرون } وكان رد موسى عليه السلام على هذا التهديد والوعيد الذي أرعب بني إسرائيل وأخافهم ما جاء في الآية الثانية (128) { وقال موسى لقومه } أي من بني إسرائيل

{ استعينوا بالله } على ما قد ينالكم من ظلم فرعون ، وما قد يصيبكم من أذى انتقاماً لما فقد من علوه وكبريائه { واصبروا } على ذلك ، واعلموا { ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين } فمى صبرتم على ما يصيبكم فلم تجزعوا فترتدوا ، واتقيتم الله ربكم فلم تتركوا طاعته وطاعة رسوله أهلك عدوكم وأورثكم أرضه ودياره ، وسبحان الله هذا الذي ذكره موسى لبني إسرائيل قد تم حرفياً بعد فترة صبر فيها بنو إسرائيل واتقوا كما سيأتي في هذا السياق بعد كذا آية ، وهنا قال بنو إسرائيل ما تضمنته الآية الأخيرة (129) { قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا } بما أتيتنا به من الدين والآيات ، وذلك عندما كان فرعون يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم للخدمة { ومن بعدما جئتنا } وهذه منهم كلمة الآيس المهزوم نفسياً لطول ما عانوا من الاضطهاد والعذاب من فرعون وقومه الأقباط .

(494/1)

فأجابهم موسى عليه السلام قائلا : محيياً الأمل في نفوسهم وإيصالهم بقوة الله التى لا تقهم { عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون } وهذا الذي رجاه موسى ورجاه بني إسرائيل قد تم كاملاً بلا نقصان والحمد لله الكريم المنان .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- خطر بطانة السوء على الملوك والرؤساء تجلت في إثارة فرعون ودفعه إلى البطش بقولهم { أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض . . . الخ } .

2- بيان فضيلة الصبر والتقوى أنها مفتاح النصر وإكسير الكمال البشري .

3- النفوس المريضة علاجها عسير ولكن بالصبر والمثابرة تشفى إن شاء الله تعالى .

4- بيان صدق ما رجاه موسى من ربه حيث تحقق بحذافيره .

5- استحسان رفع معنويات المؤمنين بذكر حسن العاقبة والتبشير بوعد الله لأوليائه أهل الإيمان والتقوى .

(495/1)

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (130) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (131) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (132) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (133)

شرح الكلمات :

{ أخذنا آل فرعون بالسنين } : أي عاقبناهم بِسِنِيي الجدب والقحط .

{ ونقص من الثمرات } : بالجوائح تصيبها ، وبعدم صلاحيتها .

{ الحسنة } : ما يحسن من خصب ورخاء وكثرة رزق وعافية .

{ سيئة } : ضد الحسنة وهي الجدب والغلاء والمرض .

{ يطيروا بموسى } : أي يتشاءمون بموسى وقومه .

{ الطوفان والضفادع } : الطوفان الفيضانات المغرقة ، والجراد معروف بأكل الزرع والثمار ، والقمل جائز أن يكون القمل المعروف وجائز أن يكون السوس في الحبوب ، والضفادع جمع ضفدعة . حيوان يوجد في المياه والمستنقعات .

{ والدم } : والدم معروف قد يكون دم رعاف أو نزيف ، أو تحول الماء ماء الشرب الى دم عبيط في أوانيهم وأفواههم آية لموسى عليه السلام .

{ فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين } : حيث لم يؤمنوا بهذه الآيات . أي مفسدين حيث حكم بإهلاكهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص موسى مع آل فرعون انه لما شاهد فرعون وآله آية العصا وانهزام السحر أمامهم وإيمان السحرة خملهم الكبر على مواصلة الكفر والعناد فأصابهم الرب تعالى بجفاف وقحط سنوات لعلهم يذكرون ، ولم يذكروا فحول الله تعالى جدبهم الى خصب ، وبلاءهم إلى عافية فلم يرجعون وقالوا في الرخاء هذه لنا نحن مستحقوها وجديرون بها ، وقالوا في القحط والبلاء قالوا هذه من شؤم موسى وبني إسرائيل ، قال تعالى { ألا أنما طائرهم عند الله } وذلك لأنه مدبر الأمر وخالق كل شيء وجاعل للحسنة أسبابها وللسيئة أسبابها ولكن أكثرهم لا يعلمون فلذلك قالوا اطيرنا بموسى ومن معه وأصروا على الكفر ولجوا في المكابرة والعناد حتى قالوا لموسى { مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين } ولو علموا ما أصروا على الكفر ولما قالوا ما قالوا فأسباب الحسنة الإيمان والتقوى ، وأسباب السيئة الكفر والمعاصي ، إذ المراد بالحسنة والسيئة هنا : الخير والشر . وهنا وبعد هذا الإصرار والعناد والمكابرة رفع موسى يديه إلى ربه يدعوه فقال : يا رب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغا وعتا ، وأن قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ، ولقومي عظة ، ولمن بعدهم آية ، فاستجاب الله تعالى دعاءه فأرسل عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم فأخذهم الطوفان أولاً فكادوا يهلكون بالغرق فجاءوا موسى وطلبوا منه أن يدعو ربه ليرفع عنهم هذا العذاب فإن رفعه عنهم آمنوا وأرسلوا معه بني إسرائيل فدعا ربه واستجاب لله تعالى فأخذوا شهراً في عافية فطلب منهم موسى ما وعدوه به فتنكروا لوعدهم وأصروا على كفرهم فأرسل الله تعالى عليهم الجراد فأكل زروعهم وأشجارهم وثمارهم حتى ضجوا وصاحوا وأتوا موسى عنهم ذلك فلبثوا مدة آمنين من هذه العاهة وطالبهم موسى بوعدهم فتنكروا له ، وهكذا حتى تمت الآيات الخمس مفصلات ما بين كل آية وأخرى مدة تقصر وتطول فاستكبروا عن الإيمان والطاعة وكانوا قوماً مجرمين مفسدين لا خير فيهم ولا عهد لهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- من تدبير الله تعالى أخذه عباده بالشدائد لعلهم يذكرون فيتعظون ويتوبون .

2- بطلان التطير مطلقاً ، وإنما الشؤم في المعاصي بمخالفة شرع الله فيترتب على الفسق والعصيان البلاء والعذاب .

3- الجهل سبب الكفر والمعاصي وسوء الأخلاق وفساد الأحوال .

4- عدم إيمان آل فرعون مع توارد الآيات عليهم دال على أن إيمانهم لم يسبق به القدر .

كما هو دال على أن الآيات المعجزات لا يتستلزم الإيمان بالضرورة .

5- التنديد بالإجرام وهو إفساد النفس بالشرك والمعاصي .

(496/1)

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (135) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (136) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (137)

شرح الكلمات :

{ الرجز } : العذاب وهو الخمسة المذكورة في آية (133) الآنفة الذكر .

{ إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون } : المراد من الأجل أنهم كانوا إذا سألوا موسى أن يدعو ربه ليرفع عنهم العذاب ويعدونه بالإيمان وإرسال بنس إسرائيل معه فيرفع الله عنهم العذاب فيمكثون زمنا ثم يطالبهم موسى بالإيمان وإرسال بني إسرائيل فيأبون عليه ذلك وينكثون عهدهم .

{ فانتقمنا منهم } : أي أنزلنا بهم نقمتنا فأغرقناهم في اليم الذي هو البحر .

{ الذين كانوا يستضعفون } : هم بنو إسرائيل .

{ مشارق الأرض ومغاربها } : هي أرض مصر والشام .

{ وتمَّت كلمة ربك الحسنى } : هي وعدة تعالى لهم في قوله { ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين } - من سورة القصص - .

وما كانوا يعرشون : أي يرفعون من مباني الدور والقصور العالية .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص موسى مع فرعون وقومه ، وهذه هي الآيات الأخيرة في هذا القصص . إنه لما وقع عليهم الرجز وهو العذاب المفصل الطوفان فالجراد ، فالقمل ، فالضفادع ، فالدم { قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك } أي من كشف العذاب عنا إن نحن آمنا بك وبما جئت به وبما تطالب به من إرسال بني إسرائيل معك وحلفوا وقالوا { لئن كشفت عنا الرجز } { لنؤمن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل } قال تعالى : { فلما كشف عنهم الرجز } أي العذاب إلى أجل هم بالغوه } إلى وقت ينتهون إليه { إذ هم ينكثون } عهودهم ولم يؤمنوا ولم يرسلوا بني إسرائيل وكان هذا ما بين كل آية وآية حتى كانت الخمس الآيات ، ودقت ساعة هلاكهم قال تعالى { فأغرقناهم في اليم } وهو البحر الملح أي أغرق فرعون وجنده ورجال دولته وأشراف بلاده ، ثم ذكر تعالى علة هذ الهلاك الذي حاق بهم ليكون عبرة لغيرهم

وخاصة قريش التي ما زالت مصرة على الشرك والتكذيب ، فقال تعالى { بأنهم كذبوا بآياتنا وكانا عنها غافلين } كما هي الحال في قريش ومشركي العرب وكفارهم . وختم تعالى هذا القصص قصص موسى مع فرعون بقوله { وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون } وهم بنو إسرائيل حيث استعبدهم فرعون الظالم وآله زمناً غير قصير { مشارق الأرض ومغاربها } وهي أرض مصر والشام إذ الكل مما بارك الله تعالى فيه إلا أن أرض الشام أولاً ثم أرض مصر ثانياً ، إذ دخل بنو إسرائيل أرض فلسطين بعد وفاة موسى وهارون حيث غزا بهم يوشع بن نون العمالقة في أرض فلسطين وفتح البلاد وسكنها بنو إسرائيل وقوله تعالى { وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا } والمراد من كلمة الله قوله في سورة القصص { ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ، ونري فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون }

(497/1)

وقوله تعالى { ودمرنا ما كان يعرشون } ويرفعون ويعلون من صروح عالية ، وحدائق أعناب زاهية زاهرة وأورث أرضهم وديارهم وأموالهم قوماً أخرين غيرهم ، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . إلى هنا انتهى قصص موسى عليه السلام مع فرعون وملائه وكانت العاقبة له والحمد لله .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1– ضعف الإنسان يظهر عند نزول البلاء به حيث يفزع إلى الله تعالى يدعوه ويضرع إليه وعند رفعه حيث ينسى ما نزل به ويعود إلى عاداته وما كان عليه من الشرك والمعاصي إلا من آمن وعمل صالحاً فإنه يخرج من دائرة الضعف حيث يصبر عند البلاء ويشكر عند النعماء .

2– سبب العذاب في الدنيا والآخر التكذيب بآيات الله بعدم الإيمان والعمل بها ، والغفلة عنها حيث لا يتدبّر ولا يفكر فيها وفي ما نزلت لأجله .

3– مظاهر قدرة الله ، وصادق عنده ، وعظيم منته على خلقه ، وحسن تدبيره فيهم فسبحانه من إله عليم حكيم ، رؤوف رحيم .

(498/1)

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140) وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (141)

شرح الكلمات :

{ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر } : أي قطعنا بهم فاجتازوه إلى ساحله .

{ يعكفون على أصنام لهم } : يجلسون إلى تماثيل بقر منحوته من حجر .

{ اجعل لنا إلهاً } : أي معبوداً يريدون تمثالاً كالذي شاهدوه .

{ تجهلون } : أي أنَّ العبادة لا تكون إلا لله تعالى .

{ متبرما هم فيه } : هالك خاسر لا يكسبرهم خيراً ولا يدفع عنهم شراً .

{ وإذ نجيناكم } : أي واذكروا نعم الله عليكم بإنجائه إياكم من آل فرعون .

{ يسومونكم سوء العذاب } : يوردونكم موارد الردى والهلاك بما يصيبونكم به من عذاب .

{ بلاء من ربكم } : أي اختبار وامتحان قاسٍ شديد .

معنى الآيات :

هذا بداية قصص جديد لنبي الله تعالى موسى مع قومه من بني إسرائيل إنه بعد هلاك فرعون وجنوده في اليم ، انتهى الكلام على دعوة موسى لفرعون وملئه ، وبذلك استقبل موسى وأخوه هارون مشاكل جديدة مع قومهما انه بعد أن جاوز تعالى ببني إسرائيل البحر ونزلوا على شاطئه سالمين مرّوا بأناس يعكفون على تماثيل لهم وهي عبارة عن أبقار حجرية منحوته نحتاً يعبدونها وهم عاكفون عليها وما إن رأى بنو إسرائيل هؤلاء العاكفين على الأصنام حتى قالوا لموسى يا موسى اجعل لنا إلها كما لهؤلاء آلهة ، وهي كلمة دالة على جهلٍ بالله تعالى وآياته . فما كان من موسى عليه السلام حتى جابههم بقوله : { إنكم قوم تجهلون } وواصل تأنيبه لهم وإنكاره الشديد عليهم فقال { إن هؤلاء } أي العاكفين على الأصنام والذين غرتكم حالهم { متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون } أي إنهم وما هم عليه من حال في هلاك وخسار ، ثم قال لهم منكرً متعجباً { أغير الله أبغيكم إلهاً } أي غير ربي عز وجل أطلب لكم إلهاً تعبدونه دون الله ما لكم أين يذهب بعقولكم ، وهو سبحانه وتعالى فضلكم على العالمين وشرفكم على سائر سكان المعمورة أهكذا يكون شكركم له بطلب إله غيره ، وهل هناك من يستحق العبادة غيره؟ وقوله تعالى في الآية الأخيرة (141) { وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب } إياكم من فرعون وآله وهم الذين كانوا على منهجه في الظلم والكفر من رجال حكمه وأفراد شرطه وجيوشه { يسومونكم سوء العذاب . يقتلون أبناءكم } حتى لا تكثروا ، { ويستحيون نساءكم } للامتهان والخدمة ، وفي هذا التعذيب والإنجاء منه { بلاء من ربكم عظيم } يتطلب شكركم لا كفركم ، فيكف تريدون أن تعبدوا غيره ، وتشركوا به أصناماً لا تنفع ولا تضر ، إن أمركم لجد مستغرب وعجب فاتقوا الله وتوبوا إليه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه دال على جهل تام في بني إسرائيل ولذا قال لهم موسى { إنكم قوم تجهلون } فالعلة في هذا الطلب العجيب هي الجهل بالله تعالى وأسمائه وصفاته ، يشهد لهذا أن مسلمة الفتح لما خرج بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حينين مروا بسدرة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أجعلها لنا ذات أنواط نبيط بها فعجب الرسول من قوله وقال

« سبحان الله ما زدتم أن قلتم كما قال بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة » فجهل القائلين هو الذي سهل عليهم أن يقولوا مثل هذا القول ، ويشهد لذلك أن آلاف الأشجار والمزارات في بلاد المسلمين تزار ويتبرك بها وتقدم لها القرابين ولا علة لذلك سوى جهل المسلمين بربهم عز وجل .

2- إنكار المنكر عند وجوده والعثور عليه بالأسلوب الذي غيره .

3- استحباب التذكير بأيام الله خيرها وشرها لاستجلاب الموعظة للناس لعلهم يتوبون .

4- الرب تعالى يبتلي بالخير والغير ، وفي كل ذلك خير لمن صبر وشكر .

(500/1)

وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (142) وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143) قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (145)

شرح الكلمات :

{ ميقات } : الميقات : الوقت المعين .

أخلفني في قومي : أي كن خليفتي فيهم .

{ المفسدين } : أي كن خليفتي فيهم .

{ استقر مكانه } : الذين يعملون بالمعاصي .

{ خرّ } : سقط على الأرض .

{ أفاق } : ذهب عنه الإغماء وعاد إليه وعيه .

{ اصطفيتك } : أخرتك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر أحداث موسى مع بني إسرائيل انه لما نجى الله تعالى بني إسرائيل من فرعون وملئه ، وحدثت حادثة طلب بني إسرائيل من موسى أن يجعل لهم إلهاً كما للمشركين إلهاً وقد أنبأهم موسى وأدبهم عن قولهم الباطل واعد الله تعالى موسى أن يناجيه بجبل الطور وجعل له الموعد الذي يلقاه فيه شهراً ثلاثين يوماً وكانت شهر القعدة وزادها عشراً من أول الحجة فتم الميقات أربعين ليلة . وعند خروجه عليه السلام استخلف في بني إسرائيل أخاه هارون وأوصاه بالإصلاح ، ونهاه عن اتباع آراء المفسدين هذا معنى قوله تعالى { وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر

فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين } وكان ذلك من أجل أن يأتي بني إسرائيل بكتاب من ربهم يتضمن شريعة كاملة يساسون بها وتحكمهم ليكملوا ويسعدوا عليها .

وقوله تعالى { ولما جاء موسى لميقاتنا } أي في الموعد الذي واعدنا والوقت الذي حددنا وكلمه ربه بلا واسطة بينهما بل كان يسمع كلامه ولا يرى ذاته ، تاقت نفس موسى لرؤية ربه تعالى ، فطلب ذلك فقال { ربّ أرني أنظر إليك } فأجابه ربه تعالى بقوله إنك لن تراني أي رؤيتك لي غير ممكنة لك ، ولكن إذا أردت أن تتأكد من أن رؤيتك لي في هذه الحياة غير ممكنة فانظر إلى الجبل « جبل الطور » فإن استقر مكانه بعد أن أتجلى له ، فسوف تراني { فلما تجلى للجبل جعله دكاً وخر موسى } عند رؤية الجبل { صَعِقا } أي مغشياً عليه { فلما أفاق } مما اعتراه من الصعق { قال سبحانك } أي تنزيهاً لك وتقديساً { تبت إليك } فلم أسألك بعد مثل هذا السؤال { وأنا أول المؤمنين } بك وبجلالك وعظيم سلطانك وأنا عبدك عاجز عن رؤيتك في هذه الدار دار التكليف والعمل .

وها أجابه ربه تعالى قائلا { يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك } من هذا الكمال والخير والعظيم { وكن من الشاكرين } لي على إنعامي لأزيدك وذلك بطاعتي والتقرب إلى بفعل محابي وترك مكارهي .

وقوله تعالى { وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء } أي كتبنا له في ألواحه من كل شيء من أمور الدين والدنيا موعظة لقومه من أمر ونهي وترغيب وترهيب ، وتفصيلا لكل شيء يحتاجون إلى بيانه وتفصيله .

(1/2)

وقوله { فخذها بقوة } أي وقلنا له خذها بقوة أي بعزم وجد وذلك بالعمل بحلالها وحرامها فعلاً وتركاً ، { وأمر قومك } أيضاً { يأخذون بأحسنها } أي بما هو عزائم فيها وليس برخص تربية لهم وتعويداً لهم على تحمل العظائم لما لازمهم من الضعف والخور دهراً طويلاً . وقوله تعالى { سأريكم دار الفاسقين } يتضمن النهي لبني إسرائيل عن ترك ما جاء في الألواح من الشرائع والأحكام فإنهم متى تركوا ذلك أو شيئاً منه يعتبرون فاسقين ، وللفاسقين نار جهنم هي جزاؤهم يوم يلقون ربهم ، وسيريهم إياها ، فهذه الجملة تحمل غاية الوعيد والتهديد للذين يفسقون عن شائع الله تعالى بإهمالها وعدم العمل بها ، فليحذر المؤمنون هذا فإنه أمر عظيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- المحافظة على المواعيد أمر محبوب للشارع مرغب فيه وهو من شمات الصادقين .

2- جواز الاستخلاف في الأرض في مهام الأمور فضلاً عما هو دون ذلك .

3- مشروعية الوصية للخلفاء بما هو خير .

4- امكان رؤية الله تعالى وهي ثابتة في الآخرة لأهل الجنة .

5- استحالة رؤية الله تعالى في الدنيا لضعف الإنسان على ذلك .

6- وجود الامة القابلة لأحكام الله قبل وجود الشرع الذي يحكمها .

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (147)

شرح الكلمات :

{ سأصرف } : سأبعد .

{ يتكبرون } : يعلون ويترفعون فيمنعون الحقوق ويحتقرون الناس .

{ سبيل الرشد } : طريق الحق القائم على الإيمان والتقوى .

{ سبيل الغي } : طريق الضلال القائم على الشرك والمعاصي .

{ وكانوا عنها غافلين } : لا يلتفتون إليها ولا ينظرون فيها ولا يتفكرون فيما تدل عليه وتهدي إليه .

{ حبطت أعمالهم } : فسدت فلا ينتفعون بها لأنها أعمال مشرك والشرك محبط للعمل .

معنى الآيتين الكريمتين :

هاتان الآيتان تحملان تعليلاً صحيحاً صائباً لكل انحراف وفساد وظلم وشر وقع في الأرض ويقع إلى نهاية هذه الحياة وهذا التعليل الصحيح هو التكذيب بآيات الله والغفلة عنها ، وساء كان الحامل على التكذيب الكبر أو الظلم ، أو التقليد أو العناد ، إلا أن الكبر أقوى عوامل الصرف عن آيات الله تعالى لقوله عز وجل في مطلع الآية الأولى (146) { سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق } ومن صرفه الله حسبت سنته في صرف العباد لا يقبل ولا يرجع أبداً ، وقوله { وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً ، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً } هذا بيان لعامل من عوامل الصرف عن آيات الله ، وهو أن يعرض على العبد سبيل الرشد فيرفضه ، ويرى سبيل الغي فيتبعه ويتخذه سبيلاً ، وقوله تعالى { ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا } التي جاءت بها رسلنا { وكانوا عنها غافلين } غير مبالين بها ولا ملتفتين اليها هذا هو التعليل الصحيح الذي نبهنا إليه فليتأمل ، وقوله تعالى في الآية الثانية (147) { والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم } تقرير المراد به تأكيد خسران أولئك المصروفين عن آيات الله تعالى ، إذ أعمالهم لم تقم على أساس العدل والحق بل قامت على أساس الظلم ولاباطل فلذا هي باطلة من جهة فلا تكسبهم خيراً ، ومن جهة أخرى فهي أعمال سوء سوف يجزون بها سوءاً في دار الجزاء وهو عذاب الجحيم ، ولذا قال تعالى { هل يجزون الا ما كانوا يعملون } أي ما يجزون إلا ما كانوا يعملون من السوء ، وعدالة الله تعالى أن من جاء بالسيئة فلا يجزى إلى مثلها وهم لا يظلمون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان سنة الله تعالى في صرف العباد عن آيات الله حتى يهلكوا كما هلك فرعون وآله .

2- من أقوى عوامل الصرف عن آيات الله الكبر .

3- التكذيب بآيات الله والغفلة عنها هما سبب كل ضلال وشر وظلم وفساد .

4- بطلان كل عمل لم يسلك فيه صاحبه سبيل الرشد التي هي سبيل الله التي تحدد الآيات القرآنية وتبين معالمها ، وترفع أعلامها .

(3/2)

وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (148) وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (149)

شرح الكلمات :

{ من حليهم } : جمع حلي وهو ما تتحلى به المرأة لزوجها من أساور ونحوها من ذهب .

{ عجلاً جسداً } : العجل ولد البقرة والجسد أي ذاتا لا مجرد صورة على ورق أو جدار .

{ له خوار } : الخوار صوت البقر كالرغاء صوت الابل .

{ ولما سقط في أيديهم } : أي ندموا على عبادته لأنها عبادة باطلة .

معنى الآيات :

هذا عود إلى قصص موصى عليه السلام مع قومه من بني إسرائيل ، فقد كان السياق مع موسى في جبل الطور وطلبه الرؤية وتوبته من ذلك ثم اعترض السياق ببيان القاعدة العظيمة في تعليل هلاك العباد وبيان سببه وهو التكذيب بآيات الله المنزلة والغفلة عنها ، ثم عاد السياق لقصص موسى مع بني إسرائيل فقال تعالى { واتخذ قوم موسى من بعده } أي من بعد غيبته في جبل الطور لمناجاة ربه وليأتي بالكتاب الحاوي للشريعة التي سيسوسهم بها موسى ويحكمهم بموجبها ومقتضى قوانينها اتخذوا { من حليهم } التي حلي نسائهم { عجلاً جسداً له خوار } وذلك أن السامري طلب من نسائهم حليهم بحجة واهية : أن هذا الحلي مستعار من نساء الأقباط ولا يحل تملكه فاحتال عليهم وكان صائغاً فصهره وأخرج لهم منه { عجلاً جسداً } أي ذاتاً { له خوار } أي سوت كصوت البقر ، وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى فاعبدوه ولم يقل وإله هارون لأن هارون كان معهم خليفة فخاف أن يكذبه هارون فلم ينسبه إليه ، وقوله تعالى { ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً } توبيخ لهم وتقريع على غباوتهم وجهلهم ، وإلا كيف يعتقدون إلهاً وهو لا يتكلم فيكلمهم ولا يعقل فيهديهم سبيل الرشد إن ضلوا وقد ضلوا بالفعل ثم قال تعالى { اتخذوه } أي إلهاً { وكانوا ظالمين } في ذلك ، لأن الله رب موسى وهارون والعالمين لم يكن عجلاً ولا مخلوقاً كائناً من كان فما أجهل القوم وما أسوأ فهمهم وحالهم . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (148) وأما الآية الثانية (149) فقد أخبر تعالى عن حالهم بعد انكشاف الامر لهم ، وبيان خطئهم فقال تعالى { ولما سقط في أيديهم } أي ندموا ندماً شديداً ورأوا أنهم بشركهم هذا قد ضلوا الطريق الحق والرشد ، صاحوا معلنين توبتهم { لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا } أي هذا الذنب العظيم { لنكونن من الخاسرين } في الدار الآخرة فنكون من أصحاب الجحيم .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- بيان سنة من سنن الكون وهي أن المرء يتأثر بما يرى ويسمع ، والرؤية أكثر تأثيراً في النفس من السماع فإن بني إسرائيل رؤيتهم للأبقار الآلهة التي مروا بأهل قرية يعكفون عليها وطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً مثلها هو الذي جعلهم يقبلون عجل السامري الذي صنعه لهم ، ومن هذا كان منظر الأشياء في التلفاز وشاشات الفيديوا مؤثراً جداً وكم أفسد من عقول ولوث من نفوس ، وأفسد من أخلاق .

2- تقبيح الغباء والجمود في الفكر ، وذلك لقول الله تعالى { ألم يروا أنه لا يكلمهم } .

3- إذا أراد الله بعبده خراً ألهمه التوبة بعد المعصية فندم واستغفر .

(4/2)

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (150) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (151) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (152) وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (153) وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (154)

شرح الكلمات :

{ ولما رجع موسى } : أي من جبل الطور بعد مرور أكثر من أربعين يوما .

{ أسفاً } : أي حزيناً شديد الحزن والغضب .

{ أعجلتم أمر ربكم } : أي استعجلتم .

{ برأس أخيه } : أي هارون شقيقه .

{ قال ابن أم } : أصلها يا ابن أمي فقلبت الياء ألفاً نحو يا غلاماً ، ثم حذفت وهارون شقيق موسى وإنا ناداه بأمه لأنه أكثر عطفاً وحناناً .

{ فلا تشمت بن الأعداء } : أي لا تجعل الأعداء يفرحون بإهانتك أو ضربك لي .

{ اتخذوا العجل } : أي إلهاً عبدوه .

{ المفترين } : الكاذبين على الله تعالى بالشرك به أي بجعل شريك له .

{ ولما سكت عن موسى الغضب } : زال غضبه وسكنت نفسه من القلق والاضطراب .

{ أخذ الألواح } : أي من الأرض بعد أن طرحها فتكسرت .

{ وفي نسختها } : أي وفي ما نسخه منها بعد تكسرها نسخة فيها هدى ورحمة .

{ يرهبون } : يخافون ربهم ويخشون عقابه فلا يعصونه .

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث قصص موسى مع بني إسرائيل ففي هذا السياق الكريم يخبر تعالى أن موسى عليه السلام لما رجع إلى قومه من مناجاته وقد اخبره ربه تعالى أنه قد فتن قومه من بعده وأن السامري قد أضلهم فلذا رجع { غضبان أسفاً } أي شديد الغضب والحزن ، وما إن واجههم حتى قال { بئسما خلفتموني من بعدي ، أعجلتم أمر ربكم؟ } أي استعجلتم فلم تتموا ميعاد ربكم أربعين يوماً فقلتم مات موسى وبدلتم دينه فعبدتم العجل { والقى الألواح } اي طرحها فتكسرت { وأخذ بلحية } هارون ورأسه يؤنبه على تفريطه في مهام الخلافة فاعتذر هارون فقال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ، إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي هذا وارد في سورة طه وأما السياق هنا فقد قال { يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يتقلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين } وهم الذين ظلموا بعبادة العجل ، ومعنى { لا تشمت بي الأعداء } لا تؤذني بضرب ولا بغيره إذ ذاك يفرح أعاءنا من هؤلاء الجهلة الظالمين ، وهنا رق له موسى وعطف عليه فقال { رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين } توسل إلى الله تعالى في قبول دعائه بقوله { وأنت أرحم الراحمين } هذا ما تضمنته الآية الأولى (150) والثانية (151) أما الآية الثالثة فقد أخبر تعالى بأن الذين اتخذوا العجل أي إلهاً { سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا } وكما جزاهم بالغضب المستوجب للعذاب والذلة المستلزمة للإهانة يجزي تعالى المفترين عليه الكاذبين باتخاذ الشريك له وهو بريء من الشركاء والمشركين ، هذا ما دلت عليه الآية الثالثة (152) أما الآية الرابعة فقد تضمنت فتح باب الله تعالى لمن أراد أن يتوب إليه إذ قال تعالى { والذين عملوا السيئات } جمع سيئة وهي هنا سيئة الشرك { ثم تابوا من بعدها } أي تركوا عبادة غير الله تعالى وآمنوا ايماناً صادقاً فإن الله تعالى يقبل توبتهم ويغفر لهم ذنوبهم ويرحمهم فيدخلهم جنته مع الصالحين من عباده ، هذا ما دلت عليه الآية الرابعة (153) أما الآية الخامسة (154) فقد تضمنت الإخبار عن موسى عليه السلام وانه لما سكت عنه الغضب أي ذهب أخذ الألواح التي ألقاها من شدة الغضب وأخبر تعالى أن في نسخة تلك الألواح { هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون } وهم المؤمنون المتقون وخصوا بالذكر لأنهم الذين يجدون الهدى والرحمة في نسخة الألواح ، لأنهم يقرأون ويفهمون يعلمون وذلك لإيمانهم وتقواهم .

(5/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- الغضب من طباع البشر فلا يلام عليه المرء ومهما بلغ من الكمال كالأنبياء ، ولكن أهل الكمال لا يخرج بهم الغضب إلى حد أن يقولوا أو يعملوا ما ليس بخير وصلاح .

2- مشروعية الاعتذار وقبول العذر من أهل المروءات .

3- مشروعية التوسل بأسماء الله وصفاته .

4- كل وعيد الله تعالى توعد به عبداً من عباده مقيد بعدم توبة المتوعد .

5- كل رحمة وهدى ونور في كتاب الله لا ينتفع به إلا أهل الإيمان والتقوى .

(6/2)

وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)

شرح الكلمات :

{ واختار موسى قومه سبعين رجلاً } : أخذ خيار قومه وهم سبعون رجلاً .

{ لميقاتنا } : أي للوقت الذي حددناه ليأتينا مع سبعين رجلاً .

{ أخذتهم الرجفة } : الصاعقة التي رجفت لها القلوب .

{ السفهاء } : جمع سفيه : وهو الذي لا رشد له في سائر تصرفاته .

{ إن هي إلا فتنتك } : أي ما هي إلا فتنتك أي اختبارك لأهل الطاعة من عبادك .

{ أنت ولينا } : أي المتولي أمرنا وليس لنا من ولي سواك .

{ هدنا إليك } : أي رجعنا إليك وتبنا .

{ الأمي } : الذي لا يقرأ ولا يكتب .

{ المعروف ، والمنكر } : ما عرفه الشرع والمنكر : ما أنكره الشرع .

{ ويحرم عليها الخبائث } : أي بإذن الله والخبائث جمع خبيثة : كالميتة مثلاً .

{ ويضع عنهم إصرهم والأغلال } : الإصرار : العهد والأغلال : الشدائد في الدين .

{ عزروه } : أي وقروه وعظموه .

{ واتبعوا النور الذي أنزل معه } : القرآن الكريم .

{ هم المفلحون } : الفائزون أي الناجون من النار الداخلون الجنة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث موسى مع بني إسرائيل فإنه بعد الحدث الجلل الذي حصل في غيبة موسى وذلك هو عبادة بني إسرائيل العجل واتخاذهم له إلهاً فإن الله تعالى وقت لموسى وقتاً يأتيه فيه مع خيار بني إسرائيل يطلب لهم التوبة من

الله سبحانه وتعالى . قال تعالى { واختار موسى قومه سبعين رجلاً } ولما انتهى بهم إلى جبل الطور وغشيت الجبل غمامة وأخذ موسى يناجي ربه تعالى وهم يسمعون قالوا لموسى لن نؤمن لك بأن الذي كان يكلمك الرب تعالى حتى نرى الله جهرة أي عياناً وهنا غضب الله تعالى عليهم فأخذتهم صيحة رجفت لها قلوبهم والأرض من تحتهم فماتوا كلهم ، وهو معنى قوله تعالى { فأخذتهم الرجفة } وهنا أسف موسى عليه السلام لموت السبعين رجلاً وقد اختارهم الخير فالخير فإذا بهم يموتون أجمعون فخاطب ربه قائلا { رب لو شئت أهلكتهم من قبل } أي من قبل مجيئنا إليك { وإياي } وذلك في منزل بني إسرائيل حيث عبدوا العجل { أتهلكنا بما فعل السفهاء منا } أي بسبب فعل السفهاء الذين لا رشد لهم ، وهم من عبدوا العجل كما سألوا رؤية الله تعالى ، وقوله عليه السلام { إن هي إلا فتنتك } أي إلا اختبارك وبليتك { تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ، أنت ولينا } فليس لنا سواك { فاغفر لنا } أي ذنوبنا { وارحمنا } برفع العذاب عنا { وأنت خير الغافرين } { واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة } بأن توفقنا لعمل الصالحات وتتقبلها منا ، { وفي الآخرة } تغفر ذنوبنا وتدخلنا جنتك مع سائر عبادك الصالحين ، وقوله { إنا هدنا إليك } أي إنا قد تبنا إليك فأجابه الرب تعالى بقوله { عذابي أصيب به من أشاء } أي من عبادي وهم الذين يفسقون عن أمري ويخرجون عنطاعتي { ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون } وبهذا القيد الوصفي ، وبما بعده خرج إبليس واليهود وسائر أهل الملل ودخلت أمة الإسلام وحدها إلا من آمن من أهل الكتاب واستقام على دين الله وهو الإسلام .

(7/2)

وقوله { الذين يتبعون الرسول النبي الأمي } هو محمد صلى الله عليه وسلم { الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل } وذلك بذكر صفاته والثناء عليه وعلى أمته ، وقوله { يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات } أي التي كانت قد حرمت عليهم بظلمهم { ويحرم عليهم الخبائث } الخمر ولحم الخنزير والربا وسائر المحرمات في الإسلام ، وقوله { ويضع عنهم أصرهم } أي ويحط عنهم تبعة العهد الذي أخذ عليهم بالعمل فيما في التوراة والإنجيل بأن يعملوا بكل ما جاء في التوراة والإنجيل ، وقوله { والأغلال التي كانت عليهم } أي الشدائد المفروض عليهم القيام بها وذلك كقتل النفس بالنفس إذ لا عفو ولا دية وكقطع الثوب للنجاسة تصيبه وغير ذلك من التكاليف الشاقة كل هذا يوضع عليهم إذا أسلموا بدخولهم في الإسلام وقوله تعالى { فالذين آمنوا به } أي بمحمد صلى الله عليه وسلم { وعزروه } أي وقروه وعظموه { ونصروه } على أعدائه من المشركين والكافرين والمنافقين { واتبعوا النور الذي أنزل معه } وهو القرآن الكريم { أولئك هم المفلحون } أي وحدهم دون سواهم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- وجوب التوبة من كل ذنوب ، ومشروعية صلاة ركعتين وسؤال الله تعالى عقبها أن يقبل توبة التائب ويغفر ذنبه .

2- كل سلوك ينافي الشرع فهو من السفه المذموم ، وصاحبه قد يوصف بأنه سفيه .

3- الهداية والإضلال كلاهما بيد الله تعالى فعلى العبد أن يطلب الهداية من الله تعالى ويسأله أن لا يضله .

4- رحمة الله تعالى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فلا تنال اليهود ولا النصارى ولا غيرهم .

5- بيان شرف النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأمته .

6- بيان فضل تزكية النفس بعمل الصالحات وإبعادها عن المدسيات من الذنوب .

7- بيان فضل التقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

8- وجوب توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه ونصرته واتباع الكتاب الذي جاء به والسنن التي سنها لأمته .

(8/2)

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158) وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (159) وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (160) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (161) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (162)

شرح الكلمات :

{ لا إله إلا هو } : أي لا معبود بحق إلا الله .

{ النبي الاسي } : المنبيء عن الله والمنبأ من قبل الله تعالى ، والأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب . نسبة إلى الأم كأنه ما زال لم يفارق أمه فلم يتعلم بعد .

{ يؤمن بالله وكلماته } : الذي يؤمن بالله ربا وإلهاً ، وبكلماته التشريعية والكونية القدرية .

{ تهتدون } : ترشدون إلى طريق كمالكم وسعادتكم في الحياتين .

{ أمة يهدون بالحق } : أي جماعة يهدون أنفسهم وغيرهم بالدين وبه يعدلون في قضائهم وحكمهم على أنفسهم وعلى غيرهم انصافاً وعدلا لا جور ولا ظلم .

{ أسباطاً } : جمع سبط : وهو بمعنى القبيلة عند العرب .

{ استسقاه قومه } : أي طلبوا منه الماء لعطشهم .

{ فانبجست } : فانفجرت .

{ المن والسلوى } : المن : حلوى كالعسل تنزل على أوراق الأشجار ، والسلوى : طائر لذيذ لحمه .

{ اسكنوا هذه القرية } : هي حاضرة فلسطين .

{ وقوله « حطة » } : أي احطط عنا خطايانا بمعنى الإعلان عن توبتهم .

{ رجزاً من السماء } : أي عذاباً من عند الله تعالى .

معنى الآيات :

بعد الإشادة بالنبي الأمي وبأمته ، وقصر الفلاح في الدارين على الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه قد يظن ظان أن هذا النبي شأنه شأن سائر الأنبياء قبله هو نبي قومه خاصة وما ذكر من الكمال لا يتعدى قومه فرفع هذا الوهم بهذه الآية (158) حيث أمر الله تعالى رسوله أن يعلن عن عموم رسالته بما لا مجال للشك فيه فقال { قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً } وقوله { الذي له ملك السموات والأرض } وصف لله تعالى وقوله { لا إله إلا هو } تقرير لألوهية الله تعالى بعد ذكر قدرته وسلطانه وملكه وتدبيره لذا وجب أن لا يكون معبود إلا هو وهو كذلك إذ كل معبود غيره هو معبود عن جهل وعناد وظلم . وقوله { فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي } أمر الإله الحق إلى الناس كافة بالإيمان به تعالى رباً وإلهاً ، وبرسوله النبي الأمي نبياً ورسولاً ، وقوله { الذي يؤمن بالله وكلماته } صفة للنبي الأمي إذ من صفات النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم أنه يؤمن بالله حق الإيمان وأوفاه ويؤمن بكلماته أي بكلمات الرب التشريعية وهي آيات القرآن الكريم ، والكونية التي يُكوِّن الله بها ما شاء من الأكوان إذ بها يقول للشيء كن فيكون كما قال لعيسى بتلك الكلمة كن فكان عيسى عليه السلام وقوله { واتبعوه لعلكم تهتدون } هذا أمر الله إلى الناس كافة بعد الأمر بالإيمان به وبرسوله النبي الأمي أمر باتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم رجاء هداية من يتبعه فيما جاء به فيهتدي إلى سبيل الفوز في الدارين هذا ما تضمنته الآية الأولى (158) أما الآية الثانية (159) فقد تضمنت الإخبار الإلهي بأن قوم موسى وإن ضلوا أو أجرموا وفسقوا ليس معنى ذلك أنه لم يكن فيهم أو بينهم من هم على هدى الله فهذه الآية كانت كالاحتراس من مثل هذا الفهم ، إذ أخبر تعالى أن { من قوم موسى أمة } أي جماعة تكثر أو تقل { يهدون بالحق } أي يعملون بالحق في عقائدهم وعباداتهم ويدعون إلى ذلك وبالحق يعدلون فيما بينهم وبين غيرهم فهم يعيشون على الإنصاف والعدل ، ولم يذكر تعالى أين هم ولا متى كانوا هم؟ فلا يبحث ذلك ، إذ لا فائدة فيه ، ثم عاد السياق إلى قوم موسى يذكر احداثهم للعظة والاعتبار وتقرير الحق في توحيد الله تعالى وإثبات نبوة رسوله وتقرير عقيدة البعث والجزاء أو اليوم الآخر .

(9/2)

فقال تعالى في الآية الثالثة (160) { وقطعناهم } أي بني إسرائيل { اثنتيى عشرة أسباطاً أمماً } أصل السبط ابن البنت وأريد به هنا أولاد كل سبط من أولاد يعقوب عليه السلام ، فالأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب كل قبيلة تنتسب إلى أبيها الأول ، وأتت لفظ اثنتي عشرة لأن معنى الأسباط الفرق والفرقة مؤنثة ، وقوله : { وأوحينا إلى موسى إذا استسقاه قومه } أعلمناه بطريق الوحي وهو الإعلام الخفي السريع ، ومعنى { استسقاه } طلبوا منه السقيا لأنهم عطشوا لقلة الماء في صحراء سيناء . { أن اضرب بعصاك الحجر } هذا الموحى به ، فضرب { فانبجست } أي انفجرت { منه اثنتا عشرة عيناً } ليشرب كل سبط من عينه الخاصة حتى لا يقع اصطدام أو تدافع فينجم عنه الأذى وقوله تعالى { قد علم كل أناس مشربهم } يريد عرف كل جماعة ماءهم الخاص بهم وقوله تعالى { وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى } هذا ذكر لإنعامه تعالى على بني إسرائيل وهم في معية موسى وهارون في حادثة التيه ،

حيث أرسل تعالى الغمام وهو سحاب ابيض بارد يظلهم من الشمس حتى لا تلفحهم ، وأنزل عليهم المن وهي حلوى كالعسل سقط ليلاً كالطل على الأشجار ، وسخر لهم طائراً لذيذ اللحم يقال له السلوى وهو طائر السمانى المعروف وقلنا لهم { كلوا من طيبات ما رزقناكم } وقوله تعالى { وما ظلمونا } بتمردهم على أنبيائهم وعدم طاعتهم لربهم حتى نزل بهم ما نزل من البلاء ، { ولكن كانوا أنفسهم يظلمون } . هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الآية الثالثة (161) فقد تضمنت حادثة بعد أحداث التيه في صحراء سيناء وذلك أن يوشع بن نون بعد أن تولى قيادة بني إسرائيل بعد وفاة موسى وهارون وانقضاء مدة التيه وكانت أربعين سنة غزا يوشع ببني إسرائيل العمالقة في أرض القدس وفتح الله تعالى عليه فقال لنبي إسرائيل ادخلوا باب المدينة ساجدين أي منحنين خضوعاً لله وشكراً على نعمة الفتح بعد النصر والنجاة من التيه ، وقوله اثناء دخولكم الباب كلمة « حطة » الدالة على توبتكم واستغفاركم ربكم لذنوبكم فإن الله تعالى يغفر لكم خطيئاتكم ، وسيزيد الله المحسنين منكم الإنعام والخير الكثر مع رضاه عنكم وادخالكم الجنة ، هذا معنى قول تعالى { وإذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية } أي مدينة فلسطين { وكلوا منها حيث شئتم } لما فيها من الخيرات { وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين } .

(10/2)

أما الآية الرابعة (162) فهي قد تضمنت الإخبار عن الذين ظلموا من بني إسرائيل الذين أمروا بدخول القرية ودخول الباب سجداً . حيث بدلوا { قولاً غير الذي قيل لهم } فبدل حطة قالوا حنطة ، وبدل الدخول منحنين ساجدين دخلوا يزحفون على أستاههم ، فلما رأى تعالى ذلك التمرد والعصيان وعدم الشكر ان أنزل عليهم وباء من السماء كاد يقضي على آخرهم هذا معنى قوله تعالى { فبدل الذين ظلموا منهم قولاًغير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون } .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- عموم رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لكافة الناس عربهم وعجمهم أبيضهم وأصفرهم .

2- هداية الإنسان فرداً أو جماعة أو أمة إلى الكمال والإسعاد متوقفة على اتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

3- إنصاف القرآن للأمم والجماعات فقد صرح أن في بني إسرائيل أمة قائمة على الحق ، وذلك بعد فساد بني إسرائيل ، وقبل مبعث النبي الخاتم أما بعد البعثة المحمدية فلم يبق أحد على الحق ، إلا من آمن به واتبعه لنسخ سائر الشرائع بشريعته .

4- إذا أنعم الله على عبد أو أمة نعمة ثم لم يشكرها تسلب منه أحب أم كره وكائناً من كان .

(11/2)

وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (163) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (164) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (166)

شرح الكلمات :

{ حاضرة البحر } : أي على شاطئه وهي مدينة من مدن أرض القدس .

{ يعدون في السبت } : أي يعتدون وذلك بالصيد المحرم عليهم فيه .

{ يوم سبتهم } : أي يوم راحتهم من أعمال الدنيا وهو يوم السبت .

{ شرعاً } : جمع شارع أي ظاهرة بارزة تغريهم بنفسها .

{ كذلك نبلوهم } : أي نمتحنهم ونختبرهم .

{ بما كانوا يفسقون } : اي بسبب ما أعلنوه من الفسق وهو العصيان .

{ معذرة الى ربكم } : أي ننهاهم فإن انتهوا فذاك وإلا فنهينا يكون عذراً لنا عند ربنا .

{ فلما نسوا ما ذكروا به } : أي أهملوه وتركوه فل يمتثلوا ما أمروا به ولا ما نهوا عنه .

{ عن السوء } : السوء هو كل ما يسيء إلى النفس من سائر الذنوب والآثام .

{ بعذاب بئيس } : أي ذا بأس شديد .

{ فلما عنوا عما نهوا عنه } : أي ترفعوا وطغوا فلم يبالوا بالنهي .

{ قردة خاسئين } : القردة جمع قرد معروف وخاسئين ذليلين حقيرين اخساء .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بني إسرائيل إلا أنه هنا مع رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة فالله تعالى يقول لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام أسألهم أي اليهود { عن القرية التي كانت حاضرة البحر } أي قريبة منه على شاطئه وهي مدينة من مدن أرض القدس والشام ، أي أسألهم عن أهلها كيف كان عاقبة أمرهم ، أنهم مسخوا قردة وخنازير جزاء فسقهم عن أمر ربهم ، وفصل له الحادث تفصيلاً للعبرة والاتعاظ فقال { إذ يعدون في السبت } أي يعتدون ما أذن لهم فيه إلى ما حرم عليهم ، اذن لهم أن يصيدوا ما شاءوا إلا يوم السبت فإنه يوم عبادة ليس يوم لهو وصيد وطرب ، { إذ تأتيهم حيتانهم } أس أسماكهم { يوم سبتهم شرعاً } ظاهرة على سطح الماء تغريهم بنفسها { يوم لا يسبتون } أي في باقي أيام الأسبوع { لا تأتيهم } إذا هم مبتلون ، قال تعالى { كذلك } أي كهذا الابتلاء والاختبار { نبلوهم بما كانوا يفسقون } أي بسبب فسقهم عن طاعة ربهم ورسله ، إذا ما من معصية إلا بذنب هكذا سنة الله تعالى في الناس . هذا ما تضمنته الآية الأولى (163) وهي قوله تعالى { وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون } .

وأما الآية الثانية (164) فالله تعالى يقول لرسوله اذكر لهم أيضاً إذ قالت طائفة منهم أي من أهل القرية لطائفة أخرى كانت تعظ المعتدين في السبت أي تنهاهم عنه لأنه معصية وتحذرهم من مغبة الاعتداء على شرع الله تعالى قالت { لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً } وهذا القول من هذه الطائفة دال على يأسهم من رجوع أخوانهم عن

فسقهم وباطلهم ، فأجابتهم الطائفة الواعظة { معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون } فيتوبوا ويتركوا هذا الاعتداء ، قال تعالى { فلما نسوا تركوا ولم يلتفتوا الى وعظ إخوانهم لهم ووصلوا اعتداءهم وفسقهم ، قال تعالى { أنجينا الذين ينهون عن السوء } وهم الواعظون لهم ممن ملّوا ويئسوا فتركوا وعظهم ، وممن واصلوا نهيهم ووعظهم ، { وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس } أي شديد البأس { بما كانوا يفسقون } عن طاعة الله ربهم ، إذ قال تعالى لهم { كونوا قردة خاسئين } فكانوا قردة خاسئين ذليلين صاغرين حقيرين ، ثم لم يلبثوا (مسخاً) إلا ثلاثة أيام وماتوا .

(12/2)

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1– تقرير الوحي والنبوة لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم إذ مثل هذا القصص الذي يذكر لبني إسرائيل لن يتم إلا عن طريق الوحي ، وإلا فكيف علمه وذكر به اليهود أصحابه وأهله ، وقد مضى عليه زمن طويل .

2– إذا أنعم الله على أمة نعمة ثم اعرضت عن شكرها تعرضت للبلاء أولاً ثم العذاب ثانياً .

3– جدوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد نجى الله تعالى الناهي عن المنكر وأهلك الذين باشروه ولم ينتهوا منه دون غرهم .

4– إطلاق لفظ السوء على المعصية مؤذن بأن المعصية مهما كانت صغيرة تحدث السوء في نفس فاعلها .

(13/2)

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (167) وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (168) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (169) وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (170)

شرح الكلمات :

{ تأذن } : أعلم وأعلن .

{ ليبعثن } : أي ليسلطن .

{ من يسومهم سوء العذاب } : أي يذيقهم ويوليهم سوء العذاب كالذلة والمسكنة .

{ وقطعناهم } : أي فرقناهم جماعات جماعات .

{ بلوناهم بالحسنات والسيئات } : اختبرناهم بالخير والشرك أو النعم والنقم .

{ فخلف من بعدهم خلف } : الخلف بإسكان اللام خلف سوء وبالتحريك خلف خير .

{ ورثوا الكتاب } : أي التوراة .

{ عرض هذا الأدنى } : أي حطام الدنيا الفاني وهو المال .

{ يمسكون بالكتاب } : أي يتمسكون بما في التوراة فيحلون ما أحل الله فيها ويحرمون ما حرم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في شأن اليهود فقد أمر تعالى رسوله أن يذكر إعلامه تعالى بأنه سيبعث بكل تأكيد على اليهود إلى يوم القيامة من يذلهم ويضطهدهم عقوبة منه تعالى لهم على خبث طواياهم وسوء أفعالهم ، وهذا الإطلاق في هذا الوعيد الشديد يقيد بأحد أمرين الأول بتوبة من تاب منهم ويدل على هذا القيد قوله تعالى في آخر هذه الآية { إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم } أي لمن تاب والثاني بجوار دولة قوية لهم وحمايتها وهذا مفهوم قوله تعالى من سورة آل عمران { ضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله } وهو الإسلام { وحبل من الناس } ، وهو ما ذكرنا آنفا . هذا ما دلت عليه الآية الأولى في هذا السياق (167) وهي قوله تعالى { وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم } وأما الآية الثانية (168) فقد تضمنت بيان فضل الله تعالى على اليهود وهو أن الله تعالى قد فرقهم في الأرض جماعات جماعات ، وأن منهم الصالحين ، وأن منهم دون ذلك وأنه اختبرهم بالحسنات وهي النعم ، والسيئات وهي النقم تهيئة لهم وإعداداً للتوبة إن آثروا التوبة على الاستمرار في الإجرام والشر والفساد . هذا ما تضمنته الآية الثانية وهي قوله تعالى { وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ، وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون } وأما الآية الثالثة (169) فقد أخبر تعالى أنه قد خلف من بعد تلك الأمة خلف سوء ورثوا الكتاب الذي هو التوراة ورثوه عن أسلافهم ولم يتلزموا بما أخذ عليهم فيه من عهود على الرغم من قراءتهم له فقد آثروا الدنيا على الآخرة فاستباحوا الربا والرشا وسائر والمحرمات ، ويدعون أنهم سيغفر لهم ، ولكما أتاهم مال حرام أخذوه ومنوا أنفسهم بالمغفرة كذباً على الله تعالى قال تعالن موبخاً لهم { ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق } وقد قرأوا هذا في الكتاب وفهموه ومع هذا يجترئون على الله ويكذبون عليه بأنه سيغفر لهم ، ثم يواجههم تعالى بالخطاب مذكراً لهم واعظاً فيقول { والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون؟ } ويفتح الله تعالى باب الرجاء لهم في الآية الرابعة في هذا السياق فيقول { والذين يمسكون بالكتاب } أي يعملون بحرص وشدة بما فيه من الأحكام والشرائع ولا يفرطون في شيء من ذلك { وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين } ، ومعنى هذا أنهم مصلحون إن تمسكوا بالكتاب وأقاموا الصلاة ، وان الله تعالى سيجزيهم على إصلاحهم لأنفسهم ولغيرهم أعظم الجزاء وأوفره ، لأنه تعالى لا يضيع أجر المصلحين .

(14/2)

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- بيان موجز لتاريخ اليهود في هذه الآيات الأربع .

2- من أهل الكتاب الصالحون ، ومنهم دون ذلك .

3- التنديد بإيثار الدنيا على الأخرة ، وبتمني المغفرة مع الإصرار على الإجرام .

4- تفضيل الآخرة على الدنيا بالنسبة للمتقين .

5- الحث على التمسك بالكتاب قراءة وتعلماً وعملاً بإحلال حلاله وتحريم حرامه .

6- فضل اقام الصلاة .

(15/2)

وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (171) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (174)

شرح الكلمات :

{ وإذ نتقنا الجبل } : أي رفعناه من أصله فوق رؤوسهم .

{ واقع بهم } : أي ساقط عليهم .

{ خذوا ما آتيناكم بقوة } : التزموا بالقيام بما عهد إليكم من أحكام التوراة بقوة .

{ واذكروا ما فيه } : أي لا تنسوا ما التزمتم به من النهوض بأحكام التوراة .

{ من ظهورهم ذريتهم } : اي أخذهم من ظهر آدم عليه السلام بأرض نعمان من عرفات .

{ أشهدهم على أنفسهم } : أي بأنه تعالى وإلههم ولا رب لهم غيره ولا إله لهم سواه .

{ المبطلون } : العاملون بالشرك والمعاصي إذ كلها باطل لا حق فيه .

{ نفصل الآيات } : نبينها ونوضحها بتنويع الأساليب وتكرار الحجج وضرب الامثال وذكر القصص .

معنى الآيات :

الآية الأولى في هذا السياق هي خاتمة الحديث على اليهود إذ قال تعالى لرسوله { وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة } أي اذكر لهم ايها الرسول إذ نتقنا أي رفعنا فوقهم جبل الطور من أصله وصار فوقهم كأنه ظلة { وظناو أنه واقع بهم } أي ساقط عليهم وقلنا لهم { خذوا ام آتيناكم بقوة } والمراد ما آتاهم أحكام التوراة وما تحمل من الشرائع وأخذها العمل بها والالتزام بكل ما أمرت به ونهت عنه وقوله تعالى { واذكروا ما فيه } أي في الذي آتيناكم من الأوامر والنواهي ، ولا تنسوه فإن ذكره من شأنه أن يعدكم للعمل به فتحصل لكم بذلك تقوى الله عز وجل ، هذا ما دلت عليه الآية الأولى وهي خاتمة سياق الحديث عن اليهود . أما الآية الثانية (172) وهي قوله تعالى { وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم } فإنها حادثة جديرة بالذكر والاهتمام لما فيها من الاعتبار ، إن الله تعالى أخرج من صلب آدم ذريته فأنطقها بقدرته التي لا يعجزها شيء فنطقت وعقلت الخطاب واستشهدها فشهدت ، وخاطبها ففهمت وامرها

فالتزمت وهذا العهد العام الذي أخذ على بني آدم ، وسوف يطالبون به يوم القيامة ، وهو معنى قوله تعالى { وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا } أي أنك ربنا { أن تقولوا } يوم القيامة { إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون } والعبرة من هذا أن الإنسان سرعان ما ينسى ، ويعاهد ولا يفي ، وما وجد من بني اسرائيل من عدم الوفاء هو عائد إلى أصل الإنسان ، وهناك عبرة أعظم وهي أن التوحيد أخذ به العهد على كل آدمي ، ومع الأسف أكثر بني آدم ينكرونه ، ويشركون بربهم وقوله تعالى { وكذلك نفصل الآيات لعلهم يرجعون } وكذها التفصيل الوارد في هذه السورة وهذا السيقا وهوتفصيل عجيب نفصل الآيات تذكيراً للناس وتعليماً ولعلهم يرجعون إلى الحق بعد إعراضهم عنه ، وإلى الإيمان والتوحيد بعد انصرافهم عنهما تقليداً واتباعاً لشياطين الجن والإنس .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان نفسيات اليهود وأنها نفسية غريبة وإلا كيف وهم بين يدي الله يتمردون عليه ويعصونه برفضهم الالتزام بما عهد إليهم من أحكام حتى يرفع فوقهم الطور تهديداً لهم ، وعندئذ التزموا ولم يلبثوا إلا قليلاً حتى نقضاو عهدهم وعصوا ربهم .

2- عجيب تدبير الله تعالى في خلقه .

3- الكافر كفر مرتين كفر بالعهد الذي أخذ عليه وهو في عالم الذَّر ، وكفر بالله وهو في عالم الشهادة ، والمؤمن آمن مرتين ، فلذا يضاعف للأول العذاب ويضاعف للثاني الثواب .

4- تقرير مبدأ الخلقية ، ومبدأ المعاد الآخر .

(16/2)

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (177) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (178)

شرح الكلمات :

{ واتل عليهم نبأ } : إقرأ عليهم .

{ فانسلخ منها } : كفر بها وتركها وراء ظهره مبتعداً عنها .

{ فأتبعه الشيطان } : لحقه وأدركه .

{ من الغاوين } : من الضالين غير المهتدين الهالكين غير الناجين .

{ أخلد الى الأرض } : مال إلى الدنيا وركن إليها وأصبح لا هم له إلا الدنيا .

{ يلهث } : اللهث : التنفس الشديد مع إخراج اللسان من التعب والإعياء .

{ ساء } : قبح .

{ مثلاً } : أي صفة .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم { واتل عليهم } أي اقرأ على قومك وعلى كل من يبلغه هذا الكتاب من سائر الناس { نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها } أي خبر الرجل الذي اعطيناه آيتنا تحمل الأدلة والحجج والشرائع والأحكام والآداب فتركها وابتعد عنها فلم يَتْلُهَا ولم يفرك فيها ولم يعمل بها لا استدلالا ولا تطيبقا { فأتبعه الشيطان } أي لحقه وأدركه وتمكن منه إبليس ، لأنه بتخيله عن الآيات وجد الشيطان له طريقاً إليه { فكان من الغاوين } أي الضالين الفاسدين الهالكين { ولو شئنا لرفعناه بها } أي بالآيات إلى قمم المجد والكمال ، والى الدرجات العلا في الدار الآخرة ، { ولكنه أخلد إلى الأرض } أي مال إليها وركن فأكب على الشهوات والسرف في الملذات ، وأصبح لا هم له إلا تحصيل ذلك { واتبع هواه } وترك عقله ووحي ربه عنده ، فصار مثله أي صفته الملائمة له { كمثل الكلب } أي في اللهث والإعياء ، والتبعية وعدم الاستقلال الذاتي { إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث } فحيرته وتعبه لاينقطعان أبداً . وقوله تعالى { ذلك مثل القوم الذي كذبوا بآياتنا } أي هذا المثل الذي ضربناه لذلك الرجل الي آتيناه آيتنا فانسلخ منها وكان من أمره ما قصصان عيك مثل القوم الذين كذبا بآياتنا في كل زمان ومكان ، وعليه { فاقصص } يا رسولنا { القصص لعلهم يتفكرون } أي لعل قريشاً تتفكر فتعتبر وترجع إلى الحق فتكمل وتسعد ، وقوله تعالى { ساء مثلاً القوم الذين كذبا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون } اي قبح مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فجحدوا بها حتى لا يوحدوا الله تعالى { من يهد الله فهو المهتدي } أي من وفقه الله تعالى للهداية فآمن وأسلم واستقام على منهاج الحق فهو المهتدي بحق ومن خذله الله لشدة إعراضه عن الحق وتكبره عنه فضل بإضلال الله تعالى له فأولئك هم الخاسرون الخسران الحق المبين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- خطر شأن هذا الخبر الذي أمر تعالى رسوله أن يتلوه على الناس .

2- ترك القرآن الكريم بعدم تلاوته والتدبر فيه ، وترك العمل به مفض بالعبد الى أن يكون هو صاحب المثل في هذه الآية ، فأولا يتمكن منه الشيطان فيصبح من الغواة وثانيا يخلد إلى الأرض كما هو حال الكثيرين فلا يكون لأحدهم هم إلا الدنيا .

(17/2)

ثم يتبع هواه لا عقله ولا شرع الله ، فإذا به صورة لكلب يلهث لا تنقطع حيرته واتباعه لغيره كالكلب سواء بسواء وهذه حال من أعرضوا عن كتاب الله تعالى في هذه الآية فليتأملها العاقل .

3- لا رفعة ولا سيادة ولا كمال إلا بالعمل بالقرآن فهي الرافعة لقوله تعالى { ولو شئنا لرفعناه بها } أي بالآيات التي

انسخ منها والعياذ بالله .

4- الهداية بيد الله ألا فليطلبها من أرادها من الله بصدق القلب وإخلاص النية فإن الله تعالى لا يحرمه منها ، ومن أعرض عن الله اعرض الله عنه .

(18/2)

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179) وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (180) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (181)

شرح الكلمات :

{ ذرأنا لجهنم } : خلقنا لجهنم أي للتعذيب بها والاستقرار فيها .

{ لا يفقهون بها } : كلام الله ولا كلام رسوله .

{ لا يبصرون بها } : آيات الله في الكون .

{ لا يسمعون بها } : الحق والمعروف .

{ كالأنعام } : البهائم في عدم الانتفاع بقلوبهم وأبصارهم وأسماعهم .

{ الغافلون } : أي عن آيات الله ، وما خُلقوا له وما يراد لهم وبهم .

{ ولله الأسماء الحسنى } : الأسماء جمع اسم والحسنى مؤنث الأحسن ، والأسماء الحسنى لله خاصة دون غيره فلا يشاركه فيها أحد من مخلوقاته .

{ وذروا } : اتركوا .

{ يلحدون } : يميلون بها إلى الباطل .

{ وممن خلقنا } : أي من الناس .

معنى الآيات :

على إثر ذكر الهدى والضلال وإن المهتدى من هداه الله ، والضال من اضله الله أخبر تعال أنه قد خلق لجهنم كثيراً من الجن والإِنس ، علما منه تعالى بانهم يرفضون هدايته ويتكبرون عن عبادته ، ويحاربون أنبياءه ورسله ، وإن رفضهم للهداية وتكبرهم عن العبادة عطل حواسهم فلا القلب يفقه ما يقال له ، ولا العين تبصر ما تراه ، ولا الأذن تسمع ما تخبر به وتحدث عنه فأصحبوا كالآنعام بل هم أضل لأن الأنعام ما خرجت عن الطريق الذي سيقت له وخلقت لأجله ، وأما أولئك فقد خرجوا عن الطريق الذي امروا بسلوكه ، وخلقوا له ألا وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له لينجوا من العذاب ويسعدوا في دار النعيم ، وقوله تعالى { أولئك هم الغافلون } تقرير لحقيقة وهي أن استمرارهم في الضلال كان نتيجة غفلتهم عن آيات الله التنزيلية فلا يتدبروها فيعلموا أن الله هو الحق هو الله وحده بما شرع لهم في كتابه وسنة نبيه . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (179) وأما الآية الثانية في هذا السياق (180) وهي قوله تعالى { ولله الأسماء

الحسنى فادعوه بأن الأسماء الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون } فقد أخبر تعالى فيها بأن الأسماء الحسنى له تعالى خاصة لا يشاركه فيها أحد من خلقه ، وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها مائة اسم إلا اسما أي تسعة وتسعون إسماً ووردت مفرقة في القرآن الكريم ، وأمر تعالى عباده أن يدعوه بها يا الله ، يا رحمن يا ربحم يا رب ، يا حي يا قيوم ، وذلك عند سؤالهم اياه وطلبهم منه ما لا يقدرون عليه ، كما أمرهم ان يتكروا أهل الزيغ والضلال الذين يلحدون في أسماء الله فيؤلونها ، أو يعطلونها ، أو يشبهونها ، أمر عباده المؤمنين به يتركوا هؤلاء له ليجزيهم الجزاء العادل على ما كانوا يقولون ويعملون . لأن جدالهم غير نافع فيهم ولا مجد للمؤمنين ولا لهم .

هذا ما دلت عليه الآية أما الثالثة (181) وهي قوله تعالى { ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون } إنه لما ذكر أنه خلق لجهنم كثيراً من الجن والإنس ذكر هنا أنه خلق للجنة خلقاً آخر من الإنس والجن فذكر صفاتهم التي يستوجبون بها الجنة كما ذكر صفات أهل جهنم التي استوجبوا بها جهنم ، فقال { وممن خلقنا } من الناس { أمة } كبيرة { يهدون } أنفسهم وغيرهم { بالحق } الذي هو هدى الله ورسوله وبالحق يعدلون في قضائهم وأحكامهم فينصفون ويعدلون ولا يجورون ، ومن هذه الأمة كل صالح في أمة الإسلام يعيش على الكتاب والسنة اعتقاداً وقولاً وعملاً وحكماً وقضاء وأدباً وخلقاً جعلنا الله منهم وحشرنا في زمرتهم .

(19/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير مبدأ ان السعادة والشقاء سبق بها قلم القضاء والقدر فكل ميسر لما خلق له .

2- هبوط الآدمي إلى درك أهبط من درك الحيوان ، وذلك عندما يكفر بربه ويعطل حواسه عن الانتفاع بها ، ويقصر همه على الحياة الدنيا .

3- بيان أن البلاء كامن في الغفلة عن آيات الله والإعراض عنها .

4- الأمر بدعاء الله تعالى بأسمائه الحسنى نحو يا رب يا رحمن ، يا عزيز يا جبار .

5- حرمة تأويل أسماء الله وصفاته وتحريفها كما قال المشركون في الله ، اللات ، وفي العزيز العزى سموا بها آلهتهم الباطلة ، وهو الإلحاد الذي توعد الله أهله بالجزاء عليه .

6- أهل الجنة الذين خلقوا لها هم الذين يهدون بالكتاب والسنة ويقضون بهما .

(20/2)

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (182) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (183) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (184) أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ

عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (185) مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (186)

شرح الكلمات :

{ كذبوا بآياتنا } : أي بآيات القرآن الكريم .

{ سنستدرجهم } : أي نستميلهم وهم هابطون إلى العذاب درجة بعد درجة حتى ينتهوا إلى العذاب ، وذلك بإدرار النعم عليهم مع تماديهم في التكذيب والعصيان حتى يبلغوا الأجل المحدد لهم ثم يؤخذوا أخذة واحدة .

{ وأملي لهم إن كيدي متين } : أي أمهلهم فلا أعجل بعقوبتهم حتى ينتهوا إليها بأعمالهم الباطلة وهذا هو الكيد لهم وهو كيد متين شديد .

{ ما بصاحبهم من جنة } : صاحبهم هو محمد صلى الله عليه السلام ، والجنة الجنون والمتحدث عنهم كفار قريش .

{ ملكوت السموات } : أي ملك السموات إلا أن لفظ الملكوت أعظم من لفظة الملك .

{ فبأي حديث بعده } : أي بعد القرآن العظيم .

{ ونذرهم في طغيانهم } : أي نتركهم في كفرهم وظلمهم .

{ يعمهون } : حيارى يترددون لا يعروفن مخرجاً ولا سبيلا للنجاة .

معنى الآيات :

يخبر تعالى أن الذين كذبوا بآياته التي أرسل بها رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا بها وأصروا على الشرك والضلال معرضين عن التوحيد والهدى يخبر تعالى أنه سيستدرجهم بالأخذ شيئاً فشيئاً ودرجة بعد درجة حتى يحق عليهم العذاب فينزله بهم فيهلكون ويخبر أنه يملي لهم أيضا كيداً بهم ومكراً ، أى يزيدهم في الوقت ويطول لهم زمن كفرهم وضلالهم فلا يعاجلهم بالقعوبة بل إنه يزيد في إرزاقهم وأموالهم حتى يفقدوا الاستعداد للتوبة ثم تأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، ولذا قال { وأملي لهم ان كيدى متين } أي قوي شديد . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (183) أما الآية الثانية فإنه تعالى يوبخهم على إعراضهم عن التفكير والتعقل فيقول { أو لم يتفكروا } في سلوك الرسول صلى الله عليه وسلم وتصرفاته الرشيدة الحكيمة فيعلموا أنه ما به من جنة وجنون كما يزعمون ، وإنما هو نذير لهم من عذاب يوم أليم إن هم استمروا على سلوك درب الباطل والشر من الشرك والماصي ، ونذارته بينه لا لبس فيها لا غموض لو كانوا يتفكرون . وفي الآية الثالثة (185) يوبخهم على عدم نظرهم في ملكوت السماوات والأرض وفي ما خلق الله من شيء وفي أن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، إذ لو نظروا في ملكوت السموات والأرض وما في ذلك من مظاهر القدرة والعلم والحكمة لعلموا أن المستحق للعبادة هو خالق هذا الملكوت ، لا الأصنام والتماثيل ، كما أنهم لو نظروا فيما خلق الله من شيء من النملة إلى النخلة ومن الحبة الى القبة لأدركوا أن الله هو الحق وأن ما يدعون هو الباطل كما أنه حرى بهم أن ينظروا في ما مضى من أعمارهم فيدركوا أنه من الجائز أن يكون قد اقترب أجلهم ، وقد اقترب فعلا فليعجلوا بالتوبة حتى لا يؤخذوا وهم كفار أشرار فيهلكون ويسخرون خسراناً كاملاً .

ثم قال تعالى في ختام الآية { فبأي حديث } بعد القر آن يؤمنون فالذي لا يؤمن بالقرآن وكله حجج وشواهد وبراهين وأدلة واضحة على وجوب توحيد الله والايمان بكتابه ورسوله ولقائه ووعده ووعيده فبأي كلام يؤمن ، اللهم لا شيء ، فالقوم إذاً أضلهم الله ، ومن أضله الله فلا هادي له ويزرهمفي طغيانهم يعمهون حيارى يترددون لا يدرون ما يقولون ، ولا أين يتجهون حتى يهلكوا كما هلك من قبلهم . وما ربك بظلام للعبيد .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- عظم خطر التكذيب بالقرآن الكريم حتى أن المكذب ليستدرج حتى يهلك وهو لا يعلم .

2-أكبر موعظة وهي أن على الإنسان أن يذكر دائماً أن أجله قد يكون قريباً وهو لا يدري فيأخذ بالحذر والحيطة حتى لا يؤخذ على غير توبة فيخسر .

3- من لا يتعظ بالقرآن وبما فيه من الزواجر ، والعظات والعبر ، لا يتعظ بغيره .

4- من أعرض عن كتاب الله مكذباً بما فيه من الهدى فضل ، لا ترجى له هداية أبداً .

(22/2)

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (187) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)

شرح الكلمات :

{ الساعة } : أي الساعة بمعنى الوقت الذي تنتهي فيه الحياة الدينا بالفناء التام .

{ أيان مرساها } : أي متى وقت قيامها .

{ لا يجليها لوقتها } : أي لا يظهرها في وقتها المحدد لها إلا هو سبحانه وتعالى .

{ بغتة } : أي فجأة بدون توقع أو انتظار .

{ حفي عنها } : أي ملحف مبالغ في السؤال عنها حتى أصبحت تعرف وقت مجيئها .

{ الغيب } : الغيب ما غاب عن حواسنا وعن عقولنا فلم يدرك بحاسة ولا يعقل .

والمراد به هنا ما سيحدث في المستقبل القريب أو البعيد .

{ السوء } : كل ما يسوء العبد في روحه أبو بدنه .

{ إن أنا إلا نذير } : أي ما أنا إلا نذير وبشير فلست بإله يدبر الأمر ويعلم الغيب .

معنى الآيات :

لا شك أن أفراداً من قريش أو من غيرهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة متى قيامها فأخبره تعالى بسؤالهم

وعلمه الجواب فقال عز وجل وهو يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم { يسألونك عن الساعة أيان مرساها } أي متى وقت وقعوها وقيامها؟ قل لهم { إنما علمها عند ربي } أي علم وقت قيامها عند ربي خاصة لا يجليها لوقتها } أي لا يظهرها لأول وقتها إلا هو { ثقلت في السموات والأرض } أي ثقل أمر علمها عند أهل السموات والأرض { لا تأتيكم إلا بغتة } أي فجأة ، ثم قال له يسألونك هؤلاء الجهال عن الساعة { كأنك خفي عنها } أي كأنك ملحف في السؤال مبالغ في طلب معرفتها حتى عرفتها ، قل لهم { إنما علمها عند الله } خاصة ، { ولكن أكثر الناس لا يعلمون } ، ولذاهم يسألونه ، إذ إخفاؤه لحكم عالية لو عرفها الناس ما سألوا ولن يسألوا ولكن الجهل هو الذي ورطهم في مثل هذه الأسئلة وهذا ما دلت عليه الآية الأولى (187) أما الآية الثانية (188) فقد أمر تعالى رسوله أن يقول لأولئك السائلين عن الساعة متى وقت مجيئها { لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً } خيراً ولا شراً { إلا ما شاء الله } شيئاً من ذلك فإنه يُعينُني على جلبه أو على دفعه فكيف إذاً أعلم وقت مجيء الساعة حتى تسألوني عنها { ولو كنت أعلم الغيب } كما تظنون لاستكثرت من الخيرات وما مسنى السوء . وذلك أني إذا عرفت متى الخصب ومتى الجدب ، ومتى الغلاء ومتى الرخاء يمكنني بسهولة أن استكثر من الخير عند وجوده ، وأتوقى الشر وأدفعه قبل حصوله ، يا قوم إنما أنا نذير بعواقب الشرك والمعاصي بشير بنتائج الإيمان والتوحيد والعمل الصالح فلست بإله أعلم الغيب ، ووظيفتي هذه صراحة هي البشارة والنذارة ينتفع بها المؤمنون خاصة معنى قوله تعالى { إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون } .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- مرد علم الساعة إلى الله وحده فكل مسؤول عنها غير الله ليس أعلم من السائل .

(23/2)

2- للساعة أشراط بعضها في الكتاب وبعضها في السنة وليس معنى ذلك أنه تحديد لوقتها وإنما هي مقدمات تدل على قربها فقط .

3- استأثر الله بعلم الغيب فلا يعلم الغيب إلا الله ، ومَنْ علَّمه الله شيئاً منه علم كما علم نبيه صلى الله عليه وسلم بعض المغيبات ، والمعلم بالشيء لا يقال فيه يعلم الغيب وإنما يقال علَّمه ربه غيب كذا وكذا فعلمه .

4- إذا كان الرسول لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فيكف يطلب منه ذلك وإذ كان الرسول لا يملك فهل من دونه من العباد يملك؟ إذا عرفت هذا ظهر لك ضلال أقوام يدعون الموتى سائلين ضارعين عند قبورهم ويقولون أنهم لا يدعونهم ولكن يتوسلون بهم فقط .

(24/2)

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (190) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (191) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (192) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (193)

شرح الكلمات :

{ من نفس واحدة } : هي نفس آدم عليه السلام .

{ وجعل منها زوجها } : أي خلق منها زوجها وهي حواء خلقها من ضلع آدم الأيسر .

{ ليسكن إليها } : أي ليألفها ويأنس بها لكونها من جنسه .

{ فلما تغشاها } : أي وطئها .

{ فمرت به } : أي ذاهبة جائية تقضي حوائجها لخفت الحمل في الأشهر الأولى .

{ فلما اثقلت } : أي أصبح الحمل ثقيلاً في بطنها .

{ لئن آتيتنا صالحاً } : أي ولداً صالحاً ليس حيواناً بل إنساناً .

{ جعلا له شركاء } : أي سموه عبد الحارث وهو عبد الله جل جلاله .

{ فتعالى الله عما يشركون } : أي أهل مكة حيث أشركوا في عبادة الله أصناماً .

{ وإن تدعوهم إلى الهدى } : أي الأصنام لا يتبعوكم .

معنى الآيات :

يقول تعالى لأولئك السائلين عن الساعة عناداً ومكابرة من أهل الشرك هو أي الله { الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها } الإله المستحق للعبادة لا الأصنام والأوثان ، فالخالق لكم من نفس واحدة وهي آدم وخلق منها زوجها حواء هو المستحق للتأليه والعبادة . دون غيره من سائر خلقه . وقوله { ليسكن إليها } : علة لخلقه زوجها منها ، إذ لو كانت من جنس آخر لما حصلت الألفة والأنس بينهما وقوله { فلما تغشاها } أي للوطء ووطئها { حملت حملاً خفيفاً ، فمرت به } لخفته { فلما أثقلت } أي أثقلها الحمل { دعوا الله } أي آدم وحواء ربهما تعالى أي سألاه قائلين { لئن آتيتنا صالحاً } أي غلاماً صالحاً { لنكونن من الشاكرين } أي لك . واستجاب الرب تعالى لهما وآتاهما صالحاً . وقوله تعالى { فلام آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما } حيث سمته حواء عبد الحارث بتغيرير من إبليس ، إذ اقترح عليهما هذه التسمية ، وهي من الشرك الخفي المعفو عنه نحو لولا الطبيب هلك فلان ، وقوله { فتعالى الله عما يشركون } عائد إلى الكفر قريش الذين يشركون في عبادة الله أصنامهم وأوثانهم ، بدليل قوله بعد { أيشركون ما لا يخلق شيئاً } أي من المخلوقات { وهم } أي الأوثان وعبادها { يخلقون ، ولا يستطيعون لهم نصراً } إذا طلبوا منهم ذلك . { ولا أنفسهم ينصرون } لأنهم جمادات لا حياة بها ولا قدرة لها وقوله { وإن تدعوهم } أي وإن تدعوا أولئك الأصنام { إلى الهدى } وقد ضلوا الطريق { لا يتبعوكم } لأنهم لا يعقلون الرشد من الضلال ولذا فسواء عليكم { أدعوتموهم أم أنتم صامتون } أي لم تدعوهم فإنهم لا يتبعونكم ومن هذه حاله وهذا واقعه فهل يصح أن يعبد فتقرب له القرابين ويحلف به ، ويعكف عنده ، وينادى ويستغاث به؟؟ اللهم لا ، ولكن المشركين لا يعقلون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان أصل خلق البشر وهو آدم وحواء عليهما السلام .

2- بيان السر في كون الزوج من جنس الزوج وهو الألفة والأنس والتعاون .

3- بيان خداع إبليس وتضليله للإنسان حيث زين لحواء تسمية ولدها بعبد الحارث وهو عبد الله .

4- الشرك في التسمية شرك خفي معفو عنه وتركه أولى .

5- التنديد بالشرك والمشركين ، وبيان جهل المشركين وسفههم إذ يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يجيب ولا يتبع .

(25/2)

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (194) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (195) إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (197) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198)

شرح الكلمات :

{ عباد أمثالكم } : أي مملوكون مخلوقون أمثالكم لمالك واحد هو الله رب العالمين .

{ شركاءكم } : أصنامكم التي تشركون بها .

{ ثم كيدون } : بما استطعتم من أنواع الكيد .

{ فلا تنظرون } : أي فلا تمهلون لأني لا أبالي لكم .

{ إن وليي الله } : أي المتولي أموري وحمايتي ونصرتي الله الذي نزل القرآن .

{ وتراهم ينظرون } : أي وترى الأصنام المنحوتة على شكر رجال ينظرون إليك وهم لا يبصرون .

معنى الآيات :

هذه الآيات الخمس في سياق ما قبلها جاءت مقررة لمبدأ التوحيد مؤكدة له مندة بالشرك مقبحة له ، ولأهله فقوله تعالى { إن الذين تدعون } أي دعاء عبادة أيها المشركون { هم عباد أمثالكم } أي مملوكون لله ، الله مالكهم كما أنتم مملوكون لله مربوبون . فكيف يصح منكم عبادتهم وهم مملكون مثلكم لا يملكون لكم ولا لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، وإن شككتم في صحة هذا فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين في زعمكم أنهم آلهة يستحقون العبادة . إنكم لو دعوتموهم ما استجابوا ، وكيف يستجيبون وهم جماد ولا حياة لهم { ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها ، أم لهم آذان يسمعون بها } إنه لا شيء لهم من ذلك فكيف إذاً يستجيبون ، وبأي حق يعبدون فيدعون ويرجون وهم فاقدوا آثار القدرة والحياة بالمرة .

ثم أمر الله تعالى رسوله أن يعلن لهم أنه لا يخفاهم ولا يعدهم شيئاً إذا كانوا هم يعبدونهم ويخافونهم فقال له قل لهؤلاء المشركين { ادعوا شركاءكم ثم كيدون } أنتم وإياهم { فلا تنظرون } أي لا تمهلوني ساعة ، وذلك لأن { وليي الله

الذي نزل الكتاب } أي القرآن { وهو يتولى الصالحين } فهو ينصرني منكم ويحميني من كيدكم إنه ولي وليّ المؤمنين . أما أنتم { والذين تدعون من دونه } أي من دون الله من هذه الأوثان { لا يستطيعون نصركم ولاأنفسهم ينصرون } وشيء آخر وهو أنكم { إن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا } فضلاً عن إن تدعوهم إلى الضلال فكيف تصح عبادة من لا يجيب داعيه في الرخاء ولا في الشدة . وأخيراً يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، { وتراهم } أي ترى أولئك الآلهة وهي تماثيل من حجارة { ينظرون إليك } إذا قابلتهم لأن أعينهم مفتوحة دائماً ، والحال أنهم لا يبصرون ، وهل تبصر الصور والتماثيل؟ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- إقامة الحجة على المشركين بالكشف عن حقيقة ما يدعون أنها آلهة فإذا بها أصنام لا تسمع ولا تجيب لا أيد لها ولا أرجل ولا آذان ولا أعين .

2- وجوب التوكل على الله تعالى ، وطرد الخوف من النفس والوقوف أمام الباطل وأهله في شجاعة وصبر وثبات اعتماداً على الله تعالى وولايته إذ هو يتولى الصالحين .

3- جواز المبالغة في التنفير من الباطل والشر بذكر العيوب والنقائص .

(26/2)

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (199) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (201) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (202)

شرح الكلمات :

{ العفو } : ما كان سهلاً لا كلفة فيه وهو ما يأتي بدون تكلف .

{ بالعرف } : أي المعروف في الشرع بالأمر به أو الندب إليه .

{ وأعرض عن الجاهلين } : الجاهلون : هم الذين لم تستنر قلوبهم بنور العلم والتقوى ، والإعراض عنهم بعدم مؤاخذتهم على السوء قولهم أو فعلهم .

{ نزغ الشيطان } : أي وسوسته بالشر .

{ فاستعذ بالله } : أي قل أعوذ بالله يدفعه عنك إنه أي الله سميع عليم .

{ اتقوا } : أي الشرك والمعاصي .

{ طائف من الشيطان } : أي ألم بهم شيء من وسوسته .

{ وإخوانهم يمدونهم في الغي } : أي إخوان الشيطاطين من أهل الشرك والمعاصي يمدونهم في الغي .

{ ثم لا يقصرون } : أي لا يكفون عن الغي الذي هو الضلال والشر والفساد .

معنى الآيات :

لما علّم تعالى رسوله كيف يحاج المشركين لإبطال باطلهم في عبادة غير الله تعالى والإشراك به عز وجل علمه في هذه الآية أسمى الآداب وأرفعها ، وأفضل الأخلاق وأكملها فقال له : { خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين } أي خذ من أخلاق الناس ما سهل عليهم قوله وتيسر لهم فعله ، ولا تطالبهم بما لا يملكون أو بما لا يعلمون وأمرهم بالمعروف ، وأعرض عن الجاهلين منهم فلا تعنفهم ولا تغلظ القول لهم فقد سأل صلى الله عليه وسلم عن معنى هذه الآية جبريل عليه السلام فقال له : (تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك) وقوله { وإما ينزغنك من الشيطان نزغ } أي أثار غضبك حتى لا يتلتزم بهذا الأدب الذي أمرت به { فاستعذ بالله } بدفعه عنك إنه سميع لأقوالك عليك بأحوالك . ثم قال تعالى مقرراً حكم الاستعاذة مبيناً جدواها ونفعها لمن يأخذ بها . { إن الذين اتقوا } أي ربهم فلم يشركوا به أحداً ولم يفرطوا في الواجبات ولم يغشوا المحرمات هؤلاء { إذا مسهم طائف من الشيطان } بأن نزغهم بإثارة الغضب أو الشهوة فيهم تذكروا أمر الله ونهيه ووعده ووعيده { فإذا هم مبصرون } يرون قبح المعصية وسوء عاقبة فاعلها فكفوا عنها ولم يرتكبوها . وقوله تعالى : { وإخوانهم } أي إخوان الشياطين من أهل الشرك والمعاصي { يمدونهم } أي الشياطين { في الغي } أي في المعاصي والضلالات ويزيدونهم في تزيينها لهم وحملهم عليها ، { ثم لا يقصرون } عن فعلها ويكفون عن ارتكابها .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- الأمر بالتزام الآداب والتحلي بأكمل الأخلاق ومن أرقها العفو عمن ظلم وإعطاء من حرم ، وصلة من قطع .

2- وجوب الاستعاذة بالله عند الشعور بالوسوسة أو الغضب أو تزيين الباطل .

3- فضيلة التقوى وهي فعل الفرائض وترك المحرمات .

4- شؤم أخوة الشياطين حيث لا يقصر صاحبها بمد الشياطين له عن الغي الذي هو الشر والفساد .

(27/2)

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (203) وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (204) وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (205) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (206)

شرح الكلمات :

{ قالوا لولا اجتبيتها } : أي اخترعتها واختلقتها نم نفسك وأتيتنا بها .

{ هذا بصائر من ربكم } : أي هذا القرآن حجج وبراهين وأدلة على ما جئت به وادعوكم إليه فهو أقوى حجة من الآية التي تطالبون بها .

{ فاستمعوا له وانصتوا } : أي اطلبوا سماعه وتكلفوا له ، وانصتوا عند ذلك أي اسكتوا حتى تسمعوا سماعاً ينفعكم .

{ وخيفة } : أي خوفاً .

{ بالغدو والآصال } : الغدو : أول النهار ، والآصال : أواخره .

{ من الغافلين } : أي عن ذكر الله تعالى .

{ إن الذثين عند ربك } : أي الملائكة .

{ يسبحونه } : ينزهونه بألسنهم بنحو سبحان الله وبحمده .

معنى الآيات :

ما زال السياق في توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم وتعليمه الرد على المشركين خصومه فقال تعالى عن المشركين من أهل مكة { وإذا لم تأتيهم } يا رسولنا { بآية } كما طلبوا { قالوا } لك { لولا } أي هلا { اجتبيتها } أي اخترعتها وأنشأتها من نفسك ما دام ربك لم يعطها قل لهم إنما أنا عبد الله ورسوله لا أفتات عليه { وإنما اتبع ما يوحى إليّ من ربي } وهذا القرآن الذي يوحى إلى بصائر من حجج وبراهين على صدق دعواي وإثبات رسالتي ، وصحة ما أدعوكم إليه ن الإيمان والتوحيد وترك الشرك والمعاصي ، فهلا آمنتم واتبعتم أم الآية الواحدة تؤمنون عليها والآيات الكثيرة لا تؤمنون عليها أين يذهب بعقولكم؟ وعلى ذكر بيان حجج القرآن وأنواره أمر الله تعالى عباده المؤمنين إذا قرىء عليهم القرآن أن يستمعوا وينصتوا وساء كان يوم الجمعة على المنبر أو كان في غير ذلك فقال تعالى { فإذا قرىء القرآن فاستمعوا له } أي تكلفوا السماع وتعمدوه { وانصتوا } بترك الكلام { لعلكم ترحمون } أي رجاء أن ينالكم من هدى القرآن رحمته فتهتدوا وترحموا لأن القرآن هدى ورحمة للمؤمنين .

ثم أمر تعالى رسوله وأمته تابعة له في هذا الكمال فقال تعالى { واذكر ربك في نفسك } أي سراً { تضرعاً } أي تذللاً وخشوعاً ، { وخيفة } أي وخوفاً وخشية { ودون الجهر من القول } وهو السر بأن يسمع نفسه فقط أو من يليه لا غير وقوله { بالغدو والآصال } أي أوائل النهار وأواخره ، ونهاه عن ترك الذكر وهو الغفلة فقال { ولا تكن من الغافلين } وذكر له تسبيح الملائكة وعبادتهم ليتأسى بهم ، فيواصل العبادة والذكر ليل نهار فقال { إن الذين عند ربك } وهم الملائكة في الملكوت الأعلى { لا يستكبرون عن عبادته } أي طاعته بما كلفهم به ووظفهم فيه { ويسبحونه وله يسجدون } فتأس بهم ولا تكن من الغافلين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- القرآن أكبر آية بل هو أعظم من كل الآيات التي أعطيها الرسل عليهم السلام .

2- وجوب الإنصات عند تلاوة القرآن وخاصة في خطبة الجمعة على المنبر وعند قراءة الامام في الصلاة الجهرية .

3- وجوب ذكر الله بالغدو والآصال .

4- بيان آداب الذكر وهي :

1- السرية .

2- التضرع والتذلل .

3- الخوف والخشية .

4- الإِسرار به رفع الصوت به ، لا كما يفعل المتصوفة .

5- مشروعية الأئتساء بالصالحين والاقتداء بهم في فعل الخيرات وترك المنكرات .

6- عريمة السجود عند قوله { وله يسجدون } وهذه أول سجدات القرآن ويسجد القارىء والمستمع له ، أما السامع فليس عليه سجود ، ويستقبل بها القبلة ويكبر عند السجود وعند الرفع منه ولا يسلم وكونه متوضأً أفضل .

(28/2)

- سورة الأنفال -

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1)
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)

شرح الكلمات :

{ الأنفال } : جمع نفل بتحريك الفاء : ما يعطيه الإمام لأفراد الجيش تشجيعاً لهم .

{ ذات بينكم } : أي حقيقة بينكم ، والبين الوصلة والرابطة التي تربط بعضكم ببعض من المودة والإخاء .

{ إنما المؤمنون } : أي الكاملون في إيمانهم .

{ وجلت قلوبهم } : أي خافت إذ الوجل : هو الخوف لا سيما عند ذكر وعيده ووعده .

{ وعلى ربهم يتوكلون } : على الله وحده يعتمدون وله أمرهم يفوضون .

{ ومما رزقناهم } : أي أعطيناهم .

{ أولئك } : أي الموصوفون بالصفات الخمس السابقة .

{ لهم درجات } : منازل عالية في الجنة .

{ ورزق كريم } : أي عطاء عظيم من سائر وجوه النعيم في الجنة .

معنى الآيات :

هذه الآيات نزلت في غزوة بدر وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نفل بعض المجاهدين لبلائهم وتخلف آخرون فحصلت تساؤلات بين المجاهدين لم يعطي هذا ولم لا يعطي ذاك فسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى { يسألونك عن الأنفال؟ } فأخبرهم أنها { لله والرسول } فالله يحكم فيها بما يشاء والرسول يقسمها بينكم كما يأمره ربه وعليه فاتقوا الله تعالى بترك النزاع والشقاق ، { وأصلحوا } ذات بينكم بتوثيق عرى المحبة بينكم وتصفية قلوبكم من ضغن أو حقد نشأ من جراء هذه الأنفال واختلافكم في قسمتها ، { وأطيعوا الله ورسوله } في كل ما يأمرانكم به وينهيانكم عنه { إن كنتم مؤمنين } حقاً فامتثلوا الأمر واجتنبوا النهي . وقوله تعالى { إنما المؤمنين } أي الكاملون في إيمانهم الذين يستحقون هذا الوصف وصف المؤمنين هم { الذين إذا ذكر الله } أي اسمه أو وعده أو وعيده { وجلت قلوبهم } أي خافت فأقلعت عن المعصية ، وأسرعت إلى الطاعة ، { وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً } أي وي إيمانهم وعظم يقينهم ، { وعلى ربهم } لا على غيره { يتوكلون } وفيه تعالى يثقون . وإليه تعالى أمورهم يفوضون ، { الذين يقيمون الصلاة } بأدائها بكامل شروطها وكافة أركانها وسائر سننها وآدابها ، { ومما رزقناهم } أي اعطيناهم { ينفقون } من مال وعلم ، وجاه وصحة بدن من كل هذا ينفقون في سبيل الله { أولئك } الموصوفون بهذه الصفات الخمس { هم المؤمنين حقاً } وصدقاً ، { لهم درجات عند ربهم } أي منازل عالية متفاوتة العلو والارتفاع في الجنة ، ولهم قبل ذلك { مغفرة } كاملة لذنوبهم ، { ورزق كريم } طيب واسع لا تنقيص فيه ولا تكدير ، وذلك في الجنة دار المتقين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- الأمر بتقوى الله عز وجل وإصلاح ذات البين .

2- الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان .

3- من المؤمنين من هو كامل الإيمان ، ومنهم من هو ناقصه .

4- من صفات أهل الإيمان الكامل ما ورد في الآية الثانية من هذه السورة وما بعدها .

(29/2)

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (5) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (6) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8)

شرح الكلمات :

{ من بيتك } : أي المدينة المنورة .

{ لكارهون } : أي الخروج للقتال .

{ إحدى الطائفتين } : العير « القافلة » أو النفير : نفير قريش وجيشها .

{ الشوكة } : السلاح في الحرب .

{ يبطل الباطل } : أي يظهر بطلانه بقمع أهله وكسر شوكتهم وهزيمتهم .

{ ولو كره المجرمون } : كفار قريش المشركون .

معنى الآيات :

قوله تعالى { كما أخرجك ربك } أيها الرسول { من بيتك } بالمدينة { بالحق } متلبساً بهحيث خرجت بإذن الله { وان فريقاً من المؤمنين لكارهون } لما علموا بخروج قريش لقتالهم ، وكانت العاقبة خيراً عظيماً ، هذه الحال مثل حالهم لما كرهوا نزع الغنائم من أيديهم وتوليك قسمتها بإذننا ، على أعدل قسمة وأصحها وأنفعها فهذا الكلام في هذه الآية (5) تضمنت تشبيه حال حاضرة بحال ماضيه حصلت في كل واحدة كراهة بعض المؤمنين ، وكانت العاقبة في كل منهما خيراً والحمد لله ، وقوله تعالى { يجادلونك في الحق بعد ما تبين } أي يجادلونك في القتال بعدما اتضح لهم أن العير نجت وأنه لم يبق إلا النفير ولا بد من قتالها . وقوله تعالى { كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون } أي إلى الموت عياناً يشاهدونه أمامهم وذلك من شدة كراهيتهم لقتال لم يستعدوا له ولم يوطنوا أنفسهم لخوض معاركه . وقوله تعالى { وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين } أي اذكر يا رسولنا لهم الوقت الذي يعدكم الله تعالى فيه إحدى الطائفتين العير والنفير ، وهذا في المدينة وعند السير أيضاً { أنها لكم } أي تظفرون بها ، { وتودون } أي تحبون أن تكون { غير ذات الشوكة } وهي عير أبي سفيان { تكون لكم } ، وذلك لأنها مغنم بلا مغرم لقلة عددها وعددها ، والله يريد { أن يحق الحق } أي يظهره بنصرأوليائه وهزيمة أعدائه . وقوله { بكلماته } أي التي تتضمن أمره تعالى إياكم بقتال الكافرين ،

وأمره الملائكة بالقتال معكم ، وقوله { ويقطع دابر الكافرين } أي بتسليطكم عليهم فتقتلوهم حتى لا تبقوا منهم غير من فر وهرب ، وقوله { ليحق الحق } أي لينصره ويقرره وهو الإسلام { ويبطل الباطل } وهو الشرك { ولو كره } ذلك { المجرمون } أي المشركون الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها بالشرك ، وعلى غيرهم أيضاً حيث منعوهم من قبول الإسلام وصرفوه عنه بشتى الوسائل .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير قاعدة { عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم } وذكر نبذة عن غزوة بدر الكبرى وبيان ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغه أن غيراً لقريش تحمل تجارة قادمة من الشام في طريقها إلى مكة وعلى رأسها أبو سفيان بن حرب فانتدب النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه للخروج إليها عسى الله تعالى أن يغنمهم إياها ، لأن قريشاً صادرت أموال بعضهم وبعضهم ترك ماله بمكة وهاجر . فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأثناء مسيره أخبرهم أن الله تعالى وعدهم إحدى الطائفتين ، لا على التعيين جائز أن تكون العير ، وجائز أن تكون النفير الذي خرج من مكة للذنب عن العير ودفع الرسول وأصحابه عنها حتى لا يستولوا عيلها ، فلما بلغ الرسول نبأ نجاة العير وقدوم النفير استشار أصحابه فوافقوا على قتال المشركين ببدر وكره بعضهم ذلك ، وقالوا : انا لم نستعد للقتال فأنزل الله تعالى هذه الآيات { يجادلونك في الحق بعد ما تبين } إلى قوله { . . .

(30/2)

ولو كره المجرمون } .

2- بيان ضعف الإنسان في رغبته في كل ما لا كلفة فيه ولا مشقة .

3- إنجاز الله تعالى وعده للمؤمنين إذ أغنمهم طائفة النفير وأعزهم بنصر لم يكونوا مستعدين له .

4- ذكر نبذة عن وقعة بدر وهي من أشهر الوقائع وأفضلها وأهلها من أفضل الصحابة وخيارهم إذ كانت في حال ضعف المسلمين حيث وقعت في السنة الثانية من الهجرة وهم أقلية والعرب كلهم أداء لهم وخصوم .

(31/2)

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) ذَلِكَ

بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (13) ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (14)

شرح الكلمات :

{ تستغيثون } : أي تطلبون الغوث من الله تعالى وهو النصر على أعدائكم .

{ مردفين } : أي متتابعين بعضهم ردف بعض أي متلاحقين .

{ وما جعله الله إلا بشرى } : أي الإمداد بالملائكة إلا بشرى لكم بالنصر .

{ إذ يغشيكم النعاس } : أي يغطيكم به والنعاس : نوم خفيف جداً .

{ آمنة } : أي أمناً من الخوف الذي أصابكم لقلتكم وكثرة عدوكم .

{ منه } : أي من الله تعالى .

{ رجز الشيطان } : وسواسه لكم بما يؤلمكم ويحزنكم .

{ وليربط على قلوبكم } : أي يشد عليها بالصبر واليقين .

{ ويثبت به الأقدام } : اي بالمطر أقدامكم حتى لا تسوخ في الرمال .

{ الرعب } : الخوف والفزع .

{ فاضربوا كل بنان } : أي أطراف اليدين والرجلين حتى يعوقهم عن الضرب .

{ ذلكم فذوقوه } : أي العذاب فذوقوه .

{ عذاب النار } : أي في الآخرة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث غزوة بدر ، وبيان منن الله تعالى على رسوله والمؤمنين إذ يقول تعالى لرسوله { إذ تستغيثون ربكم } أي اذكر يا رسولنا حالكم لما كنتم خائفين لقلتكم وكثرة عدوكم فاستغثتم ربكم قائلين : اللهم نصرك ، اللهم أنجز لي ما وعدتني { فاسستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين } أي متتالين يتبع بعضهم بعضاً { وما جعله الله إلا بشرى } أي لم يجعل ذلك الإمداد إلا مجرد بشرى لكم بالنصر على عدوكم { ولتطمئن به قلوبكم } أي تسكن ويذهب منها القلق والاضطراب ، أما النصر فمن عند الله ، إن الله عزيز حكيم { عزيز غالب لا يحال بينه وبين ما يريده ، حكيم بنصر من هو أهل للنصر ، هذه نعمة ، وثانية : اذكروا { إذ يغشيكم } ربكم { النعاس أمنة منه } أي أماناً منه تعالى لكم فإن العبد إذا خامره النعاس هدأ وسكن وذهب الخوف منه ، وثبت في ميدان المعركة لا يفر ولا يرهب ولا يهرب ، { وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان } وهذه نعمة أخرى ، فقد كانت الأرض رملية تسوح فيها أقدامهم لا يستطيعون عليها كراً ولا فراً ، وقل ماؤهم فصاروا ظماء عطاشاً ، محدثين ، لا يجدون ما يشربون ولا ما يتطهرون به من احداثهم ووسوس الشيطان لبعصهم بمثل قوله : تقاتلون محدثين كيف تنصرون ، تقاتلون وأنتم عطاش وعدوكم ريان إلى أمثال هذه الوسوسة ، فأنزل الله تعالى على معسكرهم خاصة مطراً غزيراً شربوا وتطهروا وتلبدت به التربة فأصبحت صالحة للقتال عليها ، هذا معنى قوله تعالى { وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان } أي وسواسه { وليربط على قلوبكم } أي يشد عليها بما أفرغ عليها من الصبر وما جعل فيها من اليقين لها { ويثبت به الأقدام } ونعمة أخرى واذكر { إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم } بتأييدي

ونصري { فثبتوا الذين آمنوا } أي قولوا لهم من الكلام تشجيعاً لهم ما يجعلهم يثبتون في المعركة { سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب } أي الخوف أيها المؤمنين { فاضربوا فوق الأعناق } أي اضربوا المذابح { واضربوا منهم كل بنان } أي اطراف اليدين والرجلين حتى لا يستطيعوا ضرباً بالسيف ، ولا فراراً بالأرجل وقوله تعالى { ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله } أي عادوهما وحاربوهما { ومن يشاقق الله ورسوله } ينتقم منه ويبطش به { فإن الله شديد العقاب } ، وقوله تعالى { ذلكم فذوقوه } أي ذلكم العذاب القتل والهزيمة فذوقوه في الدنيا وأما الآخرة فلكم فيها عذاب النار .

(32/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- مشروعية الاستغاثة بالله تعالى وهي عبادة فلا يصح أن يستغاث بغير الله تعالى .

2- تقرير عقيدة أن الملائكة عباد الله يسخرهم في فعل ما يشاء ، وقد سخرهم للقتال مع المؤمنين فقاتلوا ، ونصروا وثبتوا وذلك بأمر الله تعالى لهم بذلك .

3- تعداد نعم الله تعالى على المؤمنين في غزوة بدر وهي كثيرة .

4- مشاقة ورسوله كفر يستوجب صاحبها عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

5- تعليم الله تعالى عباده كيف يقاتلون ويضربون أعداءهم ، وهذا شرف كبير للؤمنين .

(33/2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (16) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17) ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (18) إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (19)

شرح الكلمات :

{ زحفاً } : أي زاحفين لكثرتهم ولبطىء سيرهم كأنهم يزحفون على الأرض .

{ فلا تولوهم الأدبار } : أي لا تنهزموا فتفروا أمامهم فتولونهم أدباركم .

{ متحرفاً لقتال } : أي مائلاً من جهة إلى أخرى ليتمكن من ضرب العدو وقتاله .

{ أو متحيزاً إلى فئة } : أي رجع من المعركة مصحوباً بغضب من الله تعالى لمعصيته إياه .

{ وليبلي } : أي لينعم عليهم بنعمة النصر والظفر على قلة عددهم فيشكروا .

{ فئتكم } : مقاتلتكم من رجالكم الكثيرين .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن غزوة بدر وما فيها من جلال النعم وخفى الحكم ففي أولى هذه الآيات ينادي الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين فيقول { يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً } أي وأنتم وإياهم زاحفون إلى بعضكم البعض { فلا تولوهم الأدبار } أي لا تنهزموا أمامهم فتعطوهم أدباركم فتمكنوهم من قتلكم ، إنكم أحق بالنصر منهم ، وأولى بالظفر والغلب إنكم مؤمنون وهم كافرون فلا يسح منكم انهزام أبداً { ومن يولهم يومئذ دبره } اللهم { أو متحيزاً إلى فئة } أي منحازاً إلى جماعة من المؤمنين تقاتل فيقاتل معها ليقويها أو يقوى بها ، من ولى الكافرين دبره في غير هاتين الحالتين { فقد باء بغضب من الله } أي رجع من جهاده مصحوباً بغضب من الله { ومأواه جهنم وبئس المصير } وذلك بعد موته وانتقاله إلى ألآخرة ، وقوله تعالى { فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم } يخبر تعالى عباده المؤمنين الذين عليهم التولي ساعة الزحق وتوعدهم بالغضب وعذاب النار يوم القيامة أنهم لم يقتلوا المشركين على الحقيقة وإنما الذي قتلهم هو الله فهو الذي أمرهم وأقدرهم وأعانهم ، ولولاه ما قتل أحد ولا مات فليعرفوا هذا حتى لا يخطر ببالهم أنهم هم المقاتلون وحدهم . وحتى رمي رسوله المشركين بتلك التي وصلت إلى جل أعين المشركين في المعركة فأذهلتهم وحيرتهم بل وعوقتهم عن القتال وسببت هزيمتهم كان الله تعالى هو الرامى الذي أوصل التراب الى أعين المشركين ، إذ لو ترك الرسول صلى الله عليه وسلم لقوته لما وصلت حثية التراب إلى أعين الصف الأول من القاتلين المشركين ، ولذا قال تعالى { وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى } وقوله تعالى { وليبلي المؤمنين منه بلاء الكافرين ويكسر شوكتهم { وليبلي المؤمنين } أي ولينعم عليهم الأنعام الحسن بنصرهم وتأييدهم في الدنيا وإدخالهم الجنة في الآخرة . وقوله تعالى { إن الله سميع عليم } بمقتضى هاتين الصفتين كان الإبلاء الحسن ، فقد سمع تعالى أقوال المؤمنين واستغاثتهم { ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين } أي ذلكم القتل والرمي والإبلاء كله حق واقع بقدرة الله تعالى { وأن الله موهن } أي مضعف { كيد الكافرين } فكلما كادوا كيداً بأوليائه وأهل طاعته أضعفه وأبطل مفعوله ، وله الحمد والمنة .

(34/2)

وقوله تعالى { إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ، وإن تنتهوا فهو خير لكم } هذا خطاب للمشركين حيث قال أبو جهل وغيره نم رؤساء المشركين « اللهم أينا كان أفجر لك واقطع للرحم فأحنه اليوم ، اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة » أي أهلكه الغداة يوم بدر فأنزل الله تعالى { إن تستفتحوا } أي تطلبوا الفتح وهو القضاء بينكم وبين نبينا محمد { فقد جاءكم الفتح } وهي هزيمتهم في بدر { وإن تنتهوا } تكفوا عن الحرب والقتال وتناقدوا لحكم الله تعالى . فتسلموا { فهو خير لكم وإن تعودوا } للحرب والكفر { نعد } فنسلط عليكم رسولنا والمؤمنين لنذيقكم على أيديهم الذل والهزيمة { ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت } وبلغ تعداد المقاتلين منكم عشرات الآلاف ، هذا وأن الله دوماً مع المؤمنين فلن يتخلى عن تأييدهم ونصرتهم ما استقاموا على طاعة ربهم ظاهراً وباطناً .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- حرمة الفرار من العدو الكافر عند اللقاء لما توعد الله تعالى عليه من الغضب والعذاب ولعد الرسول له من الموبقات السبع في حديث مسلم « والتولي يوم الزحف » .

2- تقرير مبدأ أن الله تعالى خالق كل شيء وأنه خلق العبد وخلق فعله ، إذ لما كان العبد مخلوقاً وقدرته مخلوقة ، ومأموراً ومنهياً ولا يصدر منه فعل ولا قول إلا بإقدار الله تعالى له كان الفاعل الحقيقي هو الله ، وما للعبد إلا الكسب بجوارحه وبذلك يجزى الخير بالخير والشر بمثله . عدل الله ورحمته .

3- آية وصول حثية التراب من كف السول صلى الله عليه وسلم إلى إغلب عيون المشركين في المعركة .

4- إكرام الله تعالى وإبلاؤه لأولياءه البلاء الحسن فله الحمد وله المنة .

5- ولاية الله للمؤمنين الصادقين هى أسباب نصرهم وكمالهم وإسعادهم .

(35/2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (21) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23)

شرح الكلمات :

{ ولا تولوا عنه } : أي لا تعرضوا عن طاعته إذا أمركم أو نهاكم كأنهكم لا تسمعون .

{ إن شر الدواب } : أى شر ام يدب على الأرض الكافرون .

{ لأسمعهم } : لجعلهم يسمعون أو لرفع المانع عنهم فسمعوا واستجابوا .

معنى الآيات :

ينادي الله تعالى عباده المؤمنين الذين آمنوا به وبرسوله وصدقوا بوعده ووعيده يوم لقائه فيأمرهم بطاعته وطاعة رسوله ، وينهاهم عن الإعراض عنه وهم يسمعون الآيات تتلى والعظات تتوالى في كتاب الله وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن نصركم وتأييدكم كان ثمرة لإيمانكم وطاعتكم فإن أنتم أعرضتم وعصيتم فتركتم كل ولاية لله تعالى لكم أصبحتم كغيركم من أهل الكفر والعصيان هذا معنى قوله { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ، ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون } وقوله { ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون } ينهاهم عز وجل أن يسلكوا مسلك الكافرين المشركين في التصامم عن سماع الآيات الحاملة للحق والداعية إليه ، والتعامي عن رؤية آيات الله الدالة على توحيده الذين قالوا إنا عما يقوله محممد في صمم ، وفيما يذكر ويشير إليه في عمى ، فهم يقولون سمعنا بآذاننا وهم لا يسمعون بقلوبهم لأنهم لا يتدبرون ولا يفكرون فلذا هم في سماعهم كمن لم يسمع إذ العبرة بالسماع الانتفاع به لا مجرد سماع صوت وقوله تعالى { إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون } يعني بهم المشركين وكانوا شر الدواب لأنهم كفروا بربهم وأشركوا به فعبدوا غيره ، وضلوا عن سبيله ففسقوا وظلموا وأجرموا الأمر الذي جعلهم حقاً

شر الدواب في الأرض فهذا تنديد بالمشركين ، وفي نفس الوقت هو تحذير للمؤمنين من معصية الله ورسوله والإعراض عن كتابه وهدي نبيه صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى { ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم } أي لجعلهم يسمعون آيات الله وما تحمله من بشارة ونذارة وهذا من باب الفرض لقوله تعالى { ولو أسمعهم لتولوا عنه وهم معرضون } هؤلاء طائفة من المشركين توغلوا في الشر والفساد والظلم والكبر والعناد فحرموا لذلك هداية الله تعالى فقد هلك بعضهم في بدر وبعض في أحد ولم يؤمنوا لعلم الله تعالى أنه لا خير فيهم وكيف لا وهو خالقهم وخالق طباعهم ، { ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير } .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- وجوب طاعة الله ورسوله في أمرهما ونهيهما ، وحرمة معصيتهما .

2- حرمة التشبه بالمشركين والكافرين وسائر أهل الضلال وفي كل شيء من سلوكهم .

3- بيان أن من الناس هو شر من الكلاب والخنازير فضلاً عن الإبل والبقر والغنم أولئك البعض كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا .

(36/2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (25) وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (26)

شرح الكلمات :

{ استجيبوا } : اسمعوا وأطيعوا .

{ لما يحييكم } : أي لما فيه حياتكم ولما هو سبب في حياتكم كالإيمان والعمل الصالح والجهاد .

{ فتنة } : أي عذاباً تفتنون به كالقحط أو المرض أو تسلط عدو .

{ مستضعفون } : أي ضعفاء أمام أعدائكم يرونكم ضعفاء فينالون منكم .

{ ورزقكم من الطيبات } : جمع طيب من سائر المحللات من المطاعم والمشراب وغيرها .

{ لعلكم تشكرون } : رجاء أن تشكروه تعالى بصرف النعمة في مرضاته .

معنى الآيات :

هذا هو النداء الثالث بالكرامة للمؤمنين الرب تعالى يشرفهم بندائه ليكرمهم بما يأمرهم به أو ينهاهم عنه تربية لهم وإعداداً لهم لسعادة الدارين وكرامتهما فيقول { يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم } وهو بمعنى النداء الأول أطيعوا الله ورسوله . وقوله { لما يحييكم } إشعار بأن أوامر الله تعالى ورسوله كنواهيهما لا تخلوا أبداً

مما يحيي المؤمنين أو يزيد في حياتهم أو يحفظها عليهم ، ولذا وجب أن يطاع الله ورسوله ما أمكنت طاعتهما . وقوله { واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه } تنبيه عظيم للمؤمنين فيقلب القلب ويوجهه إلى وجهة أخرى فيكره فيها الخير ويرغب في الشر وقوله { وأنه إليه تحشرون } فالذي يعلم أنه سيحشر رغم أنفه إلى الله تعالى كيف يسوغ له عقله أن يسمع نداءه بأمره فيه أو ينهاه فيعرض عنه ، وقوله { واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة } تحذير آخر عظيم للمؤمنين من أن يتركوا طاعة الله ورسوله ، ويتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فينتشر الشر ويعم الفساد ، وينزل البلاء فيعم الصالح والطالح ، والبار والفاجر ، والظالم والعادل ، وقوله { واعلموا أن الله شديد العقاب } . وهو تأكيد للتحذير بكونه تعالى إذا عاقب بالذنب والمعصية فعاقبه قاس شديد لا يطاق فليحذر المؤمنون ذلك بلزوم طاعة الله ورسوله . وقوله تعالى : { واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون تشكرون } هذه موعظة ربانية لأولئك المؤمنين الذين عايشوا الدعوة الإسلامية من أيامها الأولى بذكرهم ربهمبما كانوا عليه من قلة وضعف يخافون أن يتخطفهم الناس لقلتهم وضعفهم ، فآواهم عز وجل إلى مدينة نبيه المنورة ونصرهم بجنده فعزوا بعد ذلة واستغنوا بعد عيلة وفاقة ، ورزقهم من الطيبات من مطعم ومشرب وملبس ومركب ، ورزقهم من الطيبات إكراماً لهم ، ليعدهم بذلك للشرك إذ يشكر النعمةمن عاشها ولابسها ، والشكر حمد المنعم والثناء عليه وطاعته ومحبته وصرف النعمة في سبيل مرضاته ، والله يعلم أنهم قد شكروا فرضي الله عنهم وأرضاهم والحقنا بهم صابرين شاكرين .

هداية الآيات

هداية الآيات :

1- وجب الاستجابة لنداء الله ورسوله بفعل الأمر وترك النهي لما في ذلك من حياة الفرد المسلم .

2- تعين اغتنام فرصة الخير قبل فواتها فمتى سنحت للمؤمن تعين عليه اغتنامها .

3- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اتقاء للفتن العامة التي يهلك فيها العادل والظالم .

4- وجوب ذكر النعم لشكرها بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

5- وجوب شكر النعم بحمد الله تعالى والثناء عليه والاعتراف بالنعمةله والتصرف فيها حسب مرضاته .

(37/2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (27) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (28) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29)

شرح الكلمات :

{ لا تخونوا الله والرسول } : أي بإظهار الإيمان والطاعة ومخالفتهما في الباطن .

{ وتخونوا أماناتكم } : أي ولا تخونوا أماناتكم التي يأتمن عليها بضعكم بعضاً .

{ إنما أموالكم وأولادكم فتنة } : أي الاشتغال بذلك يفتنكم عن طاعة الله ورسوله .

{ إن تتقوا الله } : أي بامتثال أمره واجتناب نهيه في المعتقد والقول والعمل .

{ يجعل لكم فرقاناً } : نوراً في بصائركم تفرقون به بين النافع والضار والصالح والفاسد .

{ ويكفر عنكم سيآتكم } : يمحوا عنكم ما سلف من ذنوبكم التي بينكم وبينه .

{ ويغفر لكم ذنوبكم } : أي يغطيها فيسترها عليكم فلا يفضحكم بها ولا يؤاخذكم عليها .

معنى الآيات :

هذا نداء رباني آخر يوجه إلى المؤمنين { يا أيها الذين آمنوا } أي يا من آمنتم بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً . { لا تخونوا الله والرسول } بأن يظهر أحدكم الطاعة لله ورسوله ، ويستسر المعصية ، ولا تخونوا أماناتكم التي يأتمن بعضكم بعضاً عليها { وأنتم تعلمون } عظيم جريمة الخيانة وآثارها السيئة على النفس والمجتمع ، هذا ما دلت عليه الآية الأولى في هذا السياق { يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أمانتكم وأنتم تعلمون } وقوله تعالى { واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم } فيه إشارة إلى السبب الحامل على الخيانة غالباً وهو المال والأولاد فأخبرهم تعالى أن أموالهم وأولادهم فتنة تصرفهم عن الأمانة والطاعة ، وأن ما يرجوه من مال أو ولد ليس بشيء بالنسبة الى ما عند الله تعالى إن الله تعالى عنده أجر عظيم لمن أطاعه واتقاه وحافظ على أمانته مع الله ورسوله ومع عباد الله وقوله تعالى في الآية الثالثة { يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئآتكم ويغفر لكم } هذا حض على التقوى وترغيب فيها بذكر أعظم النتائج لها وهي أولاً اعطاء الفرقان وهو النصر والفصل بين كل مشتبه ، والتمييز بين الحق والباطل والضار والنافع ، والصحيح والفاسد ، وثانياً تكفير السيئآت ، وثالثاً مغفرة الذنوب ورابعاً الأجر العظيم الذي هو الجنة ونعيمها إذ قال تعالى في ختام الآية { والله ذو الفضل العظيم } إشارة الى ما يعطيه الله تعالى أهل التقوى في الآخرة وهو الجنة ورضوانه على أهلها ، ولنعم الأجر الذي من أجله يعمل العاملون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تحريم الخيانة مطلقاً وأسوأها ما كان خيانة لله ورسوله .

2- في المال والأولاد فتنة قد تحمل على خيانة الله ورسوله ، فيلحذرها المؤمن .

3- من ثمرات التقوى تكفير السيآت وغفران الذنوب ، والفرقان وهونور في القلب يفرق به المتقى بين الأمور المتشابهات والتي خفي فيها وجه الحق والخير .

(38/2)

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (31)

شرح الكلمات :

{ وإذ يمكر بك } : أي يبيتون لك ما يضرك .

{ ليثبتوك } : أي ليحبسوك مثبتاً بوثاق حتى لا تفر من الحبس .

{ أو يخرجوك } : أي ينفوك بعيداً عن ديارهم .

{ ويمكرون ويمكر الله } : أي يدبرون لك السوء ويبيتون لك المكروه ، والله تعالى يدبر لهم ما يضرهم أيضاً ويبيت لهم ما يسوءهم .

{ آياتنا } : آيات القرآن الكريم .

{ أساطير الأولين } : الأساطير جمع أسطوره ما يدون ويسطر من أخبار الأولين .

معنى الآيات :

يذكر تعالى رسوله والمؤمنين بنعمة من نعمه تعالى عليهم فيقول لرسوله واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا { ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك } إذا اجتمعت قريش في دار الندوة وأتمرت في شأن النبي صلى الله عليه وسلم وفكرت ومكرت فأصدروا حكماً بقتله صلى الله عليه وسلم وبعثوا من ينفذ جريمة القتل أحد ونفذ وهاجر إلى المدينة وهذا معنى { ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين } فكان في نجاته صلى الله عليه وسلم من يد قريش نعمة عظمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى سائر المؤمنين والحمد لله رب العالمين .

وقوله تعالى في الآية الثانية { وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين } هذا الخبر تنديد بموقف المشركين ذكر بعد ذكر مؤامراتهم الدنية ومكرهم الخبيث حيث قرروا قتله صلى الله عليه وسلم يخبر تعالى أنهم إذا قرأ عليهم الرسول آيات الله المبينة للحق والمقررة للايمان به ورسالته بذكر قصص الأولين قالوا { سمعنا } ما تقرأ علينا ، { ولو شئنا لقلنا مثل هذا } أي الذي تقول { إن هذا إلا أساطير الأولين } أي أخبار السابقين من الأمم سطرت وكتبت فهي تملى عليك فتحفظها وتقرأها علينا وكان قائل هذه المقالة الكاذبة النضر بن الحارث عليه لعائن الله ، إذ مات كافراً .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- التذكير بنعم الله تعالى على العبد ليجد العبد في نفسه داعية الشكر فيشكر .

2- بيان مدى ما قاومت به قريش دعوة الإسلام حتى إنها أصدرت حكمها بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم .

3- بيان موقف المشركين من الدعوة الإسلامية ، وانهم بذلوا كل جهد في سبيل انهائها والقضاء عيلها .

(39/2)

وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (32) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (34) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (35)

شرح الكلمات :

{ اللهم } : أي يا الله حذفت ياء النداء من أوله وعوض عنها الميم من آخره .

{ إن كان هذا } : أي الذي جاء به محمد ويخبر به .

{ فأمطر } : أنزل علينا حجارة .

{ يصدون عن المسجد الحرام } : يمنعون الناس من الدخول إليه للاعتمار .

{ مكاء وتصدية } : المكاء : التصفير ، والتصدية : التصفيق .

معنى الآيات :

ما زال السياق في التنديد ببعض أقوال المشركين وأفعالهم فهذا النضر بن الحارث القائل في الآيات السابقة { لو نشاء قلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين } يخبر تعالى عنه أنه قال { اللهم إن كان هذا } أي القرآن { هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء } فنهلك بها ، ولا نرى محمداً ينتصر دنيه بيننا . { أو أئتنا بعذاب أليم } حتى نتخلص من وجودنا . فقال تعالى { وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم } فوجودك بينهم أمان لهم { وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون } إذ كانوا إذا طافوا يقول بعضهم غفرانك ربنا غفرانك ، ثم قال تعالى { وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام } أي أيُّ شيء يصرف العذاب عنهم وهم يرتكبون أبشع جريمة وهي صدهم الناس عن دخول المسجد الحرام للطواف بالبيت الحرام ، فقد كانوا يمنعون المؤمنين من الطواف بالبيت والصلاة في المسجد الحرام . وقوله تعالى { وما كانوا أولياءه } رد على مزاعمهم بأنهم ولاة الحرم والقائمون عليه فلذا لهم أن يمنعوا من شاءوا ويأذنوا لمن شاءوا فقال تعالى رداً عليهم { وما كانوا أولياءه } أي أولياء المسجد الحرام ، كما لم يكونوا أيضاً أولياء الله إنّما أولياء الله والمسجد الحرام المتقون الذين يتقون الشرك والمعاصي { ولكن أكثرهم لا يعلمون } هذا لجهل بعضهم وعناد آخرين . وقوله { وما كان صلاتهم عن البيت إلا مكاء وتصدية } إذ كان بعضهم إذ طافوا يصفقون ويصفرون كما يفعل بعض دعاة التصوف حيث يرقصون وهم يصفقون ويصفرون ويعدون هذا حضرة أولياء الله ، والعياذ بالله من الهل والضلال وقوله تعالى { فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون } أذاقهموه يوم بدر إذ أذلهم فيه وأخزاهم وقتل رؤساءهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان ما كان عليه المشركون في مكة من بغض للحق وكراهية له حتى سألوا العذاب العام ولا يرون راية الحق تظهر ودين الله ينتصر .

2- النبي صلى الله عليه وسلم أمان أمته من العذاب فلم تُصب هذه الأمة بعذاب الاستئصال والإبادة الشاملة .

3- فضيلة الاستغفار وأنه ينجي من عذاب الدنيا والآخرة .

4- بيان عظم جرم من يصد عن المسجد الحرام للعبادة الشرعية فيه .

5- بيان أولياء الله تعالى والذين يحق لهم أن يلوا المسجد الحرام وهو المتقون .

6- كراهية الصفير والتصفيق ، وبطلان الرقص في التعبد .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (37)

شرح الكلمات :

{ إن الذين كفروا } : أي كذبوا بآيات الله ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من قريش .

{ ثم تكون عليهم حسرة } : أي شدة ندامة .

{ ثم يغلبون } : أي يهزمون .

{ ليميز } : أي ليميز كل صنف من الصنف الآخر .

{ الخبيث } : هم أهل الشرك والمعاصي .

{ من الطيب } : هم أهل التوحيد والأعمال الصالحة .

{ فيركمه } : أي يجعل بعضه فوق بعض في جهنم .

معنى الآية الكريمة :

ما زال السياق في التنديد بالمشركين وأعمالهم الخاسرة يخبر تعالى { أن الذين كفروا } وهم أهل مكة من زعماء قريش { ينفقون أموالهم } في حرب رسول الله والمؤمنين للصد عن الإسلام المعبر عنه بسبيل الله يقول تعالى { فيسنفقونها ثم تكون عليهم حسرة } أي ندامة شديدة لسوء العاقبة التي كانت لهم في بدر وأحد والخندق إذ أنفقوا على هذه الحملات الثلاث من الأموال ما الله به عليم ، ثم خابوا فيها وخسروا وبالتالي غلبوا وانتهى سلطانهم الكافر وفتح الله على رسوله والمؤمنين مكة وقوله تعالى { والذين كفروا } أي من مات منهم على الكفر { إلى جهنم يحشرون } أي يجمعون ، وعلة هذا الجمع أن يميز الله تعالى الخبيث من الطيب فالطيبون وهم المؤمنون الصالحون يعبرون الصراط الى الجنة دار النعيم ، وأما الخبيث وهم فريق المشركين فيجعل بعضه إلى بعض فيركمه جميعاً كوماً واحداً فيجعله في جهنم . وقوله تعالى { أولئك هم الخاسرون } إشارة الى الذين أنفقوا أموالهم للصد عن سبيل الله وماتوا على الكفر فحشروا إلى جهنم وجعل بعضهم الى بعض ثم صيروا كوماً واحداً ثم جعلوا في نار جهنم هم الخاسرون بحق حيث خسروا أنفسهم وأموالهم وأهليهم وكل شيء وأمسوا في قعر جهنم مبليسن والعياذ بالله من الخسروان المبين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- كل نفقة ينفقها العبد للصد عن سبيل الله بأي وجه من الوجوه تكون عليه حسرة عظيمة يوم القيامة .

2- كل كافر وكل مؤمن طيب .

3- صدق وعد الله تعالى لرسوله والمؤمنين بهزيمة المشركين وغلبتهم وحسرتهم على ما أنفقوا في حرب الإسلام وضياع ذلك كله وخيبتهم فيه .

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (38) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (39) وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (40)

شرح الكلمات :

{ إن ينتهوا } : عن الكفر بالله ورسوله وحرب الرسول والمؤمنين .

{ ما قد سلف } : أي مضى من ذنوبهم من الشرك وحرب الرسول والمؤمنين .

{ مضت سنة الأولين } : في إهلاك الظالمين .

{ لا تكون فتنة } : أي شرك بالله واضطهاد وتعذيب في سبيل الله .

{ ويكون الدين كله لله } : أي حتى لا يعبد غير الله .

{ مولاكم } : متولي أمركم بالنصر والتأييد .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان الإجراءات الواجب اتخذاها إزاء الكافرين فيقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم { قل للذين كفروا } مبلغاً عنا { إن ينتهوا } أي عن الشرك والكفر والعصيان وترك حرب الإسلام وأهله { يغفر لهم ما قد سلف } يغفر الله لهم ما قد مضى من ذنوبهم العظام وهي الشرك والظلم ، وهذا وعد صدق ممن لا يخلف الوعد سبحانه وتعالى . { وإن يعودوا } إلى الظلم والاضطهاد والحرب فسوف يحل بهم ما حل بالأمم السابقة قبلهم لما ظلموا فكذبوا الرسل وآذوا المؤمنين وهو معنى قوله تعالى { فقد مضت سنة الأولين } أي سنة الله والطريقة المتبعة فيهم وهي أخذهم بعد الإنذار والإعذار . ثم في الآية الثانية من هذا السياق يأمر الله تعالى رسوله والمؤمنين بقتال المشركين قتالاً يتواصل بلا انقطاع إلى غاية هي : أن لا تبقى فتنة أي شرك ولا اضطهاد لمؤمن أو مؤمنة من أجل دينه ، وحتى يكون الدين كله لله فلا يعبد مع الله أحد سواه { فإن انتهوا } أي عن الشرك والظلم فكفوا عنهم وإن انتهوا في الظاهر ولم ينتهوا في الباطل فلا يضركم ذلك { فإن الله بما يعملون بصير } وسيظهرهم لكم ويسلطكم عليهم . وقوله في ختام السياق { وإن تولوا } أي نكثوا العهد وعادوا إلى حربكم بعد الكف عنهم فقاتلوهم ينصركم الله عليهم واعلموا ان الله مولاكم فلا يسلطهم عليكم ، بل ينصركم عليهم إنه { نعم المولى } لمن يتولى { ونعم النصير } لمن ينصر .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان سعة فضل الله ورحمته .

2- الإسلام يجبّ أي يقطع ما قبله ، فيغفر لمن أسلم كل ذنب قارفه من الكفر وغيره .

3- بيان سنة الله في الظالمين وهي إهلاكهم وإن طالت مدة الإملاء والإنظار .

4- وجوب قتال المشركين على المسلمين ما بقي في الأرض مشرك .

5- نعم المولى الله جل جلاله لمن تولاه ، ونعم النصير لمن نصره .

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (41) إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (42) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (43) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (44)

شرح الكلمات :

{ أنما غنتم من شيء } : أي ما أخذتموه من مال الكافر قهراً لهم وغلبة قليلاً كان أو كثراً .

{ فإن لله خمسة } : أي خمس الخمسة أقسام ، يكون لله والرسول ومن ذكر بعدهما .

{ ولذى القربى } : هم قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وبني المطلب { وما أنزلنا على عبدنا } : أي من الملائكة والآيات .

{ يوم الفرقان } : أي يوم بدر وهو السابع عشر من رمضان ، إذ فرق الله فيه بين الحق والباطل .

{ التقى الجمعان } : جمع المؤمنين وجمع الكافرين ببدر .

{ العدوة الدنيا } : العدوة حافة الوادي ، وجانبه والدنيا أي القريبة إلى المدينة .

{ وبالعدوة القصوى } : أي البعيد من المدينة إذ هي حافة الوادي من الجهة الأخرى .

{ والركب أسفل منكم } : أي ركب أبي سفيان وهي العير التي خرجوا من أجلها . أسفل منكم مما يلي البحر .

{ عن بيِّنة } : أي اختلفتم .

{ لتنازعتم في الأمر } : أي اختلفتم .

{ ويقللكم في أعينهم } : هذا قبل الالتحام أما بعد فق رأوهم مثليهم حتى تتم الهزيمة لهم .

معنى الآيات :

هذه الآيات لا شك أنها نزلت في بيان قسمة الغنائم بعدما حصل فيها من نزاع فافتكها الله تعالى منهم ثم قسمها عليهم فقال الأنفال لله وللرسول في أول الآية ثم قال هنا { واعلموا } أيها المسلمون { أنما غنتم من شيء } حتى الخيط والمخيط ، ومعنى غنمتم أخذتموه من المال من أيدي الكفار المحاربين لكم غلبة وقهراً لهم فقسمته هي أن { لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل } ، والأربعة أخماس الباقية هي لكم أيها المجاهدون للراجل قسمة وللفارس قسمتان لما له من تأثير في الحرب ، ولأن فرسه يحتاج إلى نفقة علف . والمراد من قسمة الله أنها تنفق في المصالح العامة ولو أنفقت على بيوته لكان أولى وهي الكعبة وسائر المساجد ، وما للرسول فإنه ينفقه على عائلته ، وما لذي القربى فإنه ينفق على قرابة الرسول الذين يحرم عليهم أخذ الزكاة لشرفهم وهم بنو هاشم وبنو المطلب ، وما لليتامى ينفق على فقراء المسلمين ، وما لابن السبيل ينفق على المسافرين المنقطعين عن بلادهم إذا كانوا

محتاجين إلى ذلك في سفرهم وقوله تعالى { إن كنتم آمنتم بالله } أي رباً { وما أنزلنا على عبدنا } أي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم { يوم الفرقان يوم التقى الجمعان } وهو يوم بدر حيث التقى المسلمون بالمشركين فوصلت إلى أكثرهم فسببت هزيمتهم . وقوله { والله على كل شيء قدير } أي كما قدر على نصركم على قلتكم وقدر على هزيمة عدوكم على كثرتهم هو قادر على كل شيء يريده وقوله تعالى { إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم } تذكير لهم بساحة المعركة التي تجلت فيها آيات الله وظهر فيها إنعامه عليهم ليتهيئوا للشكر .

(43/2)

وقوله تعالى { ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد } أي لو تواعدتم أنتم والمشركون على اللقاء في بدر للقتال لاختلفتم لأسباب تقتضي ذلك منها أنكم قلة وهم كثرة { ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً } أي محكوماً به في قضاء الله وقدره ، وهو نصركم وهزيمة عدوكم . وجمعكم من غير تواعد ولا اتفاق سابق . وقوله تعالى { ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حَيَّ عن بينة } هذا تعليل لفعل الله تعالى بجمعكم في وادي بدر للقتال وهو فعل ذلك ليحيا بالإيمان من حيي على بينة وعلم أن الله حق والإسلم حق والرسول حق والدار الآخرة حق حيث أراهم الله الآيات الدالة على ذلك ، ويهلك من هلك بالكفر على بينة إذ اتضح له أن ما عليه المشركون كفر وباطل وضلال ثم رضي به واستمر عليه . وقوله تعالى { وان الله لسميع عليم } تقرير لما سبق وتأكيد له حيث أخبر تعالى أنه سميع لأقوال عباده عليهم بأفعالهم فما أخبر به وقرره هو كما أخبر وقرر . وقوله تعالى { وإذ يريكهم الله في منامك قليلاً } أي فأخبرت أصحابك ففرحوا بذلك . وسُّروا ووطنوا أنفسهم للقتال ، وقوله : { ولو أراكهم كثيراً } أي في منامك وأخبرك به أصحابك لفشلتم أي جبنتم عن قتالهم ، ولتنازعتم في أمر قتالهم { ولكن الله سلَّم } من ذلك فلم يريكهم كثيراً إنه تعالى عليم بذات الصدور ففعل ذلك لعلمه بما يترتب عليه من خير وشر . وقوله تعالى { وإذ يريكموهم } أي اذكروا أيها المؤمنين إذ يريكم الله الكافرين عند التقائكم بهم قليلاً في أعينكم كأنهم سبعون رجلاً أو مائة مثلاً ويقللكم سبحانه وتعالى في أنعينهم حتى لا يهابوكم . وهذا كان عند المواجهة وقبل الالتجام أما بعد الالتحام فقد أرى الله تعالى الكافرين أراهم المؤمنين ضعيفهم في الكثرة وبذلك انهزموا كما جاء ذلك في سورة آل عمران في قوله { يرونهم مثيلهم } وقوله تعالى { ليقضي الله أمراً كان معفولاً } تعليل لتلك التدابير الإليهة لأوليائه لنصرتهم وإعزازهم وهزيمة أعدائهم وإذلالهم وقوله تعالى { وإلى الله ترجع الأمور } إخبار منه تعالى بأن الأمور كلها تصير إليه فما شاء منها كان وما لم يشأ لم يكن خبراً كان أوغيراً .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان قسمة الغنائم على الوجه الذي رضيه الله تعالى .

2- التذكير بالإيمان ، إذ هو الطاقة الموجهة باعتبار أن المؤمن حي بإيمانه يقدر على الفعل والترك ، والكافر ميت فلا يكلف .

3- فضيلة غزوة بدر وفضل أهلها .

4- بيان تدبير الله تعالى في نصر أوليائه وهزيمة اعدائه .

5- بيان أن مرد الأمور نجاحاً وخيبة لله تعالى ليس لأحد فيها تأثير إلا بإذنه .

(44/2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (47) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (48) إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (49)

شرح الكلمات :

{ فئة } : طائفة مقاتلة .

{ فاثبتوا } : لقتالها واصمدوا .

{ واذكروا الله كثيراً } : مهللين مكبرين راجين النصر طامعين فيه سائلين الله تعالى . ذلك .

{ تفلحون } : تفوزون بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة بعد النجاة من الهزيمة في الدنيا والنار في الآخرة .

{ ولا تنازعوا } : أي لا تختلفوا وأنتم في مواجهة العدو أبداً .

{ وتذهب ريحكم } : أي قوتكم بسبب الخلاف .

{ خرجوا من ديارهم بطراً } : أي للبطر الذي هو دفع الحق ومنعه .

{ وقال إني جار لكم } : أي مجير لكم ومعين على عدوكم .

{ تراءت الفئتان } : أي التقتا ورأت كل منهما عدوها .

{ نكص على عقبيه } : أي رجع إلى الوراء هارباً ، لأنه جاءهم في صورة سراقة بن مالك .

{ إني أرى ما لا ترون } : من الملائكة .

{ والذين في قلوبهم مرض } : أي ضعيف في إيمانهم وخلل في اعتقادهم .

معنى الآيات :

هذا النداء الكريم موجه إلى المؤمنين وقد أذن لهم في قتال الكافرين ، وبدأ بسرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه وثنى بهذه الغزوة غزوة بدر الكبرى فلذا هم في حاجة إلى تعليم رباني وهداية إلهية يعرفون بموجبها كيف يخوضون المعارك وينتصرون فيها وفي هذه الآيات الأربع تعليم عال جداً لخوض المعارك والانتصار فيها وهذا بيانها :

1- الثبات في وجه العدو والصمود في القتال حتى لكأن المجاهدين جبل شامخ لا يتحرك { يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة } أي جماعة مقاتلة { فاثبتوا } .

2- ذكر الله تعالى تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً ودعاء وضراعة ووعداً ووعيداً . { واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون } أي

تفوزون بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة بعد النجاة من الهزيمة والمذلة في الدنيا ، والنار والعذاب في الآخرة .

3- طاعة الله ورسوله في أمرهما ونهيهما ومنه طاعة قائد المعركة ومديرها وهذا من أكبر عوامل النصر حسب سنة الله تعالى في الكون { واطيعوا الله ورسوله } .

4- عدم التنازع والخلاف عند التدبير للمعركة وعند دخولها وأثناء خوضها .

5- بيان نتائج التنازع والخلاف وأنها : الفشل الذريع ، وذهاب القوة المعبر عنها بالريح { ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم } .

6- الصبر على مواصلة القتال والإعداد له وتوطين النفس واعدادها لذلك . { واصبروا إن الله مع الصابرين } .

7- الإخلاص في القتال والخروج له لله تعالى فلا ينبغي أن يكون لأي اعتبار سوى مرضاة الله تعالى { ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط } .

هذه عوامل النصر وشورط الجهاد في سبيل الله . تضمنتها ثلاث آيات من هذه الآيات الخمس وقوله تعالى في الآية الرابعة (48) { وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال : لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني برىء منكم إنى أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب } يذكّر تعالى المؤمنين بحادثة حدثت يوم بدر من إغرب الحوادث لتكون عبرة وموعظة للمؤمنين فيقول عز وجل واذكروا إذ زين الشيطان للمشركين الذين نهيتكم أن تتشبهوا بهم في سيرهم وقتالهم وفي كل حياتهم ، فقال لهم : أقدموا على قتال محمد والمؤمنين ، ولا ترهبوا ولا تخافوا إنه لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإني جار لكم أي مجير لكم وناصر ومعين .

(45/2)

وكان الشيطان في هذه الساعة فى صورة رجل من أشراف قبيلته يقال له سراقة بن مالك فلما تراءت الفئتان لبعضهما البعض وتقدموا للقتال رأى الشيطان جبير لفي صوف الملائكة ، فنكص على عقبيه ، وكان آخذاً بيد الحارث بن هاشم يحدثه يعده ويمنيه بعد ما زين لهم خوض المعركة وشجعهم على ذلك ، وولى هارباً فقال له الحارث ما بك ما أصابك تعال فقال وهو هارب { إني أرى ما لا ترون } يعني الملائكة { إني أخاف الله والله شديد العقاب } وصدق وهو كذوب وقوله تعالى في نهاية الآية (49) { إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم } أي واذكروا أيها المؤمنون للعبرة والاتعاظ إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض أي ضعف في الإيمان وتخلخل في العقيدة : غر هؤلاء دينهم وإلا لما خرجوا لقتال قريش وهي تفوقهم عدداً وعدة ، ومثل هذا الكلام يعتبر عادياً من ضعاف الإيمان والمنافقين المستترين بزيف إيمانهم ، فاذكروا هذا ، ولا يفت في اعضادكم مثل هذا الكلام ، وتوكلوا على الله واثقين في نصره فإنه ينصركم لأنه عزيز لا يغالب ولا يمانع في ما يريده أبداً . حكيم يضع النصر في المتأهلين له بالإيمان والصبر والطاعة له ، ولرسوله ، والإخلاص له في العمل والطاعة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان أسباب النصر وعوامله ووجوب الأخذ بها في كل معركة وهي : الثبات وذكر الله تعالى ، وطاعة الله ورسوله

وطاعة القيادة وترك النزاع والخلاف والصبر والإخلاص .

2- بيان عوامل الفشل والخيبة وهي النزاع والاختلاف والبطر والرياء والاغترار .

3- بيان عمل الشيطان في نفوس الكافرين بتزيينه لهم الحرب ووعده وتمنيته لهم .

4- بيان حال المنافقين وضعفة الإيمان عند وجود القتال ونشوب الحروب .

5- وجوب التوكل على الله والاعتماد عليه مهما كانت دعاوى المبطلين والمثبطين والمنهزمين .

(46/2)

وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (51) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (52) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (53) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (54)

شرح الكلمات :

{ إذ يتوفى } : أي يقبض أرواحهم لإماتتهم .

{ وجوههم وأدبارهم } : أي يضربونهم من أمامهم ومن خلفهم .

{ بظلام للعبيد } : أي ليس بذي ظلم للعبيد كقوله { ولا يظلم ربك أحداً } .

{ كدأب آل فرعون } : أي دأب كفار قريش كدأب آل فرعون في الكفر والتكذيب والدأب العادة .

{ لم يك مغيراً نعمة } : تغيير النعمة تبديلها بنقمة بالسلب لها أو تعذيب أهلها .

{ آل فرعون } : هم كل من كان على دينه من الأقباط مشاركاً له في ظلمه وكفره .

معنى الآيات :

ما زال السياق مع كفار قريش الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس فيقول تعالى لرسوله { ولو ترى إذ يتوفى كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم } وهم يقولون لهم { وذوقوا عذاب الحريق } وجواب لولا محذوف تقديره (لرأيت أمراً مظيعاً) وقوله تعالى { ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد } هو قول الملائكة لمن يتوفونهم من الذين كفروا . أي ذلكم الضرب والتعذيب بسبب ما قدمت أيديكم من الكفر والظلم والشر والفساد وأن الله تعالى ليس بظالم لكم فإنه تعالى لا يظلم أحداً . وقوله تعالى { كدأب آل فرعون والذين من قبلهم } أي دأب هؤلاء المشركين من كفار قريش في كفرهم وتكذيبهم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم { كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم } وكفر هؤلاء فأخذهم الله بذنوبهم ، وقوله { إن الله قوي شديد العقاب } يشهد له فعله بآل فرعون والذين من قبلهم عاد وثمود وقوم إبرتاهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات وأخيراً أخذه تعالى كفارة قريش في بدر أخذ العزيز المقتدر ، وقوله تعالى { ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم } إشارة إلى ما أنزله من عذاب على

الأمم المكذبة الكافرة الظالمة ، وإلى بيان سنته في عباده وهي أنه تعالى لم يكن من شأنه أن يغير نعمة أنعمها على قوم كالأمن والرخاء ، أو الطهر والصفاء حتى يغيروا هم ما بأنفسهم بأن يكفروا ويكذبوا ، ويظلموا أو يفسقوا ويفجروا ، وعندئذ يغير تلك النعم ينقم فيحل محل الأمن والرخاء الخوف والغلاء ومحل الطهر والصفاء الخبث والشر والفساد هذا إن لم يأخذهم بالإبادة الشاملة والاستئصال التام . وقوله تعالى { وأن الله سميع عليم } أي لأقول عباده وأفعالهم فلذا يتم الجزاء عادلاً لا ظلم فيه . وقوله تعالى { كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعو وكل كانوا ظالمين } هذه الآية تشبه الآية السابقة إلا أنها تخالفها فيما يلي : في الأولى الذنب الذي أخذ به الهالكون كان الكفر ، وفي هذه : كانت التكذيب ، في الأولى : لم يذكر نوع العذاب ، وفي الثانية أنه الإغراق ، في الأولى لم يسجل عليهم سوى الكفر فهو ذنبهم لا غير .

وفي الثانية سجل على الكفر ، ذنباً آخر وهو الظلم إذ قال { وكل كانوا ظالمين } أي بكفرهم وتكذيبهم ، وصدهم عن سبيل الله وفسقهم عن طاعة الله ورسوله مع زيادة التأكيد والتقرير .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير عذاب القبر بتقرير العذاب عند النزع .

2- هذه الآية نظيرها آية الانعام { ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم } أي بالضرب .

3- تنزه الخالق عز وجل عن الظلم لأحد .

4- سنة الله تعالى في أخذ الظالمين وإبدال النعم بالنقم .

5- لم يكن من سنة الله تعالى في الخلق تغيير ما عليه الناس من خير أو شر حتى يكونوا هم البادئين .

6- التنديد بالظلم وأهله ، وأنه الذنب الذي يطلق على سائر الذنوب .

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55) الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (56) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (57) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (58) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (59)

شر الكلمات :

{ شر الدواب } : من إنسان أو حيوان الذين ذكر الله وصفهم وهم بنو قريظة .

{ فهم لا يؤمنون } : لم اعلم الله تعالى من حالهم أخبر أنهم يموتون على الكفر .

{ ينقضون عهدهم } : أي يحلونه ويخرجون منه فلا يلتزموا بما فيه .

{ في كل مرة } : أي عاهدا فيها .

{ فإما تثقفنّهم } : أي ان تجدنّهم ، وما مزيدة أدغمت في إن الشرطية .

{ فشرد } : أي فرق وشتت .

{ يذكرون } : أي يتعظون .

{ فانبذ إليهم } : أي اطرح عهدهم .

{ على سواء } : أي على حال من العلم تكون أنت وإياهم فيها سواء ، أي كل منكم عالم بنقض المعاهدة .

{ الخائنين } : الغادرين بعهودهم .

{ سبقوا } : أي فاتوا الله ولم يتمكن منهم .

معنى الآيات :

بمناسبة ذكر خصوم الدعوة الإسلامية والقائم عليها وهو النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تعالى خصوماً لها آخرين غير المشركين من كفار قريش وهم بنو قريظة من اليهود . فأخبر تعالى عنهم أنهم شر الدواب من الإنسان والحيوان ووصفهم محدداً لهم ليعرفوا ، وأخبر أنهم لا يؤمنون لتوغلهم في الشر والفساد ، فقال : { إن شر الدواب عند الله } أي في حكمه وعلمه . { الذين كفروا فيهم لا يؤمنون } وخصصهم بوصف آخر خاص بهم فقال : { الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون } وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم عاهدهم أول مرة على أن لا يحاربوه ولا يعينوا أحداً على حربه فإذا بهم يعينون قريشاً بالسلاح ، ولما انكشف أمرهم اعترفوا معترفين بخطإهم ، وعاهدوا مرة أخرى على أن لا يحاربوا الرسول ولا يعينوا من يحاربه فإذا بهم ينقضون عهدهم مرة أخرى ويدخلون في حرب ضده حيث انضموا الى الأحزاب في غزوة الخندق هذا ما دل عليه قوله تعالى { إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة } أي يعاهدون فيها . { وهم لا يتقون } أي لا يخافون عاقبة نقض المعاهدات والتلاعب بها حسب أهوائهم . وقوله تعالى { فإا تثقفنّضهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعله يذكرون } يرشد رسوله آمراً إياه بما يجب أن يتخذه إزاء هؤلاء الناكثين للعهود المنغمسين في الكفر . بحيث لا يخرجون منه بحال من الأحوال . ويشهد لهذه الحقيقة أنهم لما حوصروا في حصونهم ونزلوا منها مستسلمين كان يعرض على أحدهم الإسلام حتى لا يقتل فيؤثر باختياره القتل على الإسلام وماتوا كافرين وصدق الله إذ قال { فهم لا يؤمنون } فهؤلاء إن ثقفتهم في حرب أي وجدتهم متمكناً منهم فاضربهم بعنف وشدة وبلا هوادة حتى تشرد أي تفرق بهم من خلفهم من أعداء الإسلام المتربصين بك الدوائر من كفار قريش وغيرهم لعلهم يذكرون أي يتعظون فلا يفكروا في حربك وقتالك بعد ، وقوله { وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين } هذا إرشاد آخر للرسول صلى الله عليه وسلم يتعلق بالخطط الحربية الناجحة وهو أنه صلى الله عليه وسلم أن خاف من وقوم معاهدين له خيانة ظهرت أماراتها وتأكد لديك علاماتها فاطرح تلك المعاهدة ملغياً لها معلناً ذلك لتكون وإياهم على علم تام بإلغائها ، وذلك حتى لا يتهموك بالغدر والخيانة ، والله لا يحب الخائنين وقاتلهم مستعيناً بالله عليهم وستكون الدائرة على الناكث الخائن ، وهذا ضرب من الحزم وصحة العزم إذ ما دام قد عزم العدو على النقض فقد نقض فليبادر لافتكاك عنصر المباغتة من يده ، وهو عنصر مهم في الحروب .

(49/2)

وقوله تعالى { ولا يحبسن الذين كفروا } وهم من هرب من بدر من كفار قريش { سبقوا } أي فاتوا فلم يقدر الله تعالى عليهم { إنهم لا يعجزون } أي إنهم لا يعجزون الله بحال فإنه تعالى لا يفوته هارب ، ولا يغلبه غالب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان أن شر الدواب هم الكفار من أهل الكتاب والمشركين بل هم شر البرية .

2- سنة الله فيمن توغل في الظلم والشر والفسد يُحرم التوبة فلا يموت إلا كافراً .

3- من السياسة الحربية النافعة أن يضرب القائد عدو بعنف وشدة ليكون نكالاً لغيره من الأعداء .

4- حرمة الغدر والخيانة .

5- جواز إعلان المعاهدة وضرب العدو فوراً إن بدرت منه بوادر واضحة بأنه عازم على نقض المعاهدة وذلك لتفويت عنصر المباغته عليه .

(50/2)

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60) وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63)

شرح الكلمات :

{ أعدوا } : هيئوا وأحضروا .

{ ما استطعتم } : ما قدرتم عليه .

{ من قوة } : أي حربية من سلاح على اختلاف أنواعه .

{ يوفَّ إليكم } : أي أجره وثوابه .

{ وإن جنحوا للسلم } : أي مالوا إلى عدم الحرب ورغبوا في ذلك .

{ فإن حسبك الله } : أي يكفيك شرهم ، وينصرك عليهم .

{ ألف بين قلوبهم } : أي جمع بين قلوب الأنصار بعدما كانت متنافرة مختلفة .

{ إنه عزيز حكيم } : أي غالب على أمره ، حكيم في فعله وتدبير أمور خلقه .

معنى الآيات :

بمناسبة انتهاء معركة بدر وهزيمة المشركين فيها ، وعودتهم إلى مكة وكلهم تغيظ على المؤمنين وفعلاً أخذ أبو سفيان يعد العدة للانتقام . وما كانت غزوة أحد إلا نتيجة لذلك هنا أمر الله تعالى رسوله والمؤمنين بإعداد القوة وبذل ما في الوسع والطاعة لذلك فقال تعالى { واعدوا لهم ما استطعتم من قوة } وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة بالرمي بقوله « ألا إن القوة الرمي » قالها ثلاثاً وقوله تعالى { ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعودكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم } يخبر تعالى عباده المؤمنين بعد أن أمرهم بإعداد القوة على اختلافها فأن رباطهم للخيل وحبسها أمام دورهم معدة للغزو والجهاد عليها يرهب أعداء الله من الكافرين والمنافقين أي يخوفهم حتى لا يكفروا في غزو المسلمين وقتالهم ، وهذا ما يعرف بالسلم المسلح ، وهو أن الأمة إذا كانت مسلحة قادرة القتال يرهبها أعداؤها يحاربونها ، وإن رأوها لا عدة لها ولا عتاد ولا قدرة على رد أعدائها أغراهم ذلك بقتالهم فقاتلوها . وقوله تعالى { وآخرين من ديونهم } أي من دون كفار قريش ، وقوله { لا تعلمونهم الله يعلمهم } من الجائز أن يكونوا اليهود أو المجوس أو المنافقين ، وأن يكونوا الجن أيضاً ، وما دام الله عز وجل لم يُسمهم فلا يجوز أن يقال هم كذا . . بصيغة الجزم ، غير أنا نعلم أن أعداء المسلمين كل أهل الأرض من أهل الشرك والكفر من الإنس والجن ، وقوله تعالى { وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون } إخبار منه تعالى أن ما ينفقه المسلمون من نفقة قلت أو كثرت في سبيل الله التي هي الجهاد يوفّيهم الله تعالى إياها كاملة ولا ينقصهم منها شيئاً فجملة { وأنتم لا تظلمون } جملة خالية ومعناها لا يظلمكم الله تعالى بنقص ثواب نفقاتكم في سبيله هذا ما دلت عليه الآية الأولى (60) أما الآية الثانية وهي قوله تعالى { وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم } فإن الله تعالى يأمر رسوله وهو قائد الجهاد يومئذ بقبول السلم متى طلبها أعداؤه ومالوا إليها ورغبوا بصدق فيها ، لأنه صلى الله عليه وسلم رسول رحمة لا رسول عذاب وأمره أن يتوكل على الله في ذلك أي يطيعه في قبول السلم ويفوض أمره إليه ويعتمد عليه لإنه تعالى يكفيه شرّ أعدائه لأنه سميع لأقوالهم عليم بأفعالهم ويفوض أمره لا يخفى عليه من أمرهم شيء فلذا سوف يكفي رسوله شر خداعهم إن أردوا خداعه أن يخدعوك } أي بالميل إلى السلم والجنوح إليها { فإن حسبك الله } أي كافيك إنه { هو الذي أيدك بنصره } أي في بدر { وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم } أي جمع بين تلك القلوب المتنافرة المنطوية على الإحن والعداوات ولأقل الأسباب وأتفهها ، لقد كان الأنصار يعيشون على عداوة عظيمة فيما بينهم حتى إن حرباً وقعت بينهم مائة وعشرين سنة فلما دخول في الإسلام اصطلحوا وزالت كل آثار العداوة والبغضاء وأصبحوا جسماً واحداً مَنْ فعل هذا سوى الله تعالى؟ الله لا أحد ، ولذا قال تعالى لرسوله { لو أنفقت ما في الأرض جميعا } أي من مال صامت وناطق { ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم } .

(51/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- وجوب إعداد القوة وهي في كل زمان بحسبه إن كانت في الماضي الرمح والسيف ورباط الخيل فهي اليوم النفاثة المقاتلة والصاروخ ، والهدروجين والدبابة والغواصة ، والبارجة .

2- تقرير مبدأ : السلم المسلح ، إرجع إلى شرح الآيات .

3- لا يخلوا المسلمون من أعداء ما داموا بحق مسلمين ، لأن قوى الشر من إنس وجن كلها عدو لهم .

4- نفقة الجهاد خير نفقة وهي مضمونة التضعيف .

5- جواز قبول السلم في ظروف معينة ، وعدم قبوله في أخرى وذلك بحسب حال المسلمين قوة وضعفاً .

(52/2)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (64) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (66)

شرح الكلمات :

{ حسبك الله } : أي كافيك الله كل ما يهمك من شأن أعدائك وغيرهم .

{ ومن اتبعك من المؤمنين } : أي الله حسبهم كذلك أي كافيهم ما يهمهم من أمر أعدائهم .

{ حرض المؤمنين على القتال } : أي حثهم على القتال مرغباً لهم مرهباً .

{ صابرون } : أي على القتال فلا يضعفون ولا ينهزمون بل يثبتون ويقاتلون .

{ لا يفقهون } : أي لا يعرفون أسرار القتال ونتائجه بعد فنونه وحذق أساليبه .

معنى الآيات :

ينادي الرب تبارك وتعالى رسوله بعنوان النبوة التي شرفه الله بها على سائر الناس فيقول { يا أيها النبي } ويخبره بنعم الخبر مطمئناً إياه وأتباعه من المؤمنين بأنه كافيهم أمر أعدائهم فما عليهم إلا أن يقاتلوهم ما دام الله تعالى ناصرهم ومؤيدهم عليهم ، فيقول : { حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين } ثم يُنَاديه ثانية قائلا { يا أيها النبي } ليأمره بالأخذ بالأسباب الموجبة للنصر بإذن الله تعالى وهي تحريض المؤمنين على القتال وحثهم عليه وترغيبهم فيه فيقول { حرض المؤمنين على القتال } ويخبره آمراً له ولأتباعه المؤمنين بأنه { إن يكن } أي يوجد منهم في المعركة { عشرون صابرون يغلبون مائتين } ، وإن يكن منهم مائة صابرة يغلبوا ألفاً من الكافرين ، ويعلل لذلك فيقول { بأنهم قوم لا يفقهون } أي لا يفقهون أسرار القتال وهي أن يعبد الله تعالى ويرفع الظلم من الأرض ويتخذ الله من المؤمنين شهداء فينزلهم منازل الشهداء عنده ، فالكافرون لا يفقهون هذا فلذا هم لا يصبرون على القتال لأنهم يقاتلون لأجل حياتهم فقط فإذا خافوا عنها تركوا القتال طلباً لحياة زيادة على ذلك أنهم جهال لا يعرفون أساليب الحرب ولا وسائلها الناجعة بخلاف المؤمنين فإنهم علماء ، علماء بكل شيء هذا هو المفروض ، وإن ضَعُفِ الإيمان تعالى { الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبون مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبون ألفين بإذن الله والله مع الصابرين } الآن بعد علمه تعالى بضعفكم حيث لا يقوى الواحد على قتال عشرة ، ولا العشرة على قتال مائة ولا المائة على قتال الألف

خفف تعالى رحمة بكم ومنّة عليكم ، فنسخ الحكم الأول بالثاني الذي هو قتال الواحد للإثنين ، والعشرة للعشرين والمائة للمائتين ، والألف للألفين ، ومفاده أن المؤمن لا يجو له أن يفر من وجه اثنين ولكن يجوز له أن يفر إذا كانوا أكثر من اثنين وهكذا سائر النِسب فالعشرة يحرم عليهم ان يفروا من عشرين ولكن يجوز لهم أن يفروا من ثلاثين أو أربعين مثلاً . وهذا من باب رفع الحرج فقط وإلا فإنه يجوز للمؤمن ان يقاتل عشرة أو أكثر ، فقد قاتل ثلاثة آلاف صحابي يوم مؤتة مائة وخمسين ألفاً من الروم والعرب المتنصرة وقوله تعالى { بإذن الله } أي بمونته وتأييده إذ لا نصر بدون عون من الله تعالى وإذن ، وقوله { والله مع الصابرين } أي بالتأييد والنصر ، والصبر شرط في تأييد الله وعونه فمن لم يصبر على القتال فليس له على الله وعد في نصره وتأييده .

(53/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- لا كافي إلا الل تعالى ، ومن زعم أن هناك من يكفي سوى الله تعالى فقد أشرك .

2- وجوب تحريض المؤمنين على الجهاد وحثهم عليه في كل زمان ومكان .

3- حرمة هزيمة الواحد والواحد من الاثنين ، ويجوز ما فوق ذلك .

4- وجوب تثقيف المجاهدين عقلاً وروحاً وصناعة .

5- وجوب الصبر في ساحة المعارك ويحرم الهزيمة إذا كان عدد المؤمنين اثني عشر ألف مقاتل أو أكثر إذ هذا العدد لا يغلب من قلة بإذن الله تعالى .

6- معية الله بالعلم والتأييد والنصر للصابرين دون الجزعين .

(54/2)

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (68) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (69)

شرح الكلمات :

{ أسرى } : جمع أسير وهو من أخذ في الحرب يشد عادة بإسار وهو قيد من جلد فاطلق لفظ الأسير عل كل من أخذ في الحرب .

{ حتى في الأرض } : أي تكون له قوة وشدة يرهب بها العدو .

{ عرض الدنيا } : أي المال لأنه عارض ويزول فلا يبقى .

{ لولا كتاب من الله سبق } : وهو كتاب المقادير بأن الله تعالى أحل لنبيّ هذه الأمة الغنائم .

{ فيما أخذتم } : أي بسبب ما أخذتم من فداء أسرى بدر .

{ حلالاً طيباً } : الحلال هو الطيب فكلمة طيباً تأكيد لحليّة اقتضاها المقام .

{ واتقوا الله } : أي بطاعته وطاعة رسوله في الأمر والنهي .

معنى الآيات :

ما زال السياق في أحداث غزوة بدر من ذلك أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلا عمر وسعد بن معاذ رضي الله عنهما رغبوا في مفاداة الأسرى بالمال للظروف المعاشية القاسية التي كانوا يعيشونها ، وكانت رغبتهم في الفداء بدون علم من الله تعالى بإحلالها أو تحريمها أما عمر فكان لا يعثر على أسير إلا قتله وأما سعد فقد قال (الاثخان في القتال أولى من استبقاء الرجال) ولما تم الفداء نزلت هذه الآية الكريمة تعاتبهم أشد العتاب فيقول تعالى { ما كان لنبّي } أي ما صح منه ولا كان ينبغي له أن يكون له أسرى حرب يبقيهم ليفاديهم أو يمن عليهم مجاناً { حتى يثخن في الأرض } أرض العدو قتلاً وتشريداً فإذا عرف بالبأس والشدة وهابه الأعداء جاز له الأسر أي الإبقاء على الأسرى أحياء ليمن عليهم بلا مقابل أو ليفاديهم بالمال ، وقوله تعالى { تريدون عرض الدنيا } هذا من عتابه تعالى لهم ، إذ ما فادوا الأسرى إلا لأنهم يريدون حطام الدنيا وهو المال ، وقوله { والله يريد الآخرة } فشتان ما بين مرادكم ومراد ربكم لكم تريدون العرض الفاني والله يريد لكم النعيم الباقي ، وقوله تعالى { الله عزيز حكيم } أي غالب على أمره ينصر من توكل عليه وفوّض أمره إليه ، حكيم في تصرفاته فلا يخذل أولياءه وينصره أعداءه فعليكم أياه المؤمنون بطلب مرضاته بترك ما تريدون لما يريد هو سبحانه وتعالى ، وقوله تعالى { لولا كتاب من الله سبق الأمة وكتب ذلك في اللوح المحفوظ لكان ينالكم جزاء رضاكم بالمفاداة وأخذ الفدية عذاب عظيم .

وقوله تعالى { فكلو مما غنمتم حلالاً طيباً } إذن منه تعالى لأهل بدر أن يأكلوا مما غنموا ، وحتى ما فادوا به الأسرى وهي منة منه سبحانه وتعالى ، وقوله تعالى { وتقوا الله } أمر منه عز وجل لهم بتقواه بفعل أوامره وأوامر رسوله وترك نواهيهما ، وقوله { إن الله غفور رحيم } إخبار منه تعالى أنه غفور لمن تاب من عباده رحيم بالمؤمنين منهم ، وتجلى ذلك في رفع العذاب عنهم حيث غفر لهم وأباح لهم ما رغبوا فيه وأرادوه . وفي الحديث : « لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم » .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- إرشاد الله تعالى لقادة الأمة الإسلامية في الجهاد أن لا يفادوا الأسرى وأن لا يمنوا عليهم بإطلاقهم إلا بعد أن يثخنوا في أرض العدو قتلاً وتشريداً فإذا خافهم العدو ورهبهم عندئذ يمكنهم أن يفادوا الأسرى أو يمنوا عليهم .

2- التزهيد في الرغبة في الدنيا لحقارتها ، والترغيب في الآخرة لعظم أجرها .

3- إباحة الغنائم .

4- وجوب تقوى الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله في الأمر والنهي .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (70) وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (71)

شرح الكلمات :

{ من الأسرى } : أسرى بدر الذين أخذ منهم الفداء كالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه .

{ إن يعلم في قلوبكم خيراً } : أي إيماناً صادقاً وإخلاصاً تاماً .

{ مما أخذ منكم } : من مال الفداء .

{ وإن يريدوا خيانتك } : أي الأسرى .

{ فقد خانوا الله من قبل } : أي من قبل وقوعهم في الأسر وذلك بفكفرهم في مكة .

{ فأمكن منهم } : أي أمكنكم أنتم أيها المؤمنون منهم فقتلتموهم وأسرتموهم .

{ والله عليم حكيم } : عليم بخلقه حكيم في صنعه وتدبيره .

معنى الآيتين :

هذه الآية الكريمة نزلت في العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه إذ كان يقول هذه الآية نزلت في وذلك أنه بعد أن وقع في الأسر أسلم وأظهر إسلامه وطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرد عليه من أخذ منه من فدية فأبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فأنزل الله تعالى قوله { يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً } أي اسلاماً حقيقياً { يؤتكم خيراً } أي مالاً خيراً { مما أخذ منكم ، ويغفر لكم } ذنوبكم التي كانت كفراً بالله ورسوله ، ثم حرباً على الله ورسوله ، { والله غفور } يغفر ذنوب عباده التائبين { رحيم } بعباده المؤمنين فلا يؤاخذهم بعد التوبة عليها بل يرحمهم برحمته في الدنيا والآخرة . وقوله تعالى { وإن يريدوا خيانتك } أي وإن يُرد هؤلاء الأسرى الذين أخذ منهم الفداء ونطقوا بالشهادتين مظهرين إسلامهم خيانتك والغدر بك بإظهار إسلامهم ثم إذا عادوا إلى ديارهم عادوا إلى كفرهم ، فلا تبال بهم ولا ترهب جانبهم فإنهم قد خانوا الله من قبل بكفرهم وشركهم { فأمكن منهم } المؤمنين وجعلهم في قبضتهم وتحت إِمْرَتِهم ، ولو عادوا لعاد الله تعالى فسلطكم عليهم وأمكنكم منهم وقوله تعالى { والله عليم حكيم } أي عليم بنيات القوم وتحركاتهم حكيم فيما يحكم به عليهم ألا فليتقوه عز وجل وليحسنوا إسلامهم ويصدقوا في إيمانهم فذلك خير لهم .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- فضل العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنزول الآية في حقه وشأنه .

2- فضل إضمار الخير والنيات الصالحة .

3- إطلاق لفظ الخير على الإسلام والقرآن وحقاً هما الخير والخير كله .

4- ما ترك عبدٌ شيئاً لله إلا عوضه خيراً منه .

5- الله جل جلاله : لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب ألا فليتق وليتوكل عليه .

(56/2)

إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (74) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (75)

شرح الكلمات :

{ آمنوا } : صدقوا الله ورسوله وآمنوا بلقاء الله وصدقوا بوعده ووعيده .

{ وهاجروا } : أي تركوا ديارهم والتحقوا برسول الله صلى الله علهي وسلم بالمدينة المنورة .

{ في سبيل الله } : أي من أجل ان يعبد الله ولا يعبد معه غيره وهو الإسلام .

{ آووا } : أي آووا المهاجرين فضموهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم .

{ وإن استنصروكم } : أي طلبوا منكم نصرتهم على أعدائهم .

{ ميثاق } : عهد أي معاهدة سلم وعدم اعتداء .

{ إلاّ تفعلوه } : أي إن لم توالوا المسلمين ، وتقاطعوا الكافرين تكن فتنة .

{ أولوا الأرحام } : أي الأقارب من ذوي النسب .

{ بعضهم أولى ببعض } : في التوارث أي يرث بعضهم بعضاً .

معنى الآيات :

بمناسبة انتهاء الحديث عن أحداث غزوة بدر الكبرى ذكر تعالى حال المؤمنين في تلك الفترة من الزمن وأنهم مختلفون في الكمال ، فقال وقول الحق { إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم } فهذا صنف : جمع أهله بين الإيمان والهجرة والجهاد بالمال والنفس ، والصنف الثاني في قوله تعالى { والذين آووا ونصروا } أي آووا الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرين في ديارهم ونصروهم . فهذان صنفا المهاجرين والأنصار وهما أكمل المؤمنين وأعلاهم درجة ، وسيذكرون في آخر السياق مرة أخرى ليذكر لهم جزاؤهم عند ربهم ، وقوله تعالى فيهم { أولئك بعضهم أولياء بعض } أي في النصرة والموالاة والتوارث إلا أن التوارث نسخ بقوله تعالى في آخر آية من هذا السياق { وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض } والصنف الثالث من أصناف المؤمنين المذكور في قوله تعالى { والذين آمنوا ولم يهاجروا } أي آمنوا بالله ورسوله والدار الآخرة ثم رضوا بالبقاء بين ظهراني الكافرين فلم يهجروا ديارهم وأموالهم ويلتحقوا بدار الهجرة بالمدينة النبوية ، فهؤلاء الناقصون في إيمانهم بتركهم الهجرة ، يقول تعالى فيهم لرسوله والمؤمنين { مالكم من ولايتهم من شيء } فلا توارث ولا موالاة تقتضي النصرة والمحبة حتى يهاجروا إليكم ويلتحقوا بكم ، ويستثني تعالى حالة خاصة لهم وهي أنهم إذا طلبوا نصرة المؤمنين في دنيهم فإن على المؤمنين أن ينصروهم وبشرط أن لا يكون الذي اعتدى عليهم وآذاهم

فطلبوا النصرة لأجله أن لا يكون بينه وبين المؤمنين معاهدة سلم وترك الحرب ففي هذه الحال على المؤمنين أن يوفوا بعهدهم ولا يغدروا فينصروا أولئك القاعدين عن الهجرة هذا ما دل عليه قوله تعالى { وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير } ذيل الكلام بهذه الجملة لإعلام المؤمنين الكاملين كالناقصين بأن الله مطلع على سلوكهم خبير بأعمالهم وأحوالهم فليراقبوه في ذلك حتى لا يخرجوا عن طاعته وقوله تعالى في الآية (73) { والذين كفروا بعضهم أولياء بعض } يتناصرون ويتوارثون . وبناء على هذا يقول تعالى { إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير } أي إن لا تفعلوا ما أمرتم به من مولاة المؤمنين محبة ونصرة وولاء ، ومن معاداة الكافرين بغضا وخذلاناً لهم وحرباً عليهم تكن فتنة عظيمة لا يقادر قدرها وفساد كبير وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً } هذا هو الصنف الأول أعيد ذكره ليذكر له جزاؤه عند ربه بعد تقرير إيمانهم وتأكيده فقال تعالى فيهم { أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة } أي لذنوبهم بسترها وعدم المؤاخذة عليها { ورزق كريم } ألا وهو نعيم الجنة في جوار ربهم سبحانه وتعالى والصنف الرابع من أصناف المؤمنين ذكره تعالى بقوله { والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم } فهذا الصنف أكمل من الصنف الثالث ودون الأولى والثاني ، إذ الأولى والثاني فازوا بالسبق ، وهؤلاء جاءوا من بعدهم ولكن لإيمانهم وهجرتهم وجهادهم ألحقهم الله تعالى بالسابقين فقال { فأولئك منكم } وقوله تعالى { وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض } أي في الارث وبها نسخ التوارث بالهجرة والمعاقدة ، واستقر الإرث بالمصاهرة والولاء ، والنسب إلى يوم القيامة ، وقوله تعالى { في كتاب الله } أي في حكمه وقضائه المدون في اللوح المحفوظ ، وقوله { إن الله بكل شيء عليم } هذه الجملة تحملة الوعد والوعيد الوعد لأهل الإيمان والطاعة ، والوعيد لأهل الشرك والمعاصي .

(57/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1– بيان تفاوت المؤمنين في كمالاتهم وعلو درجاتهم عند ربهم .

2– أكمل المؤمنين الذين جمعوا بين الإيمان والهجرة والجهاد وسبقوا لذلك وهم المهاجرون الأولون والذين جمعوا بين الإيمان والإيواء والنصرة والجهاد وهم الأنصار .

3– دون ذلك من آمنوا وهاجروا وجاهدوا ولكن بعد صلح الحديبية .

4– وأدنى أصناف المؤمنين من آمنوا ولم يهاجروا وهؤلاء على خطر عظيم .

5– وجوب نصرة المؤمنين بموالاتهم ومحبتهم ووجوب معاداة الكافرين وخذلانهم وبغضهم .

6– نسخ التوارث بغير المصاهرة والنسب والولاء .

(58/2)

– سورة التوبة –

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2) وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (3) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (4)

شرح الكلمات :

{ براءة } : أي هذه براءة بمعنى تبرؤ وتباعد وتخلص .

{ عاهدتم } : أي جعلتم بينكم وبينهم عهداً وميثاقاً .

{ فسيحوا في الأرض } : أي سيروا في الأرض طالبين لكم الخلاص .

{ مخزي الكافرين } : مذل الكافرين ومهينهم .

{ وأذان من الله } : إعلام منه تعالى .

{ يوم الحج الأكبر } : أي يوم عيد النحر .

{ لم ينقصوكم شيئاً } : أي من شروط المعاهدة وبنود الاتفاقية .

{ ولم يظاهرون عليكم أحداً } : أي لم يعينوا عليكم أحداً .

معنى الآيات :

هذه السورة القرآنية الوحيدة التي خلت من البسملة لأنها مفتتحة بآيات عذاب فتنافى معها ذكر الرحمة ، وهذه السورة من آخر ما نزل من سورة القرآن الكريم وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة في حج سنة تسع يقرأون هذه الآيات في الموسم ، وهي تعلم المشركين أن من كان له عهد مطلق بلا شهر أو سنة مثلاً أو كان له عهد دون أربعة أشهر ، أو كان له عهد فوق أربعة أشهر ونقضه تُعْلِمُهُم بأن عليهم أن يسيحوا في الأرض بأمان كامل مدة أربعة أشهر فإن أسلموا فهو خير لهم وإن خرجوا من الجزيرة فإن لهم ذلك وإن بقوا كافرين فسوف يؤخذون ويقتلون حيثما وجدوا في ديار الجزيرة التي أصبحت دار إسلام بفتح مكة ودخول أهل الطائف في الإسلام هذا معنى قوله تعالى { براءة من الله ورسوله } أي واصلة { إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر } تبدأ من يوم الإعلان عن ذلك وهو يوم العيد الأضحى . وقوله تعالى { وأذان من الله ورسوله } أي محمد صلى الله عليه وسلم . والأذان الإعلان والإعلام ، { إلى الناس } وهم المشركون { يوم الحج الأكبر } أي يوم عيد الأضحى حيث تفرّغ الحجاج للاقامة بمنى للراحة والاستجمام قبل العودة إلى ديارهم ، وصورة الإعلان عن تلك البراءة هي قوله تعالى { أنّ الله بريء من المشركين ورسوله } أي كذلك بريء من المشركين وعليه { فإن تبتم } أيها المشركون الى طاعة الله بتوحيده والإيمان برسوله وطاعته وطاعة رسوله { فهوة خير لكم } من الإصرار على الشرك والكفر والعصيان ، { وإن توليتم } أي أعرضتم عن الإيمان والطاعة { فاعلموا أنكم غير معجزي الله } بحال من الأحوال فلن تفوتوه ولن تهربوا من سلطانه فإن الله تعالى لا يغلبه غالب ، ولا يفوته هارب ثم قال تعالى لرسوله { وبر الذين كفروا بعذاب أليم } أي أخبرهم به فإنه واقع بهم لا محالة إلا أن يتوبوا وقوله تعالى في الآية الرابعة (4) { إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم

لم ينقصوكم } من شروط المعاهدة { شيئاً ولم يظاهروا } أي لم يعاونوا { عليكم أحداً } لا برجال ولا بسلاح ولا حتى بمشورة ورأي فهؤلاء لم يبرأ الله تعالى منهم ولا رسوله ، وعليه { فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم } أي مدة أجلهم المحدد بزمن معين فوفوا لهم ولا تنقضوا لهم عهداً إلى أن ينقضوه هم بأنفسهم ، أو تنتهي مدتهم وحينئذ إما الإسلام وإما السيف إل لم يبق مجال لبقاء الشرك في دار الإسلام وقبته .

(59/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- جواز عقد المعاهدات بين المسلمين والكافرين إذا كان ذلك لدفع ضرر محقق عن المسلمين ، أو جلب نفع للإسلام والمسلمين محققاً كذلك .

2- تحريم الغدر والخيانة ، ولذا كان إلغاء المعاهدت علنياً وإمداد أصحابها بمدة ثلث سنة يفكرون في أمرهم ويطلبون الأصلح لهم .

3- وجوب الوفاء بالمعاهدات ذات الآجال إلى أجلها إلا أن ينقضها المعاهدون .

4- فضل التقوى وأهلها وهو اتقاء سخط الله بفعل المحبوب له تعالى وترك المكروه .

(60/2)

فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (6) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (7) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (8)

شرح الكلمات :

{ فإذا انسلخ الأشهر الحرم } : انقضت وخرجت الأشهر الأربعة التي أمنتم فيها المشركين .

{ حيث وجدتموهم } : أي في أي مكان لقيتموهم في الحل أو الحرم .

{ وخذوهم } : أي أسرى .

{ وأحصروهم } : أي حاصروهم حتى يسلموا أنفسهم .

{ واقعدوا لهم كل مرصد } : أي اقعدوا لهم في طرقاتهم وارصدوا تحركاتهم .

{ فإن تابوا } : أي آمنوا بالله ورسوله .

{ فخذوا سبيلهم } : أي اتركوهم فلا حصار ولا مطاردة ولا قتال .

{ استجارك } : أي طلب جوارك أي حمايتك .

{ مأمنه } : أي المكان الذي يأمن فيه .

{ فما استقاموا لكم } : أي لم ينقضوا عهدهم ولم يخلوا بالاتفاقية .

{ وإن يظهروا عليكم } : أي يغلبوكم .

{ لا يرقبوا فيكم } : أي لا يراعوا فيكم ولا يحترموا .

{ إلاًّ ولا ذمة } : أي لا قرابة ، ولا عهداً فالإلّ : القرابة والذمة : العهد .

معنى الآيات :

ما زال السياق في إعلان الحرب العامة على المشركين تطهيراً لأرض الجزيرة التي هي دار الإسلام وحوزته من بقايا الشرك والمشركين ، فقال تعالى لرسوله والمؤمنين { فإذا انسلخ الأشهر الحرم } أي إذا انقضت وخرجت الأشهر الحرم التي أمنتم فيها المشركين الذين لا عهد لهم أولهم ولكن دون أربعة أشهر الحرم التي أمنتم فيها المشركين المشركين حيث وجدتموهم } في الحل والحرم سواء { وخذوهم } أسرى { واحصروهم } حتى يستسلموا ، { واقعدوا لهم كل مرصد } أي سدوا عليهم الطرق حتى يقدموا أنفسهم مسلمين أو مستسلمين وقوله تعالى { فإن تابوا } أي من الشرك وحربكم { وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم } إذ أصبحوا مسلمين مثلكم . وقوله { إن الله غفور رحيم } أي أن الله سيغفر لهم ويرحمهم بعد إسلامهم ، لأنه تعالى غفور رحيم ، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (5) أما الآية الثانية (6) فقد أمر تعالى رسوله أن يجير من طلب جواره من المشركين حتى يسمع كلام الله منه صلى الله عليه وسلم ويتفهم دعوة الإسلام ثم هو بالخيار إن شاء أسلم وذلك خير له وإن لم يسلم رده رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكان يأمن فيه من المسلمين أن يقتلوه .

وهو معنى قوله تعالى { وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون } فلذا قبل منهم ما طلبوه من الجوار حتى يسمعوا كلام الله تعالى إذ لو علموا ما رغبوا عن التوحيد إلى الشرك . وقوله تعالى في الآية الثالثة (7) { كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله } هذا الاستفهام للنفي مع التعجب أي ليس لهم عهد أبداً وهم كافرون غادرون ، وقوله تعالى { إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين } هؤلاء بعض بني بكر بن كنانة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام صلح الحديبية وهم استقام لهم المسلمون ولم يقتلوهم وفاء بعهدهم وتقوى لله تعالى لأنه يكره الغدر ويحب المتقين لذلك .

(61/2)

وقوله تعالى { كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاًّ ولا ذمة } الاستفهام للتعجب أي كيف يكون للمشركين عهد يفون به لكم وهم إن يظهروا عليكم يغلبوكم في معركة ، { لا يرقبوا فيكم } أي لا يراعوا الله تعالى ولا القرابة ولا الذمة بل يقتلوكم قتلاً ذريعاً ، وقوله تعالى { يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم } إخبار من الله تعالى عن أولئك المشركين

الناكثين للعهد الغادرين بأنهم يحاولون إرضاء المؤمنين بالكذب بأفواههم ، وقلوبهم الكافرة تأبى ذلك الذي يقولون بألسنتهم أي فلا تعتقده ولا تقره ، { وأكثرهم فاسقون } لا يعرفون الطاعة ولا الالتزام لا بعهد ولا دين ، والجملة فيها تهييج للمسلمين على قتال المشركين ومحاصرتهم وأخذهم تطهيراً لأرض الجزيرة منهم قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- وجوب الوفاء بالعهود ما لم ينقضها المعاهدون .

2- تقرير مبدأ الحزم في القتال والضرب بشدة .

3- وجوب تطهير الجزيرة من كل شرك وكفر لأنها دار الإسلام .

4- إقام الصلاة شرط في صحة الإيمان فمن تركها فهو كافر غير مؤمن .

5- احترام الجوار ، والإقرار به ، وتأمين السفراء والممثلين لدولة كافرة .

6- قبول طلب كل من طلب من الكافرين الإذن له بدخول بلاد الإسلام ليتعلم الدين الإسلامي .

7- القرآن كلام الله تعالى حقاً بحروفه ومعانيه لقوله { حتى يسمع كلام الله } الذي يتلوه عليه صلى الله عليه وسلم .

8- وجوب مراقبة الله تعالى ومراعاة القرابة واحترام العهود .

(62/2)

اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (9) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (10) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (11) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (12)

شرح الكلمات :

{ اشتروا بآيات الله } : أي باعوا آيات الله وأخذوا بدلها الكفر .

{ فصدوا عن سبيله } : أي أعرضوا عن سبيل الله التي هي الإسلام كما صدوا غيرهم أيضاً .

{ ساء } : أي قبح .

{ لا يرقبون } : أي لا يراعون .

{ إلاًّ } : الإل : الله ، والقرابة والعهد وكلها صالحة هنا .

{ فإن تابوا } : أي من الشرك والمحاربة .

{ نكثوا } : أي نقضوا وغدروا .

{ وطعنوا في دينكم } : أي انتقدوا الإسلام في عقائده أو عباداته ومعاملاته .

{ أئمة الكفر } : أي رؤساء الكفر المتبعين والمقلدين في الشرك والشر والفساد .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن المشركين ، وبيان ما يلزم اتخاذه حيالهم فأخبر تعالى عنهم بقوله في الآية (9) { اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً } أي باعوا الإيمان بالكفر فصدوا أنفسهم كما صدوا غيرهم من أتباعهم عن الإسلام الذي هو منهج حياتهم وطريق سعادتهم وكمالهم . فلذا قال تعالى مُقبحاً سلوكهم { إنهم ساء ما كانوا يعملون } كما أخبر تعالى عنهم بأنهم لا يراعون في أي مؤمن يتمكنون منه الله عز وجل ولا قرابة بينه وبينهم ، ولا معاهدة تربطهم مع قومه ، فقال تعالى { لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة ، وأولئك هم المعتدون } ووصفه تعالى إياهم بالاعتداء دال على أنهم لا يحترمون عهوداً ولا يتقون الله تعالى في شيء ، وذلك لظلمة نفوسهم من جراء الكفر والعصيان ، فلذا على المسلمين قتلهم حيث وجدوهم وأخذهم أسرى وحصارهم وسد الطرق عنهم حتى يلقوا السلاح ويسلموا لله ، أو يستسلموا للمؤمنين اللهم إلا أن يتوبوا بالإيمان والدخول في الإسلام كما قال تعالى { فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فإخوانكم في الدين } وقوله تعالى { ونفصل الآيات لقوم يعلمون } أي نبين الآيات القرآنية المشتملة على الحجج والبراهين على توحيد الله تعالى وتقرير نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى الأحكام الشرعية في الحرب والسلم كما في هذا السياق وقوله { لقوم يعلمون } لأن الذين لا يعلمون من أهل الجهالات لا ينتفعون بها لظلمة نفوسهم وفساد عقولهم بضلال الشرك والأهواء وقوله تعالى في الآية الرابعة (12) { وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم } يريد تعالى أولئك المعاهدين من المشركين إذ هم نكثوا أيمانهم التي أكدوا بها عهودهم فحلوا ما أبرموا ونقضوا ما أحكموا من عهد وميثاق وعابوا الإسلام وطعنوا فيه فهم إذاً أئمة الكفر ورؤساء الكافرين فقاتلوهم بلا هوادة ، ولا تراعوا لهم أيماناً حلفوها لكم فإنهم لا إيمان لهم . قاتلوهم رجاء أن ينتهوا من الكفر والخيانة والغدر فيوحدوا ويسلموا ويصبحوا مثلكم أولياء الله لا أعداءه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- ذم سلوك الكافرين وتصرفاتهم في الحياة وحسبهم أن باعوا الحق بالباطل ، واشتروا الضلالة بالهدى .

2- من كان الاعتداء وصفاً لا لا يُؤمن على شيء ، ولا يوثق فيه في شيء ، لفساد ملكته النفسية .

3- أخوة الإسلام تثبت بثلاثة أمور التوحيد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

4- الطعن في الدين ردة وكفر موجب للقتل والقتال .

أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (13) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (14) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (15) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (16)

شرح الكلمات :

{ ألا } : أداة تحضيض .

{ نكثوا أيمانهم } : نقضوها وحلوها فلم يلتزموا بها .

{ هموا بإخراج الرسول } : من دار الندوة إذ عزموا على واحد من ثلاث الحبس أو النفي أو القتل .

{ أول مرة } : أي في بدر أو في ماء الهجير حيث أعانت قريش بني بكر على خزاعة .

{ ويخزهم } : أي يذلهم ويهينهم .

{ ويشف صدور } : أي يذهب الغيظ الذي كان بها على المشركين الظالمين .

{ ان تتركوا } : أي بدون امتحان ، بالتكاليف كالجهاد .

{ وليجة } : أي دخيله وهي الرجل يدخل في القوم وهو ليس منهم ويطلعونه على أسرارهم وبواطن أمورهم .

معنى الآيات : ما زال السياق في الحديث عن المشركين وما يلزم إزاءهم من إجراءات فإنه بعد أن أعطاهم المدة المذكورة وأمنهم فيها وهي أربعة أشهر ، وقد انسلخت فلم يبق إلا قتالهم وأخذهم وإنهاء عصبة المشركين وآثارها في ديار الله فقال تعالى حاضاً المؤمنين مهيجاً لهم { ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم } وهذه خطيئة كافية في وجوب قتالهم ، وثانية همهم بإخراج الرسول من بين أظهرهم من مكة وثالثة بدؤهم إياكم بالقتال في بدر ، إذ عيرهم نحت وأبوا إلا أن يقاتلوكم ، إذاً فلم لا تقاتلونهم؟ أتتركون قتالهم خشية منهم وخوفاً إن كان هذا { فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين } ، لأن ما لدى الله تعالى من العذاب ليس لدى المشركين فالله أحق أن يخشى ، هذا ما تضمنته الآية الأولى (13) وهي قوله تعالى { ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين } وفي الآية الثانية (14) يقول تعالى : { قاتلوهم } وهو أمر صريح بالقتال ، وبذكر الجزاء المترتب على قتالهم فيقول { يعذّبهم الله بأيدكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين } وهم خزاعة تشفى صدورهم من الغيظ على بني بكر الذين قاتلوهم وأعانتهم قريش عليهم بعد صلح الحديبية ، وقوله تعالى : { ويتوب الله على من يشاء } هذه وإن لم تكن جزاء للأمر بالقتال كالأربعة التي قبلها . ولكن سنة الله تعالى أن الناس إذا رأوا انتصار أعدائهم عليهم في كل معركة يميلون إليهم ويقبلون دينهم وما هم عليه من صفات فقتال المؤمنين للكافرين وانتصارهم عليهم يتيح الفرصة لكثير من الكافرين فيسلمون وهو معنى قوله تعالى { ويتوب الله على من يشاء } وقوله { والله عليم حكيم } تقرير للأمر بالقتال والنتائج الطيبة المترتبة عليه آخرها أن يتوب الله على من يشاء . وقوله تعالى في الآية (16) الأخيرة { أم حسبتم أن تتركوا } أي بدون امتحان . وأنتم خليط منكم المؤمن الصادق ومنكم المنافق الكاذب ، من جملة ما كان يوحى به المنافقون التثبيط عن القتال بحجة ان مكة فتحت وأن الإسلام عز فما هناك حاجة الى مطاردة فلول المشركين ، وهم يعلمون أن تكتلات يقودها الساخطون على الإسلام حتى من رجالات قريش يريدون الانقضاض على المسلمين وإهدار كل نصر تحقق لهم ، وهذا المعنى ظاهر من سياق الآية { أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة } إذ هناك من اتخذوا من دون الله ورسوله والمؤمنين وليجة يلطعونها على أمور المسلمين ، ويسترون عليهم وهي بينهم دخلية ، ويقرر هذه الجملة التي ختمت بها الآية وهي قوله تعالى { والله خبير بما تعملون } .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- مشروعية استعمال أسلوب التهييج الإثارة للجهاد .

2- وجوب خشية الله تعالى بطاعته وترك معصيته .

3- لازم الإيمان الشجاعة فمن ضعفت شجاعته ضعف إيمانه .

4- من ثمرات القتال دخول الناس في دين الله تعالى .

5- الجهاد عملية تصفية وتطهير لصفوف المؤمنين وقلوبهم أيضاً .

(65/2)

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (17) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (18)

شرح الكلمات

{ ما كان للمشركين } : أي ليس من شأنهم أو مما يتأتى لهم .

{ حبطت أعمالهم } : أي بطلت فلا يثابون عليها ولا ينجحون فيها .

{ يعمروا مساجد الله } : أي بالعبادة فيها ، وصيانتها وتطهيرها .

{ ولم يخش إلا الله } : أي لم يخف أحداً غير الله تعالى .

{ فعسى } : عسى من الله تعالى كما هي هنا تفيد التحقيق أي هدايتهم محققة .

{ المهتدين } : أي إلى سبيل النجاة من الخسران والظفر بالجنان .

معنى الآيتين :

لا شك أن هناك من المشركين من ادعى أنه يعمر المسجد الحرام بالسدانة والحجابة والسقاية وسواء كان المدعى هذا العباس يوم بدر أو كان غيره فإن الله تعالى أبطل هذا الادعاء وقال { ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله } أي لا ينبغي له ذلك ولا يصح منهم ، وكيف وهم كفار شاهدون على أنفسهم بالكفر ، وهل الكافر بالله يعمر بيته وبماذا يعمره؟ وإذا سألت اليهودي ما أنت؟ يقول يهودي ، وإذا سألت النصراني ، ما أنت؟ يقول نصراني ، وإذا سألت الوثني ما أنت؟ يقول مشرك فهذه شهادتهم على أنفسهم بالكفر ، وقوله تعالى { أولئك } أي البعداء في الكفر والضلال { حبطت أعمالهم } أي بطلت وضاعت لفقدها الإخلاص فيها لله تعالى { وفي النار هم خالدون } لا يخرجون منها متى دخولها أبداً ، إذ ليس لهم من العمل ما يشفع لهم بالخروج منها . ثم قرر تعالى الحقيقة وهى أن الذين يعمرون مساجد الله حقاً وصدقاً هم المؤمنون الموحدون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويخشون الله تعالى ولا يخشون سواه هؤلاء

هم الجديرون بعمارة المساجد بالصلاة والذكر والتعلم للعلم الشرعي فيها زيارة على بنائها وتطهيرها وصيانتها هؤلاء جديرون بالهداية لكل كما وخير يشهد لهذا قوله تعالى { فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين } إلى ما هو الحق والصواب ، وإلى سبيل النجاة من النار والفوز بالجنة .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- حرمة دخول الكافر المساجد إلا لحاجة وبإذن من المسلمين .

2- فضيلة عمارة المساجد بالعبادة فيها وتطهيرها وصيانتها .

3- فضيلة المسلم وشرفه ، إذ كل من يسأل عن دينه يجيب بجواب هو الكفر إلا المسلم فإنه يقول : مسلم أي لله تعالى فهو إذاً المؤمن وغيره الكافر .

4- وجوب الإيمان بالله واليوم الآخر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والخشية من الله تعالى .

5- أهل الأمن والنجاة من النار هم أصحاب الصفات الأربع المذكورة في الآية .

(66/2)

أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (20) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (21) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (22)

شرح الكلمات :

{ سقاية الحاج } : مكان يوضع فيه الماء في المسجد الحرا ويسقى منه الحجاج مجاناً .

{ وعمارة المسجد الحرام } : هنا عباة عن بنائه وصيانته وسدانة البيت فيه .

{ لا يستوون عند الله } : إذ عمارة المسجد الحرام مع الشرك والكفر لا تساوى شيئاً .

{ والله لا يهدي القوم الظالمين } : أي المشركين لا يهديهم لما فيه كمالهم وسعادتهم .

{ ورضوان } : أي رضا الله عز وجل عنهم .

{ نعيم مقيم } : أي دائم لا يزول ولا ينقطع .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الرد على من رأى تفضيل عمارة المسجد الحرام بالسقاية والحجابة والسدانة على الإيمان والهجرة والجهاد فقال موبخاً لهم { أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون } في حكم الله وقضائه بحال من الأحوال ، والمشركون ظالمون كيف يكون لعمارتهم للمسجد الحرام وزن أو قيمة تذكر { والله لا يهدي القوم الظالمين } بعد هذا التوبيخ والبيان للحال أخبر تعالى أن { الذين آمنوا

وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم } هم { أعظم درجة } ممن آمنوا ولم يستكملوا هذه الصفات الأربع ، وأخبر تعالى أنهم هم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة ، وأعظم من هذا ما جاء في قوله { يبشرهم ربهم برحمة منه } وهي الجنة { ورضوان } منه تعالى وهو أكبر نعيم { وجنات } أي بساتين في الملكوت الأعلى { لهم فيها نعيم مقيم } لا يحول ولا يزول وأنهم خالدون فيها لا يخرجون منها أبداً ، { وإن الله عنده أجر عظيم } لا يقادر قدره جعلنا الله تعالى منهم وحشرنا في زمرتهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- أكمل المؤمنين وأعلاهم درجة ، وأقربهم من الله منزلة من جمع الصفات الثلاث المذكورة في الآية (20) وهي الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس .

2- فضل الهجرة والجهاد .

3- تفاوت أهل الجنة في علو درجاتهم .

4- حرمان الظالمين المتوغّلين في الظلم من هداية الله تعالى .

(67/2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (23) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)

شرح الكلمات :

{ أولياء } : جمع وليّ وهو من تتولاه بالمحبة والنصرة ويتولاك بمثل ذلك .

{ استحبوا } : أي أحبوا الكفر على الإيمان .

{ الظالمون } : الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، ومن أحب من لا تجوز محبته فقد وضع شيئاً في غير موضعه فهو ظالم .

{ وعشيرتكم } : أي قرابتكم من النسب كالأعمام الأباعد وأبنائهم .

{ اقترفتموها } : أي اكتسبتموها .

{ كسادها } : بوارها وعدم رواجها .

{ فتربصوا } : أي انتظروا .

{ حتى يأتي الله بأمره } : أي بعقوبة هذه المعصية يوم فتح مكة .

معنى الآيتين :

هذا إنذار الله تعالى للمؤمنين ينهاهم فيه عن اتخاذ من كفر من آبائهم وإخوانهم أولياء لهم يوادونهم ويناصرونهم ويطلعونهم على أسرار المسلمين وبواطن أمورهم . فيقول تعالى : { يا أيها الذين آمنوا } أي بالله ورسوله ولقاء الله ووعده ووعيده { لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان } أي اثروا الكفر والإصرار عليه على الإيمان بالله ورسوله ثم يهددهم إن لم يمتثلوا أمره ويفاصلوا آباءهم وإخوانهم المستحبين للكفر على الإيمان فيقول { ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون } ووجه الظلم ظاهر وهو أنهم وضعوا المحبة موضع البغضاء ، والنصرة موضع الخذلان . والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه . ثم أمر تعالى رسوله أن يقول لهم ، وفي هذا العدول عن خطابهم مباشرة إلى الواسطة ما يشعر بالغضب وعدم الرضى ، والتهديد والوعيد { قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله } فتركتم الهجرة والجهاد لذلك { فتربصوا حتى يأتي الله بأمره } أي انتظروا أمر الله وهو فتح مكة عليكم وإنزال العقوبة بكم ، { والله لا يهدي القوم الفاسقين } أي لا يوفقهم لسبيل نجاتهم وسعاتهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- حرم اتخاذ الكافرين أولياء يُوادون ولو كانوا من أقرب الأقرباء كالأب والابن والأخ .

2- من الظلم الفظيع موالاة من عادى الله ورسوله والمؤمنين .

3- فرضية محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله ، ومحبة سائر محاب الله تعالى وكره سائر مكاره الله تعالى من العقائد والأحوال والأعمال الذوات والصفات .

4- حرمان أهل الفسق المتوغلين فيه من هداية الله تعالى إلى ما يكملهم ويسعدهم .

(68/2)

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (27) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (28)

شرح الكلمات :

{ في مواطن } : المواطن جمع موطن بمعنى الوطن وهو محل إقامة الإنسان .

{ حنين } : وادٍ على بعد أميال يسيرة من الطائف .

{ إذ أجبتكم كثرتكم } : أي كثرة عددكم حتى قال من قال : لن نغلب اليوم من قلة .

{ فلم تغن عنكم شيئاً } : أي لم تجز عنكم شيئاً من الإجزاء إذا انهزمتهم في أول اللقاء .

{ وضاقت عليكم الأرض } : أي لم تعرفوا أين تذهبون ، وكيف تتصرفون كأنكم محصورون في مكان ضيق .

{ بما رحبت } : أي على رحابتها وسعتها .

{ أنزل الله سكينته } : أي الطمأنينة في نفوسهم ، فذهب القلق الاضطراب .

{ وأنزل جنودا } : أي من الملائكة .

{ نجس } : أي ذوو نجس وذلك لخبث أرواحهم بالشرك .

{ بعد عامهم هذا } : عام تسعة من الهجرة .

{ عيلة } : أي فقراً وفاقة وحاجة .

معنى الآيات :

لم حرم الله على المؤمنين موالاة الكافرين ولو كانوا اقرباءهم وحذرهم من العقود عن الهجرة والجهاد ، وكان الغالب فيمن يقعد عن ذلك إنما كان لجبنه وخوفه أخبرهم تعالى في هذه الآيات الثلاث أنه ناصرهم ومؤيدهم فلا يقعد بهم الجبن والخوف عن أداء الواجب من الهجرة والجهاد فقال تعالى { لقد نصركم الله في مواطن كثيرة } كَبَدْر والنضير وقريظة والفتح وغيرها { ويوم حنين } حين قاتلوا قبيلة هوازن مذكراً إياهم بهزيمة أصابت المؤمنين نتيجة خطأ من بعضهم وهو الاغترار بكثرة العدد إذ قال من قال منهم : لن نغلب اليوم من الوادي حتى رماهم العدو بوابل من النبل والسهام فلم يعرفوا كيف يتصرفون حتى ضاقت عليهم الأرض على سعتها وولوا مدبرين هاربين ولم يثبت إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان على بغلته البيضاء المسماة (بالدُلْدُل) والعباس إلى جنبه وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمه ، ثم نادى منادي رسول الله : أن يا أصحاب سورة البقرة هلموا أصحاب السمرة (شجرة بيعة الرضوان) هلموا . فتراجعوا إلى المعركة ودارت رحاها و { أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً } تلامس القلوب وتنفخ فيها روح الشجاعة والصبر والثبات ، فصبروا وقاتلوا وما هى إلا ساعة وإذا بالعدو سبي بين أيديهم ولم يحصل لهم أن غنموا يوما مثل ما غنموا هذا اليوم إذ بلغ عدد الإبل اثني عشر ألف بعير ، ومن الغنم مالا يحصى ولا يعد . بهذا جاء قوله تعالى : { ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين } أي هاربين من العدو { ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزال جنوداً } أي من الملائكة { لم تروها } { وعذاب الذين كفروا } أي هوازن { وذلك } أي القتل والسبي { جزاء الكافرين } بالله ورسوله . وقوله تعالى { ثم يتوب الله على من يشاء } أي قتالكم للكافرين وقتلكم من تقتلون يتوب الله على من يشاء ممن بقوا أحياء بعد الحرب { والله غفور رحيم } فيغفر لمن يتوب عليه من المشركين ماضى ذنوبه من الشرك وسائر الذنوب ويرحمه بأن يدخله الجنة مع من يشاء من المؤمنين الصادقين في إيمانهم هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث .

(69/2)

أما الآية الرابعة { يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا } فإنه تعالى أمر المؤمنين بأن يمنعوا من دخول المسجد الحرام كل مشرك ومشركة لأن المشرك نجس الظاهر والباطن فلا يحل دخولهم إلى المسجد الحرام وهو مكة والحرم حولها ، ومن يومئذ لم يدخل مكة مشرك ، وقوله تعالى { وإن خفتم عيلة } أي

فقراً لأجل انقطاع المشركين عن الموسم حيث كانوا يجلبون التجارة يبيعون ويشترون فيحصل نفع للمسلمين { فسوف يغنيكم الله من فضله } فامنعوا المشركين ولا تخافوا الفقر وقوله تعالى { إن شاء إن الله عليم حكيم } استثناء منه تعالى حتى تبقى قلوب المؤمنين متعلقة به سبحانه وتعالى راجية خائفة غير مطمئنة غافلة ، وكونه تعالى عليماً حكيماً يرشح المعنى المذكور فإن ذا العلم والحكمة لا يضع شيئاً إلا في موضعه فلا بد لمن أراد رحمة الله أو فضل الله أن يجتهد أن يكون أهلاً لذلك ، بالإيمان والطاعة العامة والخاصة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- حرمة العجب بالنفس والعمل إذ هو أي العجب من العوائق الكبيرة عن النجاح .

2- بيان إفضال الله تعالى وإكرامه لعباده المؤمنين .

3- بيان الحكمة من القتال في سبيل الله تعالى .

4- تقرير نجاسة الكافر المعنوية .

5- منع دخول المشرك الحرم المكي كائناً من كان بخلاف باقي المساجد فقد يؤذن للكافر لمصلحة أن يدخل بإذن المسلمين .

6- لا يمنع المؤمن من امتثال أمر ربّه الخوف من الفاقة والفقر فإن الله تعالى تعهد بالإغناء إن شاء .

(70/2)

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29)

شرح الكلمات :

{ لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر } : أي إيماناً صحيحاً يرضاه الله تعالى لموافقة الحق والواقع .

{ ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله } : أي كالخمر والربا وسائر المحرمات .

{ ولا يدينون دين الحق } : أي الإسلام إذ هو الدين الذي لا يقبل ديناً سواه .

{ من الذين أوتوا الكتاب } : أي اليهود والنصارى .

{ الجزية } : أي الخراج المعلوم الذي يدفعه الذمي كل سنة .

{ عن يد وهم صاغرون } : أي يقدمونه بأيديهم لا ينيبون فيه غيرهم ، وهم صاغرون : أي أذلاء منقادون لحكم الإسلام هذا .

معنى الآية الكريمة :

لما أمر الله تعالى رسوله والمؤمنين بقتال المشركين حتى يتوبوا من الشرك ويوحدوا ويعبدوا الله تعالى بما شرع أمر رسوله في هذه الآية والمؤمنين بقتال أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى إلى أن يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ،

وجعل إعطاء الجزية غايةً لنهاية القتال ، لا الإسلام لأن الإسلام يعرض أولاً على أهل الكتاب فإن قبلوه فذاك وإن رفضوه يطلب الدخول في ذمة المسلمين وحمايتهم تحت شعار الجزية وهي رمز دال على قبولهم حماية المسلمين وحكمهم بشرع الله تعالى فإذا أعطوها حقنوا دماءهم وحفظوا أموالهم ، وأمنوا في حياتهم المادية والروحية ، هذا ما تضمنته الآية الكريمة : { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب يعطوا الجزية عن يد وه صاغرون } وإن قيل اليهود في إيمانهم بالله مشبهة مجسمة يصفون الله تعالى بصفات تعالى الله عنها علواً كبيراً ، والنصارى يعتقدون أن الله حلّ في المسيح ، وإن الله ثالث ثلاثة والله ليس كذلك فهم إذاً لا يؤمنون بالله تعالى كما هو الله الإله الحق ، فلذا إيمانهم باطل وليس بإيمان يضاف إلى ذلك أنهم لو آمنوا بالله لآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولو آمنوا باليوم الآخر لأطاعوا الله ورسوله لينجوا من عذاب اليوم الآخر وليسعدوا فيه بدخول الجنة فلما لم يؤمنوا ولم يعملوا كانوا حقاً كافرين غير مؤمنين ، وصدق الله العظيم حيث نفى عنهم الإيمان به وباليوم الآخر ، والله أعلم بخلقه من أنفسهم .

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

1- وجوب قتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يدخلوا في حكم الإسلام وذلك من أجل إعدادهم للإسلام ليكملوا عليه ويسعدوا به .

2- الإيمان غير الصحيح لا يعتبر إيماناً منجياً ولا مسعداً .

3- استباحة ما حرم الله من المطاعم والمشارب والمناكح كفر صريح .

4- مشروعية أخذ الجزية من أهل الكتاب وهي مقدّرة في كتب الفقه مبينة وهي بحسب غنى المرء وفقره وسعته وضيقه .

(71/2)

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33)

شرح الكلمات :

{ عُزير } : هو الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه ، واليهود يسمونه : عِزْرا .

{ المسيح } : هو عيسى بن مريم عليهما السلام .

{ يضاهئون } : أي يشابهون .

{ قول الذين كفروا } : أي من آبائهم وأجدادهم الماضين .

{ قاتلهم الله } : أي لعنهم الله لأجل كفرهم .

{ أنى يؤفكون } : أي كيف يصرفون عن الحق .

{ أحبارهم ورهبانهم } : الأحبار جمع حبر : علماء اليهود ، والرهبان جمع راهب عابد النصارى .

{ أرباباً من دون الله } : أي آلهة يشرعون لهم فيعملون بشرائعهم من حلال وحرام .

{ نور الله } : أي الإسلام لأنه هاد إلى الإسعاد والكمال في الدارين .

{ بأفواههم } : أي بالكذب عليه والطعن فيه وصرف الناس عنه .

{ رسوله } : محمداً صلى الله عليه وسلم .

{ معنى الآيات } :

لما أمر تعالى بقتال أهل الكتاب لكفرهم وعدم إيمانهم الإيمان الحق المنجي من النار ذكر في هذه الآية الثلاث ما هو مقرر لكفرهم ومؤكد له فقال { وقالت اليهود عزير ابن الله } ونسبة الولد إلى الله تعالى كفر بجلاله وكماله { وقالت النصارى المسيح ابن الله } ونسبه الولد إليه تعالى كفر به عز وجل وبماله من جلال وكمال وقوله تعالى : { ذلك قولهم بأفواهم } أي ليس له من الواقع شيء إذ ليس لله تعالى ولد ، وكيف يكون له ولد ولم تكن له زوجة ، وإنما ذلك قولهم بأفواههم فقط { يضاهئون به } أي يشابهون به { قول الذين كفروا من قبل } وهم اليهود الأولون وغيرهم وقوله تعالى { قاتلهم الله أنى يؤفكون } دعاء عليهم باللعن والطرد من رحمةالله تعالى وقوله { أنى يؤفكون } أي كيف يصرفون عن الحق ويبعدون عنه بهذه الصورة العجيبة وقوله { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله } هذا دليل آخر على كفرهم وشركهم إذ قبولهم قول علمائهم وعبادهم والإذعان له والتسليم به حتى أنه ليحلون لهم الحرام فيحلونه ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه ، شرك وكفر والعياذ بالله ، وقوله { والمسيح ابن مريم } أي اتخذه النصارى رباً وإلهاً ، وقوله تعالى { وما أمروا إلا ليبعدوا إلهاً واحداً } أي لم يأمرهم أنبياؤهم كموسى وعيسى وغيرهما إلا بعبادة الله تعالى وحده لا إله إلا هو ولا رب سواه وقوله { سبحانه عما يشركون } نزه تعالى نفسه عن شركهم . وقوله تعالى { يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم } أي يريد اليهود والنصارى أن يطفئوا نور الله الذي هو الإسلام بأفواههم بالكذب والافتراء ، والعيب وله المنة ، وأصبح الإسلام الظاهر على الأديان كلها ، هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث أما الآية الرابعة (33) فقد أخبر تعالى أنه { هو الذي أرسل رسوله } أي محمداً { بالهدى } وهو القرآن { ودين الحق } الذي هو الإسلام ، وقوله { ليظهره } أي الدين الحق الذي هوالإسلام { على الدين كله ولو كره المشركون } . وقد فعل فالإسلام ظاهر في الأرض كلها سمع به أهل الشرق والغرب ودان به أهل الشرق والغرب وسيأتي يوم يسود فيه المسلمون أهل الدنيا قاطبة بإذن الله تعالى .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير كفر اليهود والنصارى بذكر عقائدهم الكفرية .

2- طاعة العلماء ورجال الدين طاعة عمياء حتى يحلوا ويحرموا فيتبعوا شرك .

3- بيان عداء اليهود والنصارى للإسلام وتعاونهم على إفساده وإفساد أهله .

4- بشرى المسلمين بأنهم سيسودون العالم في يوم من الأيام ويصبح الإسلام هو الدين الذي يعبد الله به في لأرض لا غيره ، ويشهد لهذا آية { ويكون الدين كله الله } فلو لم يعلم الله أن ذلك كائن لم يجعله غاية وطالب بالوصول اليها .

(72/2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (35)

شرح الكلمات :

{ بالباطل } : أي بدون حق أباح لهم أكلها .

{ ويصدون عن سبيل الله } : أي يصرفون أنفسهم وغيرهم عن الإسلام الذي هو السبيل المفضي بالعبد إلى رضوان الله تعالى .

{ يكنزون } : يجمعون المال ويدفنونه حفاظاً عليه ولا يؤدون حقه .

{ الذهب والفضة } : هما النقدان المعروفان .

{ في سبيل الله } : أي حيث رضا الله كالجهاد وإطعام الفقراء والمساكين .

{ فبشرهم } : أي أخبرهم بعذاب أليم : أي موجع .

{ يحمى عليها } : لأنها تحول إلى صفائح ويحمى عليها ثم تكوى بها جباههم .

{ هذا ما كنزتم } : أي يقال لهم عند كيهم بها : هذا ما كنزتم لأنفسكم توبيخاً لهم وتقريعاً .

معنى الآيتين :

بمناسبة ذكر عداء اليهود والنصارى للإسلام والمسلمين ، وأنهم يريدون دوماً وأبداً إطفاء نور الله بأفواههم ، ذكر تعالى ما هو إشارة واضحة إلى أنهم ما ديون لا همّ لهم إلا المال والرئاسة فأخبر المسلمين فقال { يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار } وهم علماء اليهود { والرهبان } وهم رجال الكنائس من النصارى { ليأكلون أموال الناس بالباطل } كالرشوة ، وكتابة صكوك الغفران يبيعونها للسفلة منهم ، إلى غير ذلك من الحيل باسم الدين ، وقوله تعالى عنهم { ويصدون عن سبيل الله } دليل واضح على أنهم يحاربون الإسلام باستمرار للإبقاء على مناصبهم الدينية يعيشون عليها يترأسون بها على السفلة والعوام من اليهود والنصارى ، وقوله تعالى { والذين يكنزون الذهب والفضة } لفظ عام يشمل الأحبار والرهبان وغيرهم من سائر الناس من المسلمين ومن أهل الكتاب إلا أن الرهبان والأحبار يتناولهم اللفظ أولاً ، لأن من يأكل أموال الناس بالباطل ويصد عن سبيل الله أقرب إلى أن يكنز الذهب والفضة ولا ينفقها في سبيل الله ، وقوله تعالى لرسوله { فبشرهم بعذاب أليم } أي أخبرهم معجلاً لهم الخبر في صورة بشارة ، وبين نوع العذاب الأليم بقوله { يوم يحمى عليها } أي صفائح الذهب والفضة بعد تحويلها إلى صفائح { في نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهوروهم } أي من كل الجبهات الأربع من أمام ومن خلف وعن يمين وعن شمال ويقال لهم تهكماً بهم

وازدراء لهم وهم نوع عذاب أشد على النفس من عذاب الجسم { هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون } .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- بيان حقيقة علماء اليهود والنصارى ، وهي أنهم ماديون باعوا آخرتهم بدنياهم يحاربون الإسلام ويصدون عنه للمحافظة على الرئاسة وللأكل على حساب الإسلام .

2- حرمة أكل أموال الناس بالباطل .

3- حرمة جمع المال وكنزه وعدم الإنفاق منه .

4- المال الذي تؤدى زكاته كل حول لا يقال له كنز ولو دفن تحت الأرض .

5- بيان عقوبة من يكنز المال ولا ينفق منه في سبيل الله وهي عقوبة شديدة .

(73/2)

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36) إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (37)

شرح الكلمات :

{ عدة } : أي عدد .

{ الشهور } : جمع شهر والشهر تسعة وعشرون يوماً ، أو ثلاثون يوماً .

{ في كتاب الله } : اي كتاب المقادير : اللوح المحفوظ .

{ أربعة حرم } : هي رجب ، والقعدة ، والحجة ، ومحرم ، الواحد منها حرام والجمع حرم .

{ الدين القيم } : أي الشرع المستقيم الذي لا اعوجاج فيه .

{ فلا تظلموا فيهن أنفسكم } : أي لا ترتكبوا في الأشهر المعاصي فإنها أشد حرمة .

{ كافة } : أي جميعاً وفي كل الشهور حلالها وحرامها .

{ مع المتقين } : أي بالتأييد والنّصر ، والمتقون هم الذين لا يعصون الله تعالى .

{ إنما النسيء } : تأخير حرمة شهر المحرم إلى صفر .

{ يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً } : أي النسيء عاماً يحلونه عاماً ويحرمونه .

{ ليواطئوا عدة ما حرم الله } : أي ليوافقوا عدد الشهور المحرمة وهي أربعة .

{ زين لهم سوء عملهم } : أي زين لهم الشيطان هذا التأخير للشهر الحرام وهو عمل سيء لأنه إفتيات على الشارع واحتيال على تحليل الحرام .

معنى الآيتين

عاد السياق للحديث على المشركين بعد ذلك الاعتراض الذي كان للحديث عن أهل الكتاب فقال تعالى { إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً } لا تزيد ولا تنقص ، وأنها هكذا في اللوح المحفوظ { يوم خلق السموات والأرض } . وأن منها أربعة أشهر حرم أي محرمات وهي رجب ، والعقدة والحجة ومحرم ، وحرمها الله تعالى أي حرم القتال فيها لتكون هدنة يتمكن العرب معها من السفر للتجارة وللحج والعمرة ولا يخافون أحداً ، ولما جاء الإسلام وأعز الله أهله ، نسخ حرمة القتال فيها . وقوله تعالى { ذلك الدين القيّم } أي تحريم هذه الأشهر واحترامها بعدم القتال فيها هو الشرع المستقيم وقوله تعالى { فلا تظلموا فيهن أنفسكم } أي لا ترتكبوا الذنوب والمعاصي في الأشهر الحرم فإن ذلك يوجب غضب الله تعالى وسخطه عليكم فلا تعرضوا أنفسكم له ، وقوله تعالى { وقاتلوا المشركين } هذا خطاب للمؤمنين يأمرهم تعالى بقتال المشركين بعد انتهاء المدة التي جعلت لهم وهي أربعة أشهر وقوله { كافة } أي جميعاً لا يتأخر منكم أحد كما هم يقاتلونكم مجتمعين على قتالكم فاجتمعوا أنتم على قتالهم ، وقوله { واعلموا أن الله مع المتقين } وهم الذين اتقوا الشرك والمعاصي ومعناه أن الله معكم بنصره وتأييده على المشركين العصاة وقوله عز وجل { إنما النسيء زيادة في الكفر } أي إنما تأخير حرمة محرم إلى صفر كما يفعل أهل الجاهلية ليستبيحوا القتال في الشهر الحرام بهذه الفُتيا الشيطانية هذا التأخير زيادة في كفر الكافرين ، لأنه محاربة لشرع الله وهي كفر قطعاً لقوله تعالى { يضل به الذين كفروا } أي بالنسيء يزدادون ضلالاً فوق ضلالهم . وقوله { يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً } يعني النسيء وهو الشهر الذي أخروه أي أخروا حرمته إلى الشهر الذي بعده ليتمكنوا من القتال في الشهر الحرام ، فعاماً يحلون وعاماً يحرمون حتى يوافقوا عدة الأشهر الحُرُم بلا زيادة ولا نقصان ، ظناً منهم أنهم ما عصوا مستترين بهذه الفتيا الإبليسية كما قال تعالى { زين لهم سوء أعمالهم } والمزين للباطل قطعاً هو الشيطان .

(74/2)

وقوله تعالى { والله لا يهي القوم الكافرين } يخبر تعالى أنه عز وجل لا يهدي القوم الكافرين لما هو الحق والخير وذلك عقوبة لهم على كفرهم به وبرسوله ، وإصرارهم على ذلك .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- بيان أن شهور السنة الهجرية اثنا عشر شهراً وأيامها ثلثمائة وخمسة وخمسون يوماً .

2- بيان أن الأشهر الحرم أربعة وقد بينها الرسول صلى الله عليه وسلم وهي رجب ، والعقدة والحجة ومحرم .

3- حرمة الأشهر الحرم ، ومضاعفة السيآت فيها أي قبح الذنوب فيها .

4- صفة المعينة لله تعالى معية خاصة بالنصر والتأييد لأهل تقواه .

5- حرمة الاحتيال على الشرع بالفتاوى الباطلة لاحلال الحرام ، وأن هذا الاحتيال ما هو إلا زيادة في الإثم .

6- تزيين الباطل وتحسين المنكر من الشيطان .

7- حرمان أهل الكفر والفسق من هداية الله تعالى وتوفيقه لما هو حق وخير حالاً ومآلاً .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39) إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40)

شرح الكلمات :

{ مالكم؟ } : أي أي شيء ثبت لكم من الأعذار .

{ انفروا } : أي اخرجوا مستعجلين مندفعين .

{ اثاقلتم } : أي تباطأتم كأنكم تحملون أثقالاً .

{ إلا تنصروه } : أي الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

{ ثاني اثنين } : أي هو وأبو بكر رضي الله عنه .

{ في الغار } : غار ثور أي في جبل يقال له ثور بمكة .

{ لصاحبة } : هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

{ سكينتهُ } : أي طمأنينته .

{ كلمة الذين كفروا } : هي الدعوة إلى الشرك .

{ السفلى } : أي مغلوبة هابطة لا يسمع لها صوت .

{ وكلمة الله هي العليا } : أي دعوة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) هي العليا الغالبة الظاهرة .

معنى الآيات :

هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك فقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن هرقل ملك الروم قد جمع جموعه لحرب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأعلن النبي صلى الله عليه وسلم التعبئة العامة ، وكان الزمن صيفاً حاراً وبالبلاد جدب ومجاعة ، وكان ذلك في شوال من سنة تسع ، وسميت هذه الغزوة بغزوة العسرة فاستحثَّ الربّ تبارك وتعالى المؤمنين ليخرجوا مع نبيهم لقتال أعدائه الذين عزموا على غزوه في عقر داره فأنزل تعالى قوله { يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله } القائل هو رسوله الله صلى الله عليه وسلم { انفروا في سبيل الله } أي اخرجوا للجهاد { في سبيل الله } أي لأجل رضاه سبحانه وتعالى وما عند من نعيم مقيم . وقوله { ما لكم } أي أي شيء يجعلكم لا تنفرون؟ وأنتم المؤمنون طلاب الكمال والإسعاد في الدارين ، وقوله { اثَّاقلتم إلى الأرض } أي تباطأتم عن الخروج راضين ببقائكم في دوركم وبلادكم . { أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟ } ينكر تعالى على من هذه حاله منهم ، ثم يقول لهم { فما متاع الحياة الدنيا } أي ما كل ما يوجد فيها من متع على اختلافها بالنسبة إلى ما في الآخرة من نعيم مقيم في جوار رب العالمين { إلا قليل } تافه لا قيمة له؛ فكيف تؤثرون القليل على الكثير والفاني على الباقي . ثم قال

لهم { إلاَّ تنفروا } أي إن تخليتم عن نصرته صلى الله عليه وسلم وتركتموه يخرج إلى قتال الروم وحده { يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير } . وفي هذا الخبر وعيد شديد اهتزت له قلوب المؤمنين .

وقوله تعالى { إلا تنصروه } أي إن خذلتموه ولم تخرجوا معه في هذا الظرف الصعب فقد نصره الله تعالى في ظرف أصعب منه نصره في الوقت الذي أخرجه الذين كفروا { ثاني اثنين } أي هو وأبو بكر لا غير ، { إذ هما في الغار } أي غار ثور ، { إذ يقول لصاحبه } : لما قال لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا يا رسول الله ، { لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه } فسكنت نفسه واطمأن وذهب الخوف من قلبه ، { وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا } وهي دعوتهم إلى الشرك جعلها { السفلى } مغلوبة هابطة { وكلمة الله } كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله { هي العليا } الغالبة الظاهرة { والله عزيز } غالب لا يغالب { حكيم } في تصرفه وتدبيره ، ينصر من أراد نصره بلا ممانع ويهزم من أراد هزيمته بلا مغالب .

(76/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- وجوب الخروج إلى الجهاد إذا دعا الإمام بالدعوة العامة وهو ما يعرف بالتعبئة العامة أو النفير العام .

2- يجب أن يكون النفير في سبيل الله لا في سبيلٍ غير سبيله تعالى .

3- بيان حقارة الدنيا وضآلتها أمام الآخرة .

4- وجوب نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دينه في أمته في سنته .

5- شرف أبي بكر الصديق وبيان فضله 6- الإسلام يعلو ولا يعلى عليه .

(77/2)

انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (42) عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (43)

شرح الكلمات :

{ خفافاً وثقالاً } : الخفاف جمع خفيف : وهو الشاب القوي البدن ذا الجدة من زاد ومركوب . والثقال جمع ثقيل : وهو الشيخ الكبير والمريض والفقير الذي لا جدة عنده .

{ ذلكم } : أي الجهاد بالمال والنفس خير من التثاقل إلى الأرض وترك الجهاد حالاً ومآلاً .

{ عرضاً قريباً } : غنيمة في مكان قريب غير بعيد .

{ أو سفراً قاصداً } : أي معتدلاً لا مشقة فيه .

{ الشقة } : الطريق الطويل الذي لا يقطع إلا بمشقة وعناء .

{ عفا الله عنك } : لم يؤاخذك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحث على الخروج إلى قتال الروم بالشام ففي هذه الآيات يأمر تعالى المؤمنين بالخروج إلى الجهاد على أي حال كان الخروج من قوة وضعف فليخرج الشاب القوى كالكبير العاجز والغني كالفقير فقال تعالى { انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم } أعداء الله الكافرين به وبرسوله حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية ويقبلوا أحكام الإسلام { ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون } أي نفوركم للجهاد وقتالكم الكافرين إلى الانتهاء بهم إلى الغايتين خير لكم من الخلود إلى الأرض والرضا بالحياة الدنيا وهي متاع قليل ، إن كنتم تعلمون ذلك ، وقوله تعالى { لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة } يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم لو كان أولئك المتخلفون عن الجهاد من المنافقين وضعفة الإيمان قد دعوتهم إلى عرض قريب أي غنيمة حاضرة أو إلى سفر سهل قاصد معتدل لاتبعوك وخرجوا معك ، ولن دعوتهم إلى تبوك وفي زمن الحر والحاجة فبعدت عليهم الشقة فانتحلوا الأعذار إليك وتخلفوا . وقوله تعالى { وسيحلفون بالله } أي لكم قائلين : لو استطعنا أي الخروج لخرجنا معكم . قال تعالى { يهلكون أنفسهم } حيث يجلبون لها سخط الله وعقابه { والله يعلم أنهم لكاذبون } في كل ما اعتذروا به . هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى والثانية (41 – 42) وأما الآية الثالثة فقد تضمنت عتاب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حيث أذن لمن طلب منه التخلف عن النفور والنهوض إلى تبوك وكان من السياسة الرشيدة عدم الإذن لأحد حتى يتميز بذلك الصادق من الكاذب قال تعالى { عفا الله عنك } أي تجاوز عنك ولم يؤاخذك وقدم هذا اللفظ على العتاب الذي تضمنه الاستفهام { لم أذنت لهم } تعجيلاً للمسرة للنبي صلى الله عليه وسلم إذ لو أخر عن جملة العتاب لأوجد خوفاً وحزناً ، وقوله تعالى { حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين } علة للعتاب على الإذن للمنافقين بالتخلف عن الخروج إلى تبوك .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1– إذا أعلن الإمام التعبئة العامة يحرم التخلف عن الجهاد ولا يقعد أحد ، إلا بإذن لأجل علة قامت به فاستأذن فأذن له .

2– الجهاد كما يكون بالنفس يكون بالمال وهو خيرٌ من تركه حالاً ومآلاً .

3– الأيمان الكاذبة لإبطال حق أو إحقاق باطل توجب سخط الله تعالى وعذابه .

4– مشروعية العتاب للمحب .

5– جواز مخالفة الأولى على النبي صلى الله عليه وسلم لعدم علمه ما لم يعلِّمه الله تعالى .

لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (44) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (45) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (46)

شرح الكلمات :

{ لا يستأذنك } : أي لا يطلبون منك إذناً بالتخلف عن الجهاد .

{ وارتابت قلوبهم } : أي شكت في صحة ما تدعو إليه من الدين الحق .

{ في ريبهم } : أي في شكهم .

{ يترددون } : حيارى لا يثبتون على شيء .

{ لأعدّوا له عدّة } : لهيأوا له ما يلزم من سلاح وزاد ومركوب .

{ انبعاثهم } : أي خروجهم معكم .

{ فثبطهم } : ألقي في نفوسهم الرغبة في التخلف وحببه إليهم فكسلوا ولم يخرجوا .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن غزوة تبوك وأحوال المأمورين بالنفير فيها فبعد أن عاتب الله تعالى رسوله في إذنه للمتخلفين أخبره أنه لا يستأذنه المؤمنون الصادقون في أن يتخلفوا عن الجهاد بأموالهم وأنفسهم وإنام يستأذنه { الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتاب قلوبهم } في الإيمان بالله ورسوله ووعده ووعيده ، فهم حيارى مترددون لا يدرون أين يتجهون وهي حالة المزعزع العقيدة كسائر المنافقين ، وأخبره تعالى أنهم كاذبون في اعتذاراتهم إذ لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدته أي احضروا له أهبته من سلاح وزاد وراحلة ولكنهم كانوا عازمين على عدم الخروج بحال من الأحوال ، ولو لم تأذن لهم بالتخلف لتخلفوا مخالفين قصدك متحدين أمرك . وهذا عائد إلى ان الله تعالى كره خروجهم لما فيه من الضرر والخطر فثبطهم بما ألقى في قلوبهم من الفشل وفي أجسامهم من الكسل كأنما قيل لهم اقعدوا مع القاعدين . هذا ما دلت عليه الآية (44) { ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدته ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين } وقوله تعالى في ختام الآية الأولى (44) { والله عليم بالمتقين } فيه تقرير لعلمه تعالى بأحوال ونفوس عباده فما أخبر به هو الحق والواقع ، فالمؤمنون الصادقون لا يطلبون التخلف عن الجهاد لإيمانهم وتقواهم ، والمنافقون هم الذين يطلبون التخلف لشكهم وفجورهم والله أعلم بهم ، ولا ينبئك مثل خبير .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- فضيلة الإيمان والتقوى إذ صاحبها لا يمكنه أن يتخلف عن الجهاد بالنفس والمال .

2- خطر الشك في العقيدة وأنه سبب الحيرة والتردد ، وصاحبه لا يقدر على أن يجاهد بمال ولا نفس .

3- سوابق الشر تحول بين صاحبها وبين فعل الخير .

لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (47) لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (48)

شرح الكلمات :

{ لو خرجوا فيكم } : أي مندسين بين رجالكم .

{ إلا خبالاً } : الفساد في الرأى والتدبير .

{ ولأوضعوا خلالكم } : أي لأسرعوا بينكم بالنميمة والتحريش والإثارة لإبقائكم في الفتنة .

{ وفيكم سماعون لهم } : أي بينكم من يكثر السماع لهم والتأثر بأقوالهم المثيرة الفاسدة .

{ من قبل } : أي عند مجئيك المدينة مهاجراً .

{ وقلّبوا لك الأمور } : بالكيد والمكر والاتصال باليهود والمشركين والتعاون معهم .

{ وظهر أمر الله } : بأن فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً .

{ وهم كارهون } : أي لمجيء الحق وظهور أمر الله بانتصار دينه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في فضح نوايا المنافقين وكشف الستار عنهم فقال تعالى { لو خرجوا فيكم } أيها الرسول والمؤمنون أي إلى غزوة تبوك { ما زادوكم إلا خبالاً } أي ضرراً وفساداً وبلبلة لأفكار المؤمنين بما ينفثونه من سموم القول للتخذيل والتفشيل ، { ولأوضعوا } أي أسرعوا ركائبهم { خلالكم } أي بين صفوفكم بكلمات التخذيل والتثبيط { يبغونكم } بذلك { الفتنة } وهي تفريق جمعكم وإثار العداوة بينكم بما يحسنه المنافقون في كل زمان ومكان من خبيث القول وفاسده وقوله تعالى { وفيكم سماعون لهم } أي وبينكم أيها المؤمنون ضعاف الإيمان يسمعون منكم وينقلون لهم أخبار أسراركم كما أن منكم من يسمع لهم ويطيعهم ولذا وغيره كره الله انبعاثهم وثبطهم فقعدوا مع القاعدين من النساء والأطفال والعجز والمرضى ، وقوله تعالى { والله غليم بالظالمين } الذين يعملون على إبطال دينه وهزيمة أوليائه . فلذا صرفهم عن الخروج معكم إلى قتال أعدائكم من الروم والعرب المتنصرة بالشام . وقوله تعالى في الآية الثانية (48) { لقد ابتغوا الفتنة من قبل } بل من يوم هاجرت إلى المدينة ووجد بها الإسلام وهم يثيرون الفتن بين أصحابك للإيقاع بهم ، وفي أحد رجع ابن أبي بثلث الجيش وهم بنو سلمة وبنو حارثة بالرجوع عن القتال لولا أن الله سلم { وقلبوا لك الأمور } وصرفوها في وجوه شتى بقصد القضاء على دعوتك فظاهروا المشركين واليهود في مواطن كثيرة وكان هذا دأبهم { حتى جاء الحق } بفتح مكة { وظهر أمر الله } بدخول أكثر العرب في دين الله { وهم كارهون } لذلك بل أسفون حزنون ، ولذا فلا تأسفوا على عدم خروجهم معكم ، ولا تحفلوا به أو تهتموا له ، فإن الله رحمة بكم ونصراً لكم صرفهم عن الخروج معكم فاحمدوا الله وأثنوا عليه بما هو أهله ، ولله الحمد والمنة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- وجود منافقين في صفوف المؤمنين خطر عليهم وضرر كبير لهم فلذا ينبغي إن لا يُشركوا في أمر ، وأن لا يعول

عليهم في مهمة .

2- وجوب الأخذ بالحيطة في الأمور ذات البال والأثر على حياة الإسلام والمسلمين .

3- المنافق يسوءه عزة الإسلام والمسلمين ويحزن لذلك .

4- تدبير الله لأوليائه خير تدبير فلذا وجب الرضا بقضاء الله وقره والتسليم به .

(80/2)

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (49) إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (50) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (52)

شرح الكلمات :

{ ومنهم } : أي من المنافقين وهو الجد بن قيس .

{ إئذن لي } : أي في التخلف عن الجهاد .

{ ولا تفتني } : أي لا توقعني في الفتنة بدعوى أنه إذا رأى نساء الروم لا يملك نفسه .

{ حسنة تسؤهم } : الحسنة كل ما يحسن من نصر وغنيمة وعافية ومعنى تسؤهم أي يكربون لها ويحزنون .

{ قد أخذنا أمرنا من قبل } : أي احتطنا للأمر ولذا لم نخرج معهم .

{ إحدى الحسنين } : الأولى الظفر بالعدو والانتصار عليه والثانية الشهادة المورثة للجنة .

{ فتربصوا } : أي انتظروا فإنا معكم من المنتظرين .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك فيقول تعالى { ومنهم من يقول ائذن لي } أي في التخلف عن الجهاد ، { ولا تفتني } بإلزامك لي بالخروج أي لا توقعني في الفتنة ، فق روى أن النبي صلب الله عليه وسلم قال له « هل لك في بلاد بني الأصفر » فقال إني مغرم بالنساء وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر (وهم الروم) لا أصبر عنهن فأفتن ، والقائل هذا هو الجد بن قيس أحد زعماء المنافقين في المدينة فقال تعالى دعاء عليه ورداً لباطله : { ألا في الفتنة سقطوا } وأي فتنة أعظم من الشرك والنفاق؟ { وإن جهنم لمحيطة بالكافرين } به وبأمثاله من أهل الكفر والنفاق ، هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الآية الثانية (50) فقد تضمنت الكشف عما يقوله المنافقون في أنفسهم أنه إن تصب الرسول والمؤمنين حسنة من نصر أو غنيمة وكل حال حسنة يسؤهم ذلك أي يكربهم ويحزنهم ، وإن تصبهم سيئة من هزيمة أو قتل وموت يقولوا فيما بينهم { قد أخذنا أمرنا } أي احتطنا للأمر فلم نخرج معهم { ويتولوا } راجعين إلى بيوتهم وأهليهم { وهم فرحون } . هذا ما تضمنته الآية التي هي قوله تعالى { إن تصبك حسنة تسؤهم ، وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون } أما الآيتان الثالثة والرابعة (51 - 52

) فقد علم الله سبحانه وتعالى رسوله ما يقوله إغاظة لأولئك المنافقين وإخباراً له بما يسؤهم فقال { قل لن يصيبنا } أي من حسنة أو سيئة إلا ما كتب الله لنا وما يكتبه ربنا لنا لن يكون إلا خيراً لأنه مولانا { وعلى الله فيلتوكل المؤمنون } ونحن مؤمنون وعلى ربنا متوكلون ، وقال له : { قل هل تربصون بنا } أي هل تنتظرون بنا إلا إحدى الحسنيين : النصر والظهور على أهل الشرك والكفر والنفاق أو الاستشهاد في سبيل الله ، ثم النعيم المقيم في جوار رب العالمين وعليه { فتبربصوا إنا معكم متربّصون } ، وسوف لا نشاهد إلا ما يسرنا ويسوءكم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- فضيحة الجد بن قيس وتسجيل اللعنة عليه وتبشيره بجهنم .

2- بيان فرح المنافقين والكافرين بما يسوء المسلمين ، وبيان استيائهم لما يفرح المسلمين وهي علامة النفاق البارزة في كل منافق .

3- وجوب التوكل على الله وعدم الاهتمام بأقوال المنافقين .

4- بيان أن المؤمنين بين خيارين في جهادهم : النصر أو الشهادة .

5- مشروعية القول الذي يغيط العدو ويحزنه .

(81/2)

قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (53) وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (54) فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (55)

شرح الكلمات :

{ طوعاً أو كرهاً } : أي وأنتم طائعون أو أنتم مكرهون على الانفاق .

{ إنكم كنتم قوماً فاسقين } : الجملة علة لعدم قبول نفقاتهم .

{ كسالى } : متثاقلون لعدم إيمانهم في الباطن بفائدة الصلاة .

{ فلا تعجبك أموالهم } : أي لا تستحسنوا أيها المسلمون ما عند المنافقين من مال وولد .

{ وتزهق أنفسهم } : أي تفيض وتخرج من أجسامهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تعليم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم كيف يرد على المنافقين فقال له قل لهم أيها الرسول { انفقوا } حال كونكم طائعين أو مكرهين { لن يتقبل منكم } ، اي أخبرهم أن ما ينفقونه في هذا الخروج إلى تبوك وفي غيره سواء أنفقوه باختيارهم أو كانوا مكرهين عليه لن يتقبله الله منهم لأنهم كانوا قوماً فاسقين بكفرهم بالله وبرسوله وخروجهم عن طاعتهما هذا ما دلت عليه الآية الأولى (53) أما الآية الثانية (54) فقد أخبرتعالى عن الأسباب

الرئيسية التي حالت دون قبول نفقاتهم وهي أولاً الكفر بالله وبرسوله ، وثانياً اتيانهم الصلاة وهم كسالى كارهون ، وثالثاً كراهيتهم الشديدة لما ينفقونه قال تعالى { وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسارى ولا ينفقون إلا وهم كارهون } هذا ما تضمنته الآية الثانية أما الآية الثالثة (55) فإن الله تعالى ينهى رسوله والمؤمنين عن أن تعجبهم أموالهم وأولادهم مهما بلغت في الكثرة والحسن فيقول { فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم } أي لا تستحسنوها ولا تخبروهم بذلك . وبين تعالى لرسوله علة اعطائهم ذلك وتكثيره لهم فقال { إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون } ووجه تعذيبه بها في الحياة الحياة الدنيا أن ما ينفقون من المال في الزكاة والجهاد يشعرون معه بألم لا نظير له لأنه إنفاق يعبرونه ضدهم وليس في صالحهم ، إذ لا يريدون نصر الإسلام ولا ظهوره ، وأما أولادهم فالتعذيب بهم هو أنهم يشاهدونهم يدخلون في الإسلام ويعملون به ولا يستطيعون أن يردوهم عن ذلك ، أي ألَمٌ نفسي أكبر من أن يكفر ولد الرجل بدينه ويدين بآخر من شروطه أن يبغض الكافر به ولو كان أباً أو أماً أو أخاً أو أختاً أو أقرب قريب؟ وزيادة على هذا يموتون وهم كافرون فينتقلون من عذاب إلى عذاب أشد ، وبهذا سلى الرب تعالى رسوله والمؤمنين بيان علة ما أعطى المنافقين من مال وولد ليعذبهم بذلك لا ليسعدهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير مبدأ أن الرياء مبطلة للعمل كالشرك محبط للعمل .

2- إطلاق الفسق على الكفر فكل كافر فاسق على الإطلاق .

3- حرم التكاسل في الصلاة وأن ذلك من صفات المنافقين .

4- وجوب رضا النفس بما ينفق العبد في سبيل الله زكاة أو غيرها .

5- كراهية استحسان المسلم لِمَا عند أهل الفسق والنفاق من مال ومتاع .

(82/2)

وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (56) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (57) وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (58) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (59)

شرح الكلمات :

{ وما هم منكم } : أي في باطن الأمر لأنهم كافرون ووجوههم وقلوبهم مع الكافرين .

{ يفرقون } : أي يخافون خوفاً شديداً منكم .

{ ملجأ } : أي مكاناً حصيناً يلجأون إليه .

{ أو مغارات } : جمع مغارة وهي الغار في الجبل .

{ أو مدخلاً } : أي سرباً في الأرض يستتر فيه الخائف الهارب .

{ يجمحون } : يسرعون سرعة تتعذر مقاومتها وإيقافها .
{ يلمزك } : أي يعيبك في شأن توزيعها ويطعن فيك .
{ إذا هم يسخطون } : أي كافينا الله كل ما يهمنا .
{ إلى الله راغبون } : إلى الله وحده راغبون أي طامعون راجون .
معنى الآيات :
ما زال السياق الكريم في هتك أستار المنافقين وإظهار عيوبهم وكشف عوارتهم ليتوب منهم من أكرمه الله بالتوبة فقال تعالى عنهم { ويحلفون بالله إنهم لمنكم } أي من أهل ملتكم ودينكم ، { وما هم منكم } أي في واقع الأمر إذ هم كفار منافقون { ولكنهم قوم يفرقون } أي يخافون منكم خوفاً شديداً فلذا يحلفون لكم إنهم منكم لتؤمنوهم على أرواحهم وأموالهم ، ولبيان شدة فرقهم منكم وخوفهم من سيوفكم قال تعالى : { لو يجدون ملجأ } أي حصناً { أو مغارات } أي غيراناً في جبال { أو مدخلاً } أي سرباً في الأرض { لولوا } أي أدبروا اليها { وهم يجمحون } أي مسرعين ليتمنعوا منكم . هذا ما دلت عليه الآية الأولى والثانية أما الآية الثالثة والرابعة (58- 59) فقد أخبر تعالى أن من المنافقين من يلمز الرسول الله صلى الله عليه وسلم أي يطعن فيه ويعيبه في شأن قسمة الصادقات وتوزيعها فيتهم الرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لا يعدل في القسمة فقال تعالى { ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطو منها رضوا } أي عن الرسول وقمسته { وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون } هذا ما تضمنته الآية (58) وأما الآية الأخيرة (95) فقد أرشدهم الله تعالى إلى ما كان ينبغي أن يكونوا عليه فقال عز وجل { ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله } ، أي من الصدقات { وقالوا حسبنا الله } أي كافينا الله { سيؤتينا الله من فضله } الواسع العظيم ورسوله بما يقسم علينا ويوزعه بيننا { إنا إلى الله } وحده { راغبون } طامعون راجعون أي لكان خيراً لهم وأدْرَكَ لحاجتهم .
هداية الآيات :
من هداية الآيات :
1- الأَيمان الكاذب شعار المنافقين وفي الحديث آية المنافق ثلاث :
(إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان) .
2- الجبن والخور والضعف والخوف من لوازم الكفر والنفاق .
3- عيب الصالحين والطعن فيهم ظاهرة دالة على فساد قلوب ونيات من يفعل ذلك 4- مظاهر الرحمة الإلهية تتجلى في إرشا المنافقين إلى أحسن ما يكونوا عليه ليكملوا ويسعدوا في الدارين .
5- لا كافي إلا الله ، ووجوب انحصار الرغبة فيه تعالى وحده دون سواه .

(83/2)

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (60)

شرح الكلمات :

{ الصدقات } : جمع صدقة وهي هنا الزكاة المفروضة في الأموال .

{ للفقراء } : جمع فقير وهو من ليس له ما يكفيه من القوت ولا يسأل الناس .

{ والمساكين } : جمع مسكين وهو فقير ليس له ما يكفيه ويسأل الناس ويذل نفسه بالسؤال .

{ والعاملين عليها } : أي على جمعها وجبابتها وهم الموظفون لها .

{ والمؤلفة قلوبهم } : هم أناس يرجى إسلامهم أو بقاؤهم عليه إن كانوا قد أسلموا وهم ذوو شأن وخطر ينفع الله بهم إن أسلموا وحسن إسلامهم .

{ وفي الرقاب } : أي في فك الرقاب أي تحريرها من الرق ، فيعطى المكاتبون ما يسدون به نجوم أو أقساط كتابتهم .

{ وفي سبيل الله } : أي الجهاد لإعداد العدة وتزويد المجاهدين بما يلزمهم من نفقة .

{ وابن سبيل الله } : أي المسافر المنقطع عن بلاده ولو كان غنياً ببلاده .

{ فريضة من الله } : أي فرضها الله تعالى فريضة على عباده المؤمنين .

معنى الآية الكريمة :

بمناسبة لمز المنافقين الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن في قسمته الصدقات بين تعالى في هذه الآية الكريمة أهل الصدقات المختصين بها . والمراد بالصدقات الزكوات وصدقة التطوع فقال عز وجل { إنما الصدقات } محصورة في الأصناف الثمانية التي تذكر وهم :

(1) الفقراء وهم المؤمنون الذين لا يجدون ما يسد حاجتهم الضرورية من طعام وشراب وكساء ومأوى .

(2) المساكين وهم الفقراء الذين لا يجدون ما يسد حاجتهم ولم يتعففوا فكانوا يسألون الناس ويظهرون المسكنة لهم والحاجة .

(3) الموظفين فيها من سعاة جباة وأمناء وكتاب وموزعين يعطون على عملهم فيها أجرة أمثالهم في العمل الحكومي .

(4) المؤلفة قلوبهم وهم من يرجى نفعهم للإسلام والمسلمين لمناصبهم وشوكتهم في أقوامهم ، فيعطون من الزكاة تأليفاً أي جمعاً لقلوبهم على الإسلام ومحبته ونصرته ونصرة أهله ، وقد يكون أحدهم لم يسلم بعد فيعطى ترغيباً له في الإسلام ، وقد يكون مسلماً لكنه ضعيف الإسلام فيعطى تثبيتاً وتقوية على الإسلام .

(5) في الرقاب وهو مساعدة المكاتبين على تسديد أقساطهم ليتحرروا أما شراء عبد بالزكاة وتحريره فلا يجوز لأنه يعود بالنفع على دافع الزكاة لأن ولاء المعتوق له .

(6) الغارمين جمع غارم وهو من ترتبت عليه ديون بسبب ما أنفقه في طاعة الله تعالى على نفسه وعائلته ، ولم يكن لديه مال لا نقد ولا عرض يسدد به ديونه .

(7) في سبيلالله وهو تجهيز الغزاة والإنفاق عليهم تسليحاً وإركاباً وطعاماً ولباساً .

(8) ابن السبيل وهم المسافرون ينزلون ببلد وتنتهي نفقتهم فيحتاجون فيعطون من الزكاة ولو كانوا أغنياء ببلادهم .

وقوله تعالى { فريضة من الله } أي هذه الصدقات وقسمتها على هذا النحو جعله الله تعالىن فريضة لازمة على عباده المؤمنين . وقوله { والله عليم } أي بخلقه وأحوالهم { حكيم } في شرعه وقسمته ، فلذا لا يجوز أبداً مخالفة هذه القسمة فلا يدخل أحد فيعطى من الزكاة وهو غير مذكور في هذه الآية وليس شرطاً أن يعطى كل الأصناف فقد يعطى

المرء زكاته كلها في الجهاد أو في الفقراء والمساكين ، أو في الغارمين أو المكاتبين وتجزئة وإن كان الأولى أن يقسمها بين الأصناف المذكورة من وجد منها ، إذ قد لا توجد كلها في وقت واحد .

(84/2)

هداية الآية

من هداية الآية :

1- تقرير فرضية الزكاة .

2- بيان مصارف الزكاة .

3- وجوب التسليم لله تعالى في قسمته بعدم محاولة الخروج عنها .

4- إثبات صفات الله تعالى وهي هنا : العلم والحكمة ، ومتى كان الله تعالى عليماً بخلقه .

وحاجاتهم حكيماً في تصرفه وشرعه وجب التسليم لأمره والخضوع له بالطاعة والانقياد .

(85/2)

وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (61) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (62) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (63)

شرح الكلمات :

{ يؤذون النبي } : أي الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم ، والأذى المكروه يصيب الإنسان كثيراً أو يسيراً .

{ هو أذن } : أي يسمع من كل من يقول له ويحدثه وهذا من الأذى .

{ قل أذن خير لكم } : أي هو يسمع من كل من يقول له لا يتكبر ولكن لا يقر إلا الحق ولا يقبل إلا الخير والمعروف فهو أُذن خيرٍ لكم لا أُذن شر مثلكم أيها المنافقون .

{ ويؤمن للمؤمنين } : أي يصدق المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار أما غيرهم فإنه وإن يسمع منهم لا يصدقهم لأنهم كذبة فجرة .

{ والله } : أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه .

{ من يُحادد الله ورسوله } : أي يعاديهما ، ويقف دائماً في حدّ وهما في حد فلا ولاء ولا موالاة أي لا محبة ولا نصرة .

معنى الآيات :

ما زال السيقا الكريم في هتك أستار المنافقين وبيان فضائحهم قال تعالى : { ومنهم الذين يؤذون النبي } أي من

المنافقين أفراد يؤذو النبي بالطعن فيه وعيبه بما هو براء منه ، ويبين تعالى بعض ذلك الأذى فقال { ويقولون هو أذن } أي يسمع كل ما يقال له ، وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يقر سماع الباطل أو الشر أو الفساد ، وإنما يسمع ما كان خيراً ولو من منافق يكذب ويحسن القول . وأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم بقوله { قل أذن خير لكم } يسمع ما فيه خير لكم ، ولا يسمع ما هو شر لكم . إنه لما كان لا يواجههم بسوء صنيعهم . وقبح أعمالهم حمله هذا الجميل والإحسان على أن قالوا : { هو أذن } طعناً فيه صلى الله عليه وسلم وعيباً له . وقوله تعالى { يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين } هذا من جملة ما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول للمنافقين رداً على باطلهم . أنه صلى الله عليه وسلم يؤمن بالله رباً وإلهاً ، { ويؤمن للمؤمنين } أي بصدقهم فيما يقولون وهذا من خيريّته صلى الله عليه وسلم وقوله { ورحمة للذين آمنوا منكم } أيضاً من خيريّته فهو صلى الله عليه وسلم رحمة لمن آمن به واتبع النور الذي جاء به فكمل عليه وسعد به في حياتيه . وقوله تعالى { والذين يؤذون رسول الله } أي بأي نوع من الأذى قل أو كثر توعدهم الله تعالى بقوله { لهم عذاب أليم } وهو لا محالة نازل بهم وهم ذائقوه حتماً هذا ما دلت عليه الآية الأولى (61) أما الآية الثانية (62) فقد أخبر تعالى عن المنافقين أنهم يحلفون للمؤمنين بأنهم ما طعنوا في الرسول ولا قالوا فيه شيئاً يريدون بذلك إرضاء المؤمنين حتى لا يبطشوا بهم انتقاماً لكرامة نبيهم قال تعالى { يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين } أي فبدل أن يرضوا المؤمنين كان الواجب أن يرضوا الله تعالى بالتوبة إليه ويرضوا الرسول بالإيمان ومتابعته إن كانوا كما يزعمون أنهم مؤمنون .

(86/2)

وقوله في الآية الثالثة (63) { ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله } أي يشاقهما ويعاديهما فإن له جزاء عدائة ومحاربته نار جهنم خالداً فيها { ذلك الخزي العظيم } أي كونه في نار جهنم خالداً فيها لا يخرج منها هو الخزي العظيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- حرمة أذية رسول الله بأي وجه من الوجوه .

2- كون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للمؤمنين دعوة للإيمان والإسلام .

3- توعد الله تعلى من يؤذى رسوله بالعذاب الأليم دليل على كفر من يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

4- بيان كذب المنافقين وجبنهم حيث يحلفون للمؤمنين أنهم ما طعنوا في الرسول وقد طعنوا بالفعل ، وإنما حلفهم الكاذب يدفعون به غضب المؤمنين والانتقام منهم .

5- وجوب طلب رضا الله تعالى بفعل محابه وترك مساخطه .

6- توعد من يحادد الله ورسوله بالعذاب الأليم .

(87/2)

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (64) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66)

شرح الكلمات :

{ يحذر المنافقون } : أي يخافون ويحترسون .

{ تنزَّل عليهم سورة } : أي في شأنهم فتفضحهم بإظهار عيبهم .

{ تنبّئهم بما في قلوبهم } : أي تخبرهم بما يضمرونه في نفوسهم .

{ قل استهزئوا } : الأمر هنا للتهديد .

{ مخرج ما تحذرون } : أي مخرجه من نفوسكم مظهره للناس أجمعين .

{ نخوض ونلعب } : أي نخوض في الحديث على عادتنا ونلعب لا نريد سباً ولا طعناً .

{ تستهزئون } : أي تسخرون وتحتقرون .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن المنافقين لكشف الستار عنه وإظهارهم على حقيقتهم ليتوب منهم من تاب الله عليه قال تعالى مخبراً عنهم { يحذر المنافقون أن تنزّل عليهم سورة تنبّئهم بما في قلوبهم } أي يخشى المنافقون أن تنزل في شأنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم { سورة تنبئهم } أي تخبرهم بما في قلوبهم فتفضحهم ، ولذا سميت هذه السورة بالفاضحة وقوله تعالى لرسوله { قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون } يهددهم تعالى بأن الله مخرج ما يحذرون إخراجه وظهوره مما يقولونه في خلواتهم في الطعن في الإسلام وأهله . وقوله تعالى { ولئن سألتهم } أي عما قالوا من الباطل . لقالوا { إنما كنا نخوض ونلعب } لا غير . قل لهم يا رسولنا { أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون } وذلك أن نفراً من المنافقين في غزوة تبوك قالوا في مجلس لهم : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب وجاءوا ولا أكذب ألسناً ، ولا أجبن عند اللقاء! . فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الآية : وجاءوا يعتذرون لرسوله الله فأنزل الله { لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم } أي الذي كنتم تدعونه ، لأن الاستهزاء بالله والرسول والكتاب كفر مخرج من الملة ، وقوله تعالى { إن نعف عن طائفة منكم } لأنهم يتوبون كمخشي بن حمير ، { نعذب طائفة } أخرى لأنهم لا يتوبون وقوله تعالى { بأنهم كانوا مجرمين } علة للحكم بعذابهم وهو أجرامهم بالكفر والاستهزاء بالمؤمنين إذ من جملة ما قالوا : قولهم في الرسول صلى الله عليه وسلم يظن هذا يشيرون إلى النبي وهم سائرون – يفتح قصور الشام وحصونها فأطلع الله نبيه عليهم فدعاهم فجاءوا واعتذروا بقولهم إنا كنا نخوض أي في الحديث ونلعب تقصيراً للوقت ، ودفعاً للملل عنا والسآمة فأنزل تعالى { قل أبالله } الآية .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- الكشف عن مدى ما كان يعيش عليه المنافقون من الحذر والخوف .

2- كفر من استهزاء بالله أو آياته أو رسوله .

3- لا يقبل اعتذار من كفر بأي وجه وإنما التوبة أو السيف فيقتل كفراً .

4- مصداق ما أخبر به تعالى من أنه سيعذب طائفة فقد هلك عشرة بداء الدبيلة « خراج يخرج من الظهر وينفذ ألمه إلى الصدر فيهلك صاحبه حتماً » .

(88/2)

الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (68) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (69) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (70)

شرح الكمات :

{ المنافقون } : أي الذين يظهرون للمؤمنين الإيمان بألسنتهم ويسترون الكفر في قلوبهم .

{ بعضهم من بعض } : أي متاشبهون في اعتقادهم وقولهم وعملهم فأمرهم واحد .

{ بالمنكر } : أي ما ينكره الشرع لضرره أو قبحه وهو الكفر بالله ورسوله .

{ عن المعروف } : أي ما عرفه الشرع نافعاً فأمر به من الإيمان والعمل الصالح .

{ يقبضون أيديهم } : أي يمسكونها عن الإنفاق في سبيل الله .

{ نسوا الله فنسيهم } : أي تركوا الله فلم يؤمنوا به وبرسوله فتركهم وحرمهم من توفيقه وهدايته .

{ عذاب مقيم } : أي دائم لا يزول ولا يبيد .

{ بخلاقهم } : أي بنصيبهم وحظهم من الدنيا .

{ وخضتم } : أي في الكذب والباطل .

{ والمؤتفكات } : أي المنقلبات حيث صار عاليها سافلها وهي ثلاث مدن .

{ بالبينات } : الآيات الدالة على صدقهم في رسالاتهم إليهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في هتك استار المنافقين وبيان فضائهم لعلهم يتوبون . قال تعالى { المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض } أي كأبعاض الشيء الواحد وذلك لأن أمرهم واحد لا يختلف بعضهم عن بعض في المعتقد والقول العمل بيّن تعالى حالهم بقوله { يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف } وهذا دليل على انتكاسهم وفساد قلوبهم وعقولهم ، إذ هذا عكس ما يأمر به العقلاء ، والمراد من المنكفر الذي يأمرون به هو الكفر والعصيان ، والمعروف الذي ينهون عنه هو

الإيمان بالله ورسوله وطاعتهما . وقوله تعالى { ويقبضون أيديهم } كناية عن الإمساك وعدم البذل في الإنفاق في سبيل الله . وقوله { نسوا الله } فلم يؤمنوا به ولم يؤمنوا برسوله ولم يطيعوا الله ورسوله { فنسيهم } الله بأن تركهم محرومين من كل هداية ورحمة ولطف . وقوله { إن المنافقين هم الفاسقون } تقرير لمعنى { نسوا الله فنسيهم } ، إذ كفرهم بالله وبرسوله هو الذي حرمهم هداية الله تعالى ففسقوا سائر أنواع الفسق فكانوا هم الفاسقين الجديرين بهذا الوصف وهو الفسق والتوغل فيه . وقوله تعالى في الآية (68) { وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم } أي كافيهم { ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم } أي دائم لا يزول ولا يبيد ولا يفنى فقد حملت هذه الآية أشد وعيد لأهل النفاق والكفر إذ توعدهم الرب تعالى بنار جهنم خالدين فيها وبالعذاب المقيم الذي لا يبارحهم ولا يتركهم لحظة أبد الأبد وذلك بعد أن لعنهم فأبعدهم وأسحقهم من كل رحمة وخير . وفي الآية الثالثة (69) يأمر تعالى رسوله أن يقول للمنافقين المستهزئين بالله وآياته ورسوله : أنتم أيها المنافقون كأولئك الذين كانوا من قبلكم في الاغترار بالمال والولد والكفر بالله والتكذيب لرسوله حتى نزل بهم عذاب الله ومضت فيهم سنته في إهلاكهم هذا ما تضمنته الآية الكريمة إذ قال تعالى { كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم } أي بنصيبهم الذي كتب لهم في الدنيا { فأستمتعتم بخلاقكم } أي بما كتب لكم في هذه الحياة الدنيا { كما استمتع الذي من قبلكم } أي سواء بسواء { وخضتم } في الباطل والشر وبالكفر والتكذيب { كالذي خاضوا } أي كخوضهم سواء بسواء أولئك الهالكون { حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرةؤ أي تلاشت وذهبت ولم ينتفعوا منها بشيء ، { وأولئك هم الخاسرون } .

(89/2)

وبما أنكم أيها المنافقون تسيرون على منهجهم في الكفر والتكذيب والاغترار بالمال والولد فسوف يكون مصيركم كمصيرهم وهو الخسران المبين . وقوله تعالى في الآية الرابعة (70) { ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات } أي الآيات الدالة على توحيد الله وصدق رسوله وسلامة دعوتهم كما جاءكم أيها المنافقون رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم بالبينات فكذبتم كما كذب الذين من قبلكم فنزل بهم عذاب الله فهلك قوم نوح بالطوفان وعاد بالريح العاتية ، وثمود بالصاعقة ، وقوم إبراهيم بسلب النعم وحلول النقم ، وأصحاب مدين بالرجفة وعذاب الظلمة ، والمؤتفكات بالمطر والإئتفاك أي القلب بأن أصبح أعالي مدنهم الثلاث أسافلها ، وأسافلها أعاليها ، وما ظلمهم الله تعالى بما أنزل عليهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، وأنتم أيها المنافقون إن لم تتوبوا إلى ربكم سيحل بكم ما حل بمن قبلكم أو أشد لأنكم لم تعتبروا بما سبق .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- إن المنافقين لما كان مرضهم واحد وهو الكفر الباطني كان سلوكهم متشابها .

2- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف علامة النفاق وظاهرة الكفر وانتكاس الفطرة .

3- الاغترار بالمال والولد من عوامل عدم قبول الحق والإذعان له والتسليم به .

4- تشابه حال البشر واتباع بعضهم لبعض في الباطل والفساد والشر .

5- حبوط الأعمال بالباطل وهلاك أهلها أمر مقضى به لا يتخلف .

6- وجوب الاعتبار بأحوال السابقين والاتعاظ بما لاقاه أهل الكفر منهم من عذاب .

(90/2)

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)

شرح الكلمات :

{ والمؤمنون } : أي الصادقون في إيمانهم بالله ورسوله ووعد الله ووعيده .

{ أولياء بعض } : أي يتولّى بعضهم بعضاً في النّصرة والحماية والمحبة والتأييد .

{ ويقيمون الصلاة } : أي يؤدونها في خشوع وافية الشروط والأركان والسنن والآداب .

{ ويؤتون الزكاة } : أي يخرجون زكاة أموالهم الصامتة كالدراهم والدنانير والمعشرات ، والناطقة كالأنعام : الإبل والبقر والغنم .

{ في جنات عدن } : أي إقامة دائمةلا يخرجون منها ولا يتحولون عنها .

{ ورضوان من الله أكبر } : أي رضوان الله الذي يحله عليهم أكبر من كل نعيم في الجنة .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- بيان صفات المؤمنين والمؤمنات والتي هي مظاهر إيمانهم وأدلته .

2- أهمية صفات أهل الإيمان وهي الولاء لبعضه بعضاً ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إقامة الصلاة ، إيتاء الزكاة ، طاعة الله ورسوله .

3- بيان جزاء أهل الإيمان في الدار الآخرة وهو النعيم المقيم في دار الإسلام .

4- أفضلية رضا الله تعالى على سائر النعيم .

5- بيان معنى الفوز وهو النجاة من النار ، ودخول الجنة .

(91/2)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (73) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (74)

شرح الكلمات :

{ جاهد الكفار } : ابذل غاية جهدك في قتال الكفار والمنافقين .

{ واغلظ عليهم } : أي في القول والفعل أي شدد عليهم ولا تلن لهم .

{ كلمة الكفر } : أي كلمة يكفر بها من قالها وهي قول الجلاس بن سويد : إن كان ما جاء به محمد حقاً لنحن شرّ من الحمير .

{ وهموا بما لم ينالوا } : أي هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم في مؤامرة دنيئة وهم عائدون من تبوك .

{ وما نقموا إلا أن أغناهم } : أي ما أنكروا أو كرهوا من الإسلام ورسوله إلا أن أغناهم الله بعد فقر أعلى مثل هذا يهمون بقتل رسول الله؟

معنى الآيتين :

يأمر تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين فيقول { يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين } وجهاد الكفار يكون بالسلاح وجهاد المنافقين يكون باللسان ، وقوله تعالى { واغلظ عليهم } أي شدد عملك وقولك ، فلا هوادة مع من كفر بالله ورسوله ، ومع من نافق الرسول والمؤمنين فأظهر الإيمان وأسر الكفر وقوله تعالى { ومأواهم جهنم وبئس المصير } أي جهنم يريد ابذل ما في وسعك في جهادهم قتلاً وتأديباً هذ لهم في الدنيا ، وفي الآخرة مأواهم جهنم وبئس المصير ، وقوله تعالى في الآية الثانية (74) { يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا } هذا الكلام علّة للأمر بجهادهم الإغلاظ عليهم لقول الجلاس بن سويد المنافق : لئن كان ما جاء به محمد حقاً لنحن شر من الحمير سمعه منه أحد المؤمنين فبلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاه الجلائ يعتذر ويحلف بالله ما قال الذي قال فأكذبه الله تعالى في قوله في هذه الآية { يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم } والسياق دال على تكرر مثل هذا القول الخبيث وهو كذلك . قوله تعالى { وهموا بما لم ينالوا } يعني المنافقين الذين تآمروا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم عند عودته من تبوك في عقبة في الطريق إلا أن الله فضحهم وحيّب مساعهم ونجى رسوله منهم حيث بعث عمار بن ياسر يضرب وجوه الرواةحللما غشوه فردوا وتفرقوا بعد أن عزموا على أن يزاحموا رسول الله وهو على ناقته بنوقهم حتى يسقط منها فيهلك أهلكهم الله . وقوله تعالى روما نقموا } أي وما كرهوا من رسول الله ولا من الإسلام شيئاً إلا أن أغنهم الله ورسوله من فضله وهل الغنى بعد الفقر مما ينقم منه ، والجواب لا ولكنه الكفر والنفاق يفسد الذوق والفطرة والعقل أيضاً .

ومع هذا الذي قاموا به من الكفر والشر والفساد يفتح الرب الرحيم تبارك وتعالى باب التوبة في وجوههم ويقول { فإن يتوبوا } من هذا الكفر والنفاق والشر والفساد يك ذلك { خيراً لهم } حالاً ومآلاً أي في الدنيا والآخرة ، { وإن يتولوا } عن هذا العرض ويرفضوه فيصرون على الكفر والنفاق { يعذبهم الله عذاباً أليماً } أي موجعاً في الدنيا بالقتل والخزي ، وفي الآخر بعذاب النار ، رومالهم في الأرض من ولي } يتولاهم ولا ناصر ينصرهم ، أي وليس لهم في الدنيا من ولي يدفع عنهم ما أراد الله أن ينزله بهم من الخزي والعذاب وما لهم من ناصر ينصرهم بعد أن يخذلهم الله سبحانه وتعالى .

(92/2)

هداية الأيتين

من هداية الآيتين :

1- بيان آية السيف وهي { يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين } . 2- تقرير مبدأ الردة وهي أن يقول المسلم كلمة الكفر فيكفر بها وذلك كالطعن في الإسلام أو سب الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو التكذيب بما أمر الله تعالى بالإيمان به والتصديق بضده أي بما أمر الله بتكذيبه .

3- تقرير مبدأ التوبة من كل الذنوب ، وأن من تاب تقبل توبته .

4- الوعيد الشديد لمن يصر على الكفر ويموت عليه .

(93/2)

وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (76) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (77) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (78)

شرح الكلمات :

{ ومنهم } : أي من المنافقين .

{ لئن آتانا من فضله } : أي مالاً كثيراً .

{ بخلوا به } : أي منعوه فلم يؤدوا حقه من زكاة وغيرها .

{ فأعقبهم نفاقاً } : أي فأورثهم البخل نفاقاً ملازماً لقلوبهم لا يفارقها إلى يوم يلقون الله تعالى .

{ بما أخلفوا الله } : أي بسبب إخلافهم ما وعدوا الله تعالى به .

{ سرهم ونجواهم } : أي ما يسرونه في نفوسهم ويخفونه ، وما يتناجون به فيما بينهم .

{ علام الغيوب } : يعلم كل غيب في الأرض أو في السماء .

معنى الآيات :

ما زال السياق في المنافقين وهم أصناف وهذا صنف آخر منهم قد عاهد الله تعالى لئن إغناهم من فضله وأصبحوا ذوي ثروة وما كثير ليصدقن منه ولينفقنّه في طريق البر والخير ، فلما أعطاهم الله ما سألوا وكثر مالهم شحوا به وبخلوا ، وتولوا عما تعهدوا به وما كانوا عليه من تقوى وصلاح ، وهم معرضون . فأورثهم هذا البخل وخلف الوعد والكذب { نفاقاً في قلوبهم } لا يفارقهم حتى يلقوا ربهم . هذا ما دل عليه قوله تعالى { ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما

أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون } أما الآية الأخيرة (78) وهي قوله تعالى { ألم يعلموا أن الله يعلم الذين عاهدوا الله وأخلفوه بموقفهم الشائن كأنهم لا يعلمون أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأنه تعالى علام الغيوب ، وإلا كيف يعدونه يحلفون له أم يحسبون أن الله لا يسمع سرهم ونجواهم فموقفهم هذا موقف مخز لهم شائن ، وويل لهم حيث لازمهم ثمرته وهو النفاق حتى الموت وبهذا أغلق باب التوبة في وجوههم وهلكوا مع الهالكين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- وجوب الوفاء بالعهود وخاصة عهود الله تعالى .

2- ذم البخل وأهله .

3- تقرير مبدأ أن السيئة يتولد عنها سيئة .

4- جواز تقريع وتأنيب أهل الباطل .

5- وجوب مراقبة الله تعالى إذ لو راقب هؤلاء المنافقون الله تعالى لما خرجوا عن طاعته .

(94/2)

الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (79) اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (80)

شرح الكلمات :

{ يلمزون } : أي يعيبون ويطعنون .

{ المطوّعين } : أي المتصدقين بأمواله زيادة على الفريضة .

{ إلا جهدهم } : إلا طاقتهم وما يقدرون عليه فيأتون به .

{ فيسخرون منهم } : أي يستهزئون بهم احتقاراً لهم .

{ استغفر لهم } : أي اطلب له المغفرة أو لا تطلب .

{ لا يهدي القوم الفاسقين } : أي إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم وذلك لتوغلهم في العصيان .

معنى الآيتين :

ما زال السياق في التنديد بالمنافقين وكشف عوارهم فقد أخبر تعالى أن رالذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم } . أخبر تعالى أنه سخر منهم جزاء سخريتهم بالمتصدقين وتوعدهم بالعذاب الأليم . وكيفية لمزهم المتطوعين أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى الصدقة فإذا جاء الرجل بمال كثير لمزوه وقالوا مراء ، وإذا جاء الرجل بالقليل لمزوه وقالوا : الله غني عن صاعك هذا فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية ففضحهم وسخر منهم وتوعدهم بأليم العذاب وأخبر نبيه أن استغفاره له وعدمه سواء

فقال { استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم } وبين علة ذلك بقوله { ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله } ، وهذه العلة كافية في عدم المغفرة لهم لأنها الكفر والكافر مخلد في النار . وأخبر تعالى أنه حرمهم الهداية فلا يتوبوا فقال { والله لا يهدي القوم الفاسقين } لأن الفسق قد أصبح وصفاً لازماً لهم فلذا هم لا يتوبون ، وبذلك حرموا هداية الله تعالى .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- حرمة لمزا المؤمن والطعن فيه .

2- حرمة السخرية بالمؤمن .

3- غيرة الله على أوليائه حيث سخر الله ممن سخر من المطوعين .

4- من مات على الكفر لا ينفعه الاستغفار له ، بل ولا يجوز الاستغفار له .

5- التوغل في الفسق أو الكفر أو الظلم يحرم صاحبه الهداية .

(95/2)

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82) فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (83)

شرح الكلمات :

{ فرح المخلفون } : أي سرّ الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

{ وقالوا : لا تنفروا في الحر } : أي قال المنافقون لبعضهم بعضاً لا تخرجوا للغزو في الحر .

{ لو كانوا يفقهون } : أي لو كانوا يفقهون أسرار الأمور وعواقبها ونتائجها لما قالوا : لا تنفروا في الحر ولكنهم لا يفقهون .

{ فليضحكوا قليلاً وليبكوا } : أي في الدنيا ، وليبكوا كثيراً في الدار الآخرة .

{ فإن رجعك الله إلى طائفة منهم } : أي من المنافقين .

{ فاعقدوا مع الخالفين } : أي المختلفين عن تبوك من النساء والأطفال وأصحاب الأعذار .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن المنافقين فقال تعالى مخبراً عنهم { فرح المخلفون } أي سر المتخلفون { بمقعدهم خلاف رسول الله } أي بقعودهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة { وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم } في سبيله ، وكرههم هذا للجهاد هو ثمرة نفاقهم وكفرهم وقولهم { لا تنفروا في الحر } لأن غزوة تبوك كانت في شدة

الحر ، قالوا هذا لبعضهم بعضاً وهنا أمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم قولهم هذا فقال { قل نار جهنم أشد حراً } فلماذا لا لتَّقونها بالخروج في سبيل الله كما يتقون الحر بعدم الخروج ، وقوله تعالى { لو كانوا يفقهون } أي لما تخلفوا عن الجهاد لأن نار جهنم أشد حراً ، ولكنهم لا يفقهون وقوله تعالى { فليضحكوا قليلاً } أي في هذه الحياة النيا بما يحصل لهم من المسرات { وليبكوا كثيراً } أي يوم القيامة لما ينالهم من الحرمان العذاب ، وذلك كان { جزاء بما كانوا يكسبون } من الشر والفساد ، وقوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم { فإن رجعك الله إلى طائفة منهم } أي فإن ردك الله سالماً من تبوك إلى المدينة إلى طائفة من المنافقين { فستأذنوك للخروج } معك لغزو وجهاد { فقل لن تخرجوا معي أبداً ، ولن تقاتلوا معي عدواً } وعلة ذلك { أنكم رضيتم بالعقود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين } أي من النساء والأطفال فإن هذا يزيد في همهم ويعظم حسرتهم جزاء تخلفهم عن رسول الله وكراهيتهم الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- من علامات النفاق الفرح بترك طاعة الله ورسوله .

2- من علامات النفاق كراهية طاعة الله ورسوله .

3- كراهية الضحك والإكثار منه .

4- تعمد ترك الطاعة قد يسبب الحرمات منها .

(96/2)

وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (84) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (85)

شرح الكلمات :

{ ولا تصل على أحد } : أي صلاة الجنازة .

{ ولا تقم على قبره } : أي لا تتول دفنه له كما تفعل مع المؤمنين .

{ وماتوا وهم فاسقون } : أي خارجون عن طاعة الله ورسوله .

{ وتزهق أنفسهم } : أي تخرج أرواحهم بالموت وهم كافرون .

معنى الآيتين :

ما زال السياق في شأن المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك ، وإن كانت هذه الآية نزلت فيشأن عب الله بن أبي بن سلول كبير المنافقين وذلك أنه لما مات طلب ولده الحباب الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وقال له الحباب اسم الشيطان وسماه عبد الله جاءه فقال يا رسول الله إن أبي قد مات فأعطني قميصك أكفنه فيه « رجاء بركته » وصل عليه واستغفر له يا رسول الله فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص وقال له إذا فرغتم فآذنوني فلما

أراد أن يصلي عليه جذبه عمر وقال له : أليس ق نهاك الله أن تصلي على المنافقين فقال بل خيرني فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم . فصلى عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية { ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ، ولا تقم على قبره } أي لا تتول دفنه والدعاء له بالتثبيت عند المسألة . وعلل تعالى لهذا الحكم بقوله { إنهم كفروا بالله ورسووله وماتوا وهم فاسقون } ، وقوله { ولا تعجبك أموالهم وأولادهم } فتصلي عليهم . إني إنما أعطيتهم ذلك لا كرامة لهم وإنما لأعذبهم بها في الدنيا بالغموم والهموم { وتزهق أنفسهم } أي ويموتوا { وهم كافرون } فسينقلون إلى عذاب أبدي لا يخرجون منه ، وذلك جزاء من كفر بالله ورسوله .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- حرمة الصلاة على الكافر مطلقاً .

2- حرمة غسل الكافر والقيام على دفنه والدعاء له .

3- كراهة الصلاة على أهل الفسق دون الكفر .

4- حرمة الإعجاب بأحوال الكافرين المادية .

(97/2)

وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (86) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (87) لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (88) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (89) وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (90)

شرح الكلمات :

{ استأذنك } : أي طلبوا إذنك لهم بالتخلف .

{ أولوا الطول منهم } : أي أولو الثروة والغنى .

{ ذرنا نكن مع القاعدين } : أي اتركنا مع المتخلفين من العجزة والمرضى والأطفال والنساء .

{ مع الخوالف } : أي مع النساء جمع خالفة المرأة تخلف الرجل في البيت إذا غاب .

{ طبع على قلوبهم } : أي توالت ذنوبهم على قلوبهم فأصبحت طابعاً عليهم فحجبتها . المعرفة .

{ لهم الخيرات } : أي في الدنيا بالنصر والغنيمة . وفي الآخرة بالجنة والكرامة فيها .

{ وأولئك هم المفلحون } : أي الفائزون بالسلامة من المخوف والظفر بالمحبوب .

{ المعذرون } : أي المتعذرون .

{ وقعد الذين كذبوا الله } : أي ولم يأت الى طلب الإذن بالعقود عن الجهاد منافقوا الأعراب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في كشف عورات المنافقين وبيان أحوالهم فقال تعالى { وإذا أنزلت سورة } أي قطعة من القرآن آية أو آيات { أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله } أي تأمر بالإيمان بالله والجهاد مع رسوله { استأذنك أولوا الطول منهم } أي من المنافقين { وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين } أي المتخلفين عن الجهاد للعجز كالمرضى والنساء والأطفال قال تعالى : في عيبهم وتأنيبهم { رضوا بأن يكونوا مع الخوالف } أي مع النساء وذلك لجبنهم وهزيمتهم النفسية وقوله تعالى { وطبع على قلوبهم } أي طبع الله على قلوبهم بآثار ذنوبهم التي رانت على قلوبهم فلذا هم لا يفقهون معنى الكلام وإلا لما رضوا بوصمة العار وهي أن يكونوا في البيوت مع النساء هذه حال المنافقين وتلك فضائحهم إذا أنزل سورة تأمر بالإيمان والجهاد يأتون في غير حياء ولا كرامة يستأذنون في البقاء مع النساء { لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأمواله وأنفسهم } ولم يستأذنوا ففازوا بكرامة الدنيا . والآخرة قال تعالى { وأولئك لهم الخيرات } أي في الدنيا بالانتصارات والغنائم وفي الآخرة بالجنة ونعيمها ورضوان الله فيها . وقال { وأولئك هم المفلحون } أي الفائزون بالسلامة من كل مرهوب وبالظفر بكل مرغوب وفسر تعالى تلك الخيرات وذلك الفلاح بقوله في الآية (89) فقال { أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها } وأخبر عما أعد لهم من ذلك النعيم المقيم بأنه الفوز فقال { ذلك الفوز العظيم } . هذا ما لت عليه الآيات الأربع أما الآية الخامسة (90) فقد تضمنت إخبار الله تعالى عن منافقي الأعراب أي البادية . فقال تعالى { وجاء المعذرون } أي المعتذرون ادغمت التاء في الذال فصارت المعذرون من الأعراب أي من سكان البادية كأسد وغطفان ورهط عامر بن الطفيل جاءوا يطلبون الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتخلف بدعوى الجهد المخمصة ، وقد يكونون معذورين حقاً وقد لا يكونون كذلك ، وقوله { وقعد الذين كذبوا الله ورسوله } في دعوى الإيمان بالله ورسوله وما هم بمؤمنين بل هم كافرون منافقون ، فلذا قال تعالى فيهم { سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم } في الدنيا وفي الآخرة ، إن ماتوا على كفرهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- القرآن هو مصدر التشريع الإلهي الأول والسنة الثاني .

2- مشروعية الاستئذان للحاجة الملحة .

3- حرمة الاستئذان للتخلف عن الجهاد مع القدرة عليه .

4- حرمة التخلف عن الجها بدون إذن من الإمام .

5- فضل الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله .

6- بيان عظم الأجر وعظيم الجزاء لأهل الإيمان والجهاد .

(98/2)

لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (91) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (92)

شرح الكلمات :

{ على الضعفاء } : أي كالشيوخ . ولا على المرضى : كالعمى والزَمْنَى .

{ حرج } : إي إثم على التخلف .

{ إذا نصحوا لله ورسوله } : أي لا حرج عليهم في التخلف إذا نصحوا لله ورسوله وذلك بطاعتهم لله ورسوله مع تركهم الإرجاف والتثبيط .

{ ما على المحسنين من سبيل } : أي من طريق إلى مؤاخذتهم .

{ لتحملهم } : أي على رواحل يركبونها .

{ تولوا } : أي رجعوا الى بيوتهم .

{ تفيض من الدمع } : اي تسيل بالدموع حزناً على عدم الخروج .

معنى الآيتين :

لما ندد تعالى بالمتخلفين وتوعد بالعذاب الأليم الذين لم يعتذروا منهم ذكر في هذه الآيات أنه لا حرج على أصحاب الأعزار وهم الضعفاء ، كالشيوخ والمرضى والعميان وذوو العرج والفقراء الذين لا يجدون ماينفقون ولكن بشرط نصحهم لله ورسوله فقال عز وجل { ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج } . اي إثم { إذا نصحوا لله ورسوله } ومعنى النصح لله ورسوله طاعتهما في الأمر والنهي وترك الإرجاف والتثبيط ولادعاية المضادة لله ورسوله والمؤمنين والجهاد في سبيل وقوله تعالى { ما على المحسنين من سبيل } أي ليس على من أحسنوا في تخلفهم لأنه أولاً بعذر شرعي وثانياً هم مطيعون لله ورسوله وثالثاً قلوبهم ووجوههم مع الله ورسوله وإن تخلفوا بأجسادهم للعذر فهؤلاء ما عليهم من طريق إلى انتقاصهم أو أذيتهم بحال من الأحوال ، كما ليس من سبيل على الذين إذا ما أتوك لتحملهم } إلى الجهاد معك في سيرك { قلت } معتذراً إليهم { لا أجد ما أحملكم عليه تولوا } أي رجعوا إلى منازلهم وهم يبكون والدموع تفيض من أعينهم حزناً { ألا يجدون ما ينفقون } في سيرهم معكم وهم نفر منهم العرباص بن سارية وبنو مقرن وهم بطن من مزينة . رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- لا حرج على أصحاب الأعذار الذين ذكر الله تعالى في قوله { ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج } وفي هذه الآية { ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون } حرج وبشرط طاعة الله والرسول فيما يستطيعون والنصح لله والرسول بالقول والعمل وترك التثبيط والتخذيل والإرجاف من الإشاعات المضادة للإسلام والمسلمين .

2- مظاهر الكمال المحمدي في تواضعه ورحمته وبره وإحسانه إلى المؤمنين .

3- بيان ما كان عليه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار من الإيمان واليقين والسمع

والطاعة والمحبة والولاء ورقة القلوب وصفاء الأرواح .

اللهم إنا نحبهم بحبك فأحببنا كما أحببتهم واجمعنا معهم في دار كرامتك .

(99/2)

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (93) يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (94) سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (95) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (96)

شرح الكلمات :

{ إنما السبيل } : أي الطريق إلى المعاقبة .

{ أغنياء } : واجدون لأُهبة الجهاد مع سلامة أبدانهم .

{ الخوالف } : أي النساء والأطفال والعجزة .

{ إذا رجعتم إليهم } : أي إذا عدتم إليهم من تبوك ، وكانوا بضعاً وثمانين رجلاً .

{ لن نؤمن لكم } : أي لن نصدقكم فيما تقولون .

{ ثم تُرَدُّون } : أي يوم القيامة .

{ إذا انقلبتم } : أي رجعتم من تبوك .

{ لتُعرِضوا عنهم } : أي لا تعاقبوهم .

{ رجس } : أي نَجَس لخُبْث بواطنهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في المُخَلَّفين من المنافقين وغير المنافقين فقال تعالى { إنما السبيل } أي الطريق إلى عقاب المخلَّفين على الذين يستأذنوك في التخلُّف عن الغزو وهم أغنياء ذو قُدرة على النفقة والسير { رضوا بأن يكونوا مع الخوالف } أي النساء { وطبع الله على قلوبهم } بسبب ذنوبهم فهم لذلك لا يعلمون أن تخلفهم عن رسول الله لا يُجديهم نفاً وأنه يجرُّ عليهم البلاء الذي لا يطيقونه . هؤلاءِ هُم الذين لكم سبيل على عقابهم ومؤاخذتهم ، لا على الذين لا يجدون ما ينفقون ، وطلبوا منك حملاناً فلم تجد ما تحملهم عليه فرجعوا إلى منازلهم وهم يبكون حزنا ، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (93) أما الآيات الثلاث بعدها فهي في المخلَّفين من المنافقين يخبر تعالى عنهم فيقول { يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم } يطلبون العذر منكم إذا رجعتم إلى المدينة من غزوكم . قل لهم يا رسولنا لا تعتذروا لأننا لا نؤمن لكم أى لا نصدقكم فيما تقولونه ، لأن الله تعالى قد نَبَّأنَا من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله . إن أنتم تبتم فأخلصتم دينكم لله ، أو أصررتم على كفركم ونفاقكم ، وستُردُّون بعد موتكم إلى عالم الغيب والشهادة وهو الله

تعالى فينبئكم يوم القيامة بعد بعثكم ما كنتم تعملون من حسنات أو سيئآت ويجزيكم بذلك الجزاء العادل . وقوله تعالى { سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم } يخبر تعالى رسوله والمؤمنين فيقول سيحلف لكم هؤلاء المخلَّفون إذا رجعتم إليهم أي إلى المدينة من أجل أن تعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم أي لا تؤاخذوهم ولا تلتفوا إليهم إنهم رجْس أي نَجَس ، ومأواهم جهنم جزاء لهم بما كانوا يكسبونه من الكفر والنفاق والمعاصي . وقوله تعالى { يحلفون لكم } معتذرين بأنواع من المعاذير لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فلن ينفعهم رضاكم شيئاً لأنهم فاسقون والله لا يرضى عن القوم الفاسقين وما دام لا يرضى عنهم فهو ساخط عليهم ، ومن سخط الله عليه أهلكه وعذبه فلذا رضاكم عنهم وعدمه سواء .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- لا سبيل إلى أذِيَّة المؤمنين الصادقين إذا تخلَّفوا فإنهم ما تخلفوا إلا لعذر . وإنما السبيل على الأغنياء القادرين على السير إلى الجهاد وقعدوا عنه لنفاقهم .

2- مشروعية الاعتذار على شرط أن يكون المرء صادقاً في اعتذاره .

3- المنافقون كالمشركين رجْس أي نَجَس لأن بواطنهم خبيثة بالشرك والكفر وأعمالهم الباطنة خبيثة أيضاً إذْ كلها تآمر على المسلمين ومكر بهم وكيد لهم .

4- حرمة الرضا على الفاسق المجاهر بفسقه ، إذ يجب بُغْضه فكيف يُرضى عنه ويُحب؟

(100/2)

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (97) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (98) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (99)

شرح الكلمات :

{ الأعراب } : جمع أعرابي وهو من سكن البادية .

{ أشد كفراً ونفاقاً } : أي من كفار ومنافقي الحاضرة .

{ وأجدر } : أي أحق وأولى .

{ حدود ما أنزل الله } : أي بشرائع الإسلام .

{ مغرما } : أي غرامة وخسراناً .

{ ويتربص } : أي ينتظر .

{ الدوائر } : جمع دائرة : ما يحيط بالإنسان من مصيبة أو نكبة .

{ دائرة السوء } : أي المصيبة التي تسوءهم ولا تسرهم وهي الهلاك .

{ قربات } : جمع قربة وهي المنزلة المحمودة .

{ وصلوات الرسول } : أي دعاؤه بالخير .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الكشف عن المنافقين وإعدادهم للتوبة أو للقضاء عليهم ففي الآية الأولى (97) يخبر تعالى أن الأعراب وهم سكان البادية من العرب أشد كفراً ونفاقاً من كفار الحَضَر ومنافقيهم . وإنهم أجدر أي أخلق وأحق أي بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله أي من الأحكام والسنن وذلك لبعدهم عن الاتصال بأهل الحاضرة وقوله تعالى { والله عليم حكيم } أي عليم بخلقه حكيم في شرعه فما أخبر به هو الحق الواقع ، وما قضى به هو العدل الواجب . وقوله تعالى في الآية الثانية (98) الجهاد غرامة لزمَتْه وخسارة لحقَتْه في ماله وذلك لأنه لا يؤمن بالثواب والعقاب الأخروي لأنه كافر بالله ولقاء الله تعالى . وقوله عز وجل { ويتربص بكم الدوائر } أي وينتظر بكم أيها المسلمون الدوائر متى تنزل بكم فيتخلص منكم ومن الانفاق لكم والدوائر جمع دائرة المصيبة والنازلة من الأحداث وقوله تعالى { عليهم دائرة السوء } هذه الجملة دعاء عليهم . جزاء ما يتربصون بالمؤمنين . وقوله { والله سميع عليم } أي سميع لأقوالهم عليم بنياتهم فلذا دعا عليهم بما يستحقون . وقوله تعالى في الآية الثالثة (99) { ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول } إخبار منه تعالى بأن الأعراب ليسوا سواء بل منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلذا هو يتخذ ما ينفق من نفقة في الجهاد قربات عند الله أي قرباً يتقرب بها إلى الله تعالى ، ووسيلة للحصول على دعاء الرسوله له ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه المؤمن بزكاته أو صدقته يدعو له بخير ، كقوله لعبد الله بن أبي أوفى : اللهم صل على آل أبي أوفى ، وقوله تعالى { ألا إنها قربة لهم } إخبار منه تعالى بأنه تقبلها منهم وصارت قربة لهم عنده تعالى ، وقوله تعالى { سيدخلهم الله في رحمته } بشرى لهم بدخول الجنة ، وقوله { إن الله غفور رحيم } يؤكد وعد الله تعالى لهم بإدخالهم في رحمته التي هي الجنة فإنه يغفر ذنوبهم أولاً ، ويدخلهم الجنة ثانياً هذه سنته تعالى في أوليائه ، يطهرهم ثم ينعم عليهم بجواره .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان أن سكان البادية يُحرمون من كثير من الآداب والمعارف فلذا سكن البادية غير محمود إلا إذا كان فراراً من الفتن .

2- من الأعراب المؤمن والكافر والبر والتقي والمعاصي والفاجر كسكان المدن إلا أن كفار البادية ومنافقيها أشد كفراً ونفاقاً لتأثير البيئة .

3- فضل النفقة في سبيل الله والإخلاص فيها لله تعالى .

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100) وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (101) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (102)

شرح الكلمات :

{ والسابقون } : أي إلى الإيمان والهجرة والنصرة والجهاد .

{ اتبعوهم بإحسان } : أي في أعمالهم الصالحة .

{ رضي الله عنهم } : بسبب طاعتهم له وإنابتهم إليه وخشيتهم منه ورغبتهم فيما لديه .

{ ورضوا عنه } : بما أنعم عليهم من جلائل النعم وعظائم المِنَنْ .

{ وممن حولكم } : أي حول المدينة من قبائل العرب .

{ مردوا } : مرقوا وحذقوه وعتواْ فيه .

{ سنعذبهم مرتين } : الأولى قد تكون فضيحتهم بين المسلمين والثانية عذاب القبر .

معنى الآيات :

قوله تعالى : { والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار } وهم الذين سبقوا غيرهم إلى الإيمان والهجرة والنصرة والجهاد ، والذين اتبعوهم في ذلك وأحسنوا أعمالهم فكانت موافقة لما شرع الله وبين رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ؛ الجميع رضي الله عنهم بإيمانهم وصالح أعمالهم ، ورضوا عنه بما أنالهم من إنعام وتكريم ، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً أي وبشرهم بما أعد لهم من جنات وقوله { ذلك الفوز العظيم } أي ذلك المذكور من رضاه تعالى عنهم ورضاهم عنه وإعداد الجنة لهم هو الفوز العظيم ، والفوز السلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب فالنجاة من النار ودخول الجنة هو الوفوز العظيم ، هذا ما دلت عيله الآية الأولى (100) وأما الآية الثانية فقد تضمنت الإخبار بوجود منافقين في الأعراب حول المدينة ، ومنافقين في داخل المدينة ، إلا أنهم لتمرسهم وتمردهم في النفاق أصبحوا لا يُعرفون ، لكن الله تعالى يعلمهم هذا معنى قوله تعالى { وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم } ، وقوله تعالى { سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم } وعيد لهم نافذ فيهم لا محالة وهو أنه تعالى سيعذبهم في الدنيا مرتين مرة بفضحهم أو بما شاء من عذاب ومرة في قبورهم ، ثم بعد البعث يردهم إلى عذاب النار وهو العذاب العظيم ، وقوله تعالى في الآية الثانية (102) { وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً } هؤلاء أُناس آخرون تخلفوا عن الجهاد بغير عذر وهم أبو لبابة ونفر معه ستة أو سبعة أنفار ربطوا أنفسهم في سواري المسجد لما سمعوا ما نزل في المتخلفين وقالوا لن نحل أنفسنا حتى يحلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلطوا عملاً صالحاً وهو إيمانهم وجهادهم وإسلامهم وعملاً سيئاً بتوبة الله تعالى عليهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحل رباطهم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أموالنا التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها استغفر لنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- فضل السبق للخير والفوز بالأولية فيه .

2- فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على غيرهم ممن جاء بعدهم .

3- فضل التابعين لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أحسنوا المتابعة .

4- علْم ما في القلوب إلى الله تعالى فلا يعلم أحد من الغيب إلا ما علَّمه الله عز وجل .

5- الرجاء لأهل التوحيد الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً بأن يغفر الله لهم ويرحمهم .

(102/2)

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105) وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (106)

شرح الكلمات :

{ صدقة } : مالاً يتقرب به إلى الله تعالى .

{ تطهرهم تزكيهم بها } : أي تطهرهم من ذنوبهم ، وتزكيهم أنت أيها الرسول بها بدعائك لهم وثنائك عليهم .

{ وصل عليهم } : أي ادع لهم بالخير .

{ إن صلاتك سكن لهم } : أي دعاءك رحمة .

{ ويأخذ الصدقات } : يتقبلها .

{ مرجون لأمر الله } : مؤخرون لحكم الله وقضائه .

{ عليم حكيم } : اي بخلقه نيات وأموالاً وأعمالاً حكيم في قضائه وشرعه .

معنى الآيات :

لقد تقدم في الآية قبل هذه أن المتخلفين التائبين قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم هذه أموالنا التي تخلفنا بسببها صدقة فخذها يا رسول الله فقال لهم إني لم أُؤْمر بذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية { خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ، والله سميع عليم } فأمر تعالى رسوله أن يأخذ صدقة هؤلاء التائبين لأنها تطهرهم من ذنوبهم ومن أوضار الشُّح في نفوسهم وتزكيهم أيها الرسول بها بقبولك لها وصل عليهم أي ادع لهم بخير ، إن صلاتك سكن لهم أي رحمة وطمأنينة في نفوسهم والله سميع لأقوالهم لمَّ قدموا صدقتهم وقالوا خذها يا رسول الله عليم بنياتهم وبواعث نفوسهم فهم تائبون توبة صدق وحق . وقوله تعالى رألم يعلموا أن الله هو يقبل التوب عن عباده } الاستفهام للتقرير أي هم يعلمون ذلك قطعاً ، ويأخذ الصدقات أي يقبلها ، وأن الله هو التواب أي كثير قبول التوبة من التائبين الرحيم بعباده المؤمنين ثم أمر الله تعالى رسوله أن يقول لهم حاضاً لهم على العمل الصالح تطهيراً لهم وتزكية لنفوسهم { وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون } فيشكر لكم ويثنى به عليكم { وستردون إلى

عالم الغيب والشهادة } وهو الله عز وجل { فينبئكم بما كنتم تعملون } ويجزيكم به الحسن بالحسن والسيء بمثله . وقوله تعالى { وآخرون مرجون لأمر الله . إما يعذبهم وإما يتوب عليهم } هذا هو الصنف الثالث من أصناف المتخلفين فالأول هم المنافقون والثاني هم التائبون والثالث هو المقصود بهذه الآية وهم ثلاثة أنفار كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية فهؤلاء لم يأتوا الرسول صلى الله عليه وسلم ليعتذروا إليه كما فعل التائبون المتصدقون بأموالهم منهم أبو لبابة حيث ربطوا أنفسهم في سواري المسجد فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمقاطعتهم حتى يحكم الله فيهم ، وهو معنى قوله تعالى { مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم } فإن عذبهم أو تاب عليهم فذلك لعلمه وحكمته . وبقوا كذلك حتى ضاقت بهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ثم تاب الله تعالى عليهم كما جاء ذلك بعد كذا آية من آخر هذه السورة { إن الله هو التواب الرحيم } .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- الصدقة تكفر الذنوب وتطهر الأرواح من رذيلة الشُّح والبخل .

2- يستحب لمن يأخذ صدقة امرىء مسلم أن يدعو له بمثل : آجرك الله على ما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت .

3- ينبغي للتائب من الذنب الكبير أن يكثر بعده من الصالحات كالصدقات والصلوات ونحوها .

4- فضيلة الخوف والرجاء فالخوف يحمل على ترك المعاصي والرجاء يحمل على الإكثار من الصالحات .

(103/2)

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (108) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (110)

شرح الكلمات :

{ ضراراً } : أي لأجل الإضرار .

{ وإرصاداً } : انتظاراً وترقباً .

{ إلا الحسنى } : أي إلا الخير والحال الأحسن .

{ لا تقم فيه أبداً } : أي لا تَقُمْ فيه للصلاة أبداً .

{ أسس على التقوى } : أي بُني على التقوى وهو مسجد قبا .

{ فيه رجال } : هم بنو عَمرو بن عوف .

{ على تقوى من الله } : اي على خوف .

{ ورضوان } : أي رجاء رضوان الله تعالى .

{ على شفا جرف هار } : أى على طرف جرف مشرف على السوط ، وهو مسجد الضرار . { ريبة في قلوبهم } : أي شكاً في نفوسهم .

{ إلا أن تقطع قلوبهم } : أي تُفْصَل من صدورهم فيموتوا .

معنى الآيات

ما زال السياق في فضح المنافقين وإغلاق أبواب النفاق في وجوههم حتى يتوبوا الى الله تعالى أو يهلكوا وهم كافرون فقال تعالى ذاكراً فريقاً منهم { والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل } إن المراد من هؤلاء الذين اتخذا مسجداً ضراراً وكفراً اثنا عشر رجلاً من أهل المدينة كانوا قد أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاخص إلى تبوك فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً للعاجز منا والمريض ولليّلة المطيرة فَصَلِّ لنا فيه فقال لهم صلى الله عليه وسلم « أنا الآن على جناح سفر وإن عدنا نصلي لكم فيه إن شاء الله أو كما قال » . فلما عاد صلى الله عليه وسلم من تبوك ووصل الى ماكن قريب من المدينة يقال له ذواوان وهو بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار نزل عليه الوحي بشأن مسجد الضرار فبعث مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخه عاصماً أخا بني العجلان فقال انطلقا إلى هذا المسجد الظالِم أهله فاهدماه وحرقاه فخرجا مسرعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال لمعن انظرني حتى أخرج إليك بنار فخرج بسعف نخل قد أضرم فيه النار واتيا المسجد وأهله فيه فأضرما فيه النار وهدماه وتفرق أهله ونزل فيهم قوله تعالى { والذين اتخذوا مسجداً ضراراً } أي لأجل الإضرار بالمسجد النبوي ومسجد قباء حتى يأتيهما أهل الحى وقوله { وكفراً } أي لأجل الكفر بالله ورسوله وقوله { وتفريقاً بين المؤمنين } علة ثالثة لبناء مسجد الضرار إذ كان أهل الحي مجتمعين في مسجد قباء فأرادوا تفرقتهم في مسجدين حتى يجد هؤلاء المنافقون مجالاً للتشكيك والطعن وتفريق صفوف المؤمنين على قاعدة : (فرق تسد) { وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل } وهو أبو عامر الراهب الفاسق لأنه عليه لعائن الله هو الذي أمرهم أن يبنوه ليكون وكراً للتآمر والكيد وهذا الفاسق قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما وجدت قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فكان مع المشركين فى حروبهم كلها إلى أن انهزم المشركون في هوازن وأيس اللعين ذهب إلى بلاد الروم يستعديهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا أمر المنافقين ببناء مسجد الضرار ليكون كما ذكر تعالى حتى ينزل به مع جيوش الروم التي قد خرج يستعديها ويؤلِّبها إلا أنه خاب في مسعاه وهلك بالشام إلى جهنم وبئس المصير فهذا معنى قوله تعالى { وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل } أي قبل بناء مسجد الضرار الذي هُدم وحُرق وأصبح موضع قمامة تلقى فيه الجِيَفْ والقمائم .

(104/2)

وقوله تعالى { وليحلفن إن أردنا إلا حسنى } هذا قولهم لما حرق عليهم المسجد وهدم وانفضح أمرهم حلفوا ما أرادُوا إلا الحالة التي هي حسنى لا سوء فيها إذ قالوا بنيناه لأجل ذي العلة ولليلة المطيرة ، وقوله تعالى { والله يشهد إنهم لكاذبون } تفنيد لقولهم وتقرير لكذبهم . وقوله تعالى { لا قم فيه أبداً } نهيّ للرسول صلى الله عليه وسلم أن يصلى

لهم فيه كما واعدهم وهو ذاهب إلى تبوك . وقوله تعالى { لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه } وهو مسجده صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء إذ كل منهما أسس من أول يوم على تقوى من الله ورضوان أي على خوف من الله وطلب رضاه ، وقوله تعالى { فيه رجال يحبون أن يطهروا والله يحب المطهرين } ثناء على أهل قباء بخير واخبار أنهم يحبون أن يتطهروا من الخبث الحسِّي والمعنوى فكانوا يجمعون فى الاستنجاء بين الحجارة والماء فأثنى الله تعالى عليهم بذلك ، وقوله تعالى { أفمن أسّس بنيانه على تقوى الله ورضوان } أى على مخافة من الله وطلب لرضاه خير أمن أسس بنيانه على شفا أي طرف جرف هار أي مشرف على السقوط ، ولجرف ما يكون في حافة الوادي من أرض يجرف السيل من تحتها التراب وتبقى قائمة ولكنها مشرفة على السقوط ، وقوله تعالى { فانهار به في نار جهنم } أي سقط به ذلك الجرف في نار جهنم والعياذ بالله تعالى ، هذا حال أولئك المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار . وقوله تعالى { والله لا يهدي القوم الظالمين } أي لا يهديهم إلى ما يكمُلون به ويسعدون أي يحرمهم هدايته فيخسرون دنياً وأُخرى وقوله تعالى { لا قلوبهم } فيهلكوا والشك في قلوبهم أي فكان هذا البناء الظالم سبباً في تأصل النفاق والكفر في قلوبهم حتى يموتوا كافرين وقوله { والله عليم حكيم } تذييل للكلام بما يقرر مضمونه ويثبته فكونه تعالى عليماً حكيماً يستلزم حرمان أولئك الظلمة المنافقين من الهداية حتى يموتوا وهم كافرون إلى جهنم وذلك لتوغلهم في الظلم والشرك والفساد .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان أكبر مؤامرة ضد الإسلام قام بها المنافقون بارشاد الفاسق أبي عامر الراهب .

2- بيان أن تنازع الشرف هو سبب البلاء كل البلاء فابن أُبَيّ حاربَ الإسلام لأنه كان يُؤَمِّلُ في السُّلطة على أهل المدينة فحُرِمَها بالإسلام .

(105/2)

وأبو عامر الراهب ترهَّب لأجل الشرف على أهل المدينة والسلطان الروحى فلذا لما فقدها حارب من كان سبب حرمانه وهو الرسول صلى الله عليه وسلم حتى قال له مواجهة : ما قاتلك قوم إلا قاتلتك معهم . بل ذهب إلى الروم يؤلِّبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واليهود ما حاربوا الإسلام إلا من أجل المحافظة على أملهم في مملكة إسرائيل .

3- لا يصح الإغترار بأقوال أهل النفاق فإنها كذب كلها .

4- أيما مسجد بُني للإضرار والتفرقة بين المسلمين إلا ويجب هدمه وتحرم الصلاة فيه .

5- فضل التطهر والمبالغة في الطهارتين الروحية والبدنية .

6- التحذير من الظلم والإسراف فيه فإنه يحرم صاحبه هداية الله فيهلك وهو ظالم فيخسر دينا وأُخرى .

(106/2)

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112)

شرح لكلمات :

{ الجنة } : هي دار السلام التي أعدها الله تعالى للمتقين .

{ يقاتلون } : أي الكفار والمشركين .

{ وعداً } : أي وعدهم وعداً حقاً .

{ في التوراة } : أي مذكوراً في التوراة والإنجيل والقرآن .

{ ومن أوفى بعهده } : أي لا أحد أوفى بعهده من الله تعالى .

{ ذلك هو الفوز العظيم } : أي ذلك البيع هو الفوز العظيم .

{ التائبون } : أي من الشرك والنفاق والمعاصي .

{ العابدون } : أي المطيعون لله في تذلل وخشوع مع حبهم لله وتعظيمهم له .

{ السائحون } : أي الصائمون والخارجون في سبيل الله لطلب علم أو تعليمه أو جهاد لأعدائه .

{ الآمرون بالمعروف } : أي بعبادة الله تعالى وتوحيده فيها .

{ الناهون عن المنكر } : أي عن الشرك والمعاصي .

{ والحافظون لحدود الله } : اي القائمون عليها العاملون بها .

{ وبشر المؤمنين } : اي بالجنة دار السلام .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال المتخلفين عن الجهاد فضل الجهاد ترغيباً فيه وفيما أعد لأهله فقال { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة } وهذا هو المُثَّمَن الذي أعطى الله تعالى فيه الثمن وهو الجنة ، وقوله { يقاتلون في سبيل الله فيقتُلون } أي أعداء الله المشركين { ويقتلون } أي يستشهدون في معارك القتال وقوله { وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن تقريراً له وتثبيتاً وقوله { ومن أوفى بعهده من الله } استفهام بمعنى النفي أي لا أحد مطلقا أوفى بعهده إذا عاهد من الله المؤمنون ببيعكم الذى بايعتم الله تعالى به أي فسروا بذلك وافرحوا وذلك البيع والاستبشار هو الفوز العظيم الي لا فوز خير ولا أعظم منه .

وقوله { التائبون } إلى قوله : { والحافظون لحدود الله } هو ذكر لأوصاف أهل البيع وتحديد لهم فهم الموصوفون بتسع صفات الأولى التائبون أي من الشرك والمعاصي والثانية العابدون وهم المطيعون لله طاعة ملؤها المحبة لله تعالى والتعظيم له والرهبة منه والثالثة الحامدون لله تعالى في السراء والضراء وعلى كل حال والربعة السائحون وهم الصائمون كما في الحديث والذين يخرجون في سبيل الله لطلب علم أو غزو أو تعليم أو دعوة إلى الله تعالى ليُعْبد ويوحَّد ويُطاع في أمره ونهيه والخامسة السادسة الركعون الساجدون أي المقيمون الصلاة المكثرون من نوافلها كأنهم دائماً في ركوع وسجود والسابعة والثامنة الآمرون بالمعروف وهو الإيمان بالله وتوحيده وطاته وطاعة رسوله والناهون عن المنكر وهو

الكفر به تعالى والشرك في عبادته ومعصية رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والتاسعة الحافظون لحدود الله بالقيام عيلها وعملها بعد العلم بها وقوله تعالى : { وبشر المؤمنين } وهم اهل الإيمان الصادق الكامل المستحقون لبشرى الرسول صلى الله عليه وسلم بالنصر والتأييد في الدنيا والنجاة من النار ودخول الجنة يوم القيامة اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان فضل الله تعالى ومننه على عباده المؤمنين حيث وهبهم أرواحهم وأموالهم واشتراها منهم .

2- فضل الجهاد والاستشهاد في سبيل الله .

3- على المؤمن أن شعر نفسه أن بدنه وماله لله تعالى وأن عليه رعايتهما وحفظهما حتى ترفع راية الجهاد ويطالب إمام المسلمين بالنفس والمال فيقدم نفسه وماله إذ هما وديعة الله تعالى عنده .

4- على المؤمن أن يتعاهد نفسه ليرى هل هو متصف بهذه الصفات التسع أولاً فإن رأى نقصاً كمله وإن رأى كمالاً حمد الله تعالى عليه وحفظه وحافظ عليه .

(107/2)

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (114) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (115) إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (116)

شرح الكلمات :

{ أن يستغفروا للمشركين } : أي يسألون الله تعالى لهم المغفرة .

{ أولي قربى } : أصحاب قرابة كالأُبُوة والبُنوَّة الأُخوة .

{ موعدة } : أي وعدٌ وعده به .

{ تبرأ منه } : أي قال : إني بريء منك .

{ أواه حليم } : الأواه : كثير الدعاء والشكوى إلى الله تعالى والحليم الذي لا يغضب ولا يؤاخذ بالذنب .

{ ما يتقون } : أي ما يتقون الله تعالى فيه فلا يفعلوه أو لا يتركوه .

{ من ولي } : الولي من يتولى أمرك فيحفظك ويعينك .

{ معنى الآيات } :

لما مات أبو طالب على الشرك بعد أن عرض عليه الرسول كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فأبى أن يقولها وقال هو على ملة عبد الله مطلب قال له النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرنَّ لك ما لم أنْهَ عن ذلك ، واستغفر بعض المؤمنين أيضاً

لأقربائهم الذين ماتوا على الشرك ، أنزل الله تعالى قوله { ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم } إذ ماتوا على الشرك ومن مات على الشرك قضى الله تعالى بأنه في النار أي ما صح ولا انبغى للنبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا أن يستغفروا أي ما صح ولا انبغى استغفارهم . ولما قال بعضٌ إن ابراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك قال تعالى جواباً { وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه } وهي قوله : { سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً } لكنه عليه السلام لما تبين له أن أباه عدو لله أي مات على الشرك تبرأ منه ولم يستغفر له ، وقوله { إن إبراهيم لأواه حليم } تعليل لمواعدة إبراهيم أباه بالاستغفار له لأن إبراهيم كان كثر الدعاء والتضرع والتأسف والتحسر فلذا واعد أباه بالاستغفار له وقوله تعالى { وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون } هذه الآية نزلت رداً على تساؤلات الذين قالوا متندمين لقد كنا استغفرنا لأقربنا المشركين فخافوا فأخبرهم تعالى أنه ليس من شأنه تعالى أن يضل قوماً بعد إذ هداهم إلى الصراط المستقيم حتى يبين لهم ما يتقون وأنتم استغفرتم لأقربائكم قبل أن يبين لكم أنه حرام . ولكن إذا أرد الله أن يضل قوماً بين لهم ما يجب أن يتقوه فيه فإذا لم يتقوه أضلهم . وقوله تعالى { إن الله لكل شيء عليم } فلا يضل إلا من يستحق الضلال كما أنه يهدي من يستحق الهداية وذلك لعلمه بكل شيء وقوله تعالى { له ملك السموات والأرض } أي خلقاً وملكاً وتصرفاً فهو يضل من يشاء ويهدي من يشاء يحيي ويميت يحيي بالإيمان ويميت بالكفر ويحيى الأموات ويميت الأحياء لكامل قدرته وعظيم سلطانه وقوله { وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير } أي ليس لكم من يتولاكم إذا تخلى عنكم وليس لكم من ينصركم إذا خذلكم فلذا وجبت طاعته الاتكال عليه ، وحرم الالتفات الى غيره من سائر خلقه .

(108/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1– حرمة الاستغفار لمن مات على الشرك لأن الله لا يغفر أن يشرك به فلذا لا يطلب منه شيء اخبر أنه لا يفعله .

2– وجوب الوفاء بالوعود والعهود .

3– ليس من سنة الله تعالى في الناس أن يضل عباده قبل أن يبين لهم ما يجب عليهم عمله أو اتقاؤه .

4– ليس للعبد من دون الله من ولي يتولاه ولا نصير ينصره ولذا وجبت ولاية الله بطاعته واللجوء إليه بالتوكل عليه .

(109/2)

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (117) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ

عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)

شرح الكلمات :

{ المهاجرين } : الذين هجروا ديارهم من مكة وغيرها ولحقوا برسول الله بالمدينة .

{ الأنصار } : هم سكان المدينة من الأوس والخزرج آمنوا ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

{ ساعة العسرة } : هي أيام الخروج إلى تبوك لشدة الحر والجوع والعطش .

{ يزيغ قلوب } : أي تميل عن الحق لشدة الحال وصعوبة الموقف .

{ الثلاثة الذين خلفوا } : هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية .

{ بما رحبت } : أي على اتساعها ورحبتها .

{ أن لا ملجأ } : أي إذ لا مكان للُّجوء فيه والهرب إليه .

{ الصادقين } : في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم والصدق ضد الكذب .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في أحداث غزوة تبوك وفي هذه الآيات الثلاث إعلان عن شرف وكرامة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه البررة من الأنصار والمهاجرة إذ قال تعالى { لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار } أي أدامها (التوبة) وقبلها وقوله { الذين اتبعوه في ساعة العسرة } أي عند خروجه إلى تبوك في الحر الشديد والفاقة الشديدة وقوله { من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم } وذلك لصعوبة الحال وشدة الموقف لقد عطشوا يوماً كما قال عمر رضي الله عنه كان أحدنا يذبح بعيره ويعصر فرثه فيشرب ماءه ويضع بعضه على كبده فخطر ببعض القوم خواطر كادت القلوب تزيغ أي تميل عن الحق ولكن الله تعالى ثبتهم فلم يقولوا سوءاً ولم يعملوه لأجل هذا أعلن الله تعالى في هذه الآيات عن كرامتهم وعلو مقامهم ثم تاب عليهم إنَّهُ هوالتواب الرحيم وقوله { وعلى الثلاثة الذين خلفوا } وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ومعنى خلقوا أرجئوا في البت في توبتهم إذ تقدم قوله تعالى { وآخرون مرجون لأمر الله } فقد تخلفت توبتهم خمسين يوماً { حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه } فصبروا على شدة ألم النفس من جراء المقاطعة التي أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم انتظاراً لحكم الله لأنهم تخلفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ولم يكن لهم عذر ، فلذا لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم تقدم المخلفون فاعتذروا فقبل منهم رسول الله وتاب الله على المؤمنين منهم ولم يتقدم هؤلاء الثلاثة ليعتذروا خوفاً من الكذب فآثروا جانب الصدق فأذاقهم الله ألم المقاطعة ثم تاب عليهم وجعلهم مثلاً للصدق فدعا المؤمنين أن يكونوا معهم فقال { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } أي اتقوا الله باتباع اوامره واجتناب نواهيه وكونوا من الصادقين في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم تكونوا مع الصادقين في الآخرة مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وسائر النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

2- بيان فضل غزوة العسرة على غيرها من الغزوات « وهي غزوة تبوك » .

3- بيان فضل الله على المؤمنين بعصمة قلوبهم من الزيغ في حال الشدة .

4- بيان فضل كعب بن مالك وصاحبيه في صبرهم وصدقهم ولجوئهم إلى الله تعالى حتى فرج عليهم وتاب عليهم وكانوا مثالاً للصدق .

5- وجوب التقوى والصدق في النيات والأقوال والأحوال والأعمال .

(110/2)

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (121) وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122)

شرح الكلمات :

{ ومن حولهم من الأعراب } : وهم مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم .

{ ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه } : أي يطلبون لأنفسهم الراحة ولنفس رسول الله التعب والمشقة .

{ ظمأ } : اي عطش .

{ ولا نصب } : أي ولا تعب .

{ ولا مخمصة } : أي مجاعة شديدة .

{ يغيظ الكفار } : أي يصيبهم بغيظ في نفوسهم يحزنهم .

{ نيلا } : اي منالاً من أسر أو قتل أو هزيمة للعدو .

{ وادياً } : الوادي : سيل الماء بين جبلين أو مرتفعين .

{ طائفة } : أي جماعة معدودة .

{ ليتفقهوا في الدين } : أي ليعلموا أحكام وأسرار شرائعه .

{ ولينذروا قومهم } : أي ليخوفوهم عذاب النار بترك العمل بشرع الله .

{ لعلهم يحذرون } : أي عذاب الله تعالى بالعلم والعمل .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في آثار أحداث غزوة تبوك فقال تعالى { ما كان لأهل المدينة } أي سكانها من المهاجرين والأنصار { ومن حولهم من الأعراب } أي ومن النازلين حول المدينة من الأعراب كمزينة وجهينة وغفار واشجع وأسلم { أن يتخلفوا عن رسول الله } إذا خرج إلى جهاد ودعا بالنفير العام وفي هذا عتاب ولوم شديد لمن تخلفوا عن غزوة

تبوك وقوله { ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه } أي بأن يطلبوا لأنفسهم الراحة دون نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم { ذلك } أي النهي الدال عليه بصيغة ما كان لأهل المدينة وهي أبلغ من النهي بأداته (لا) لأنه نفي للشأن أي هذا مما لا ينبغي أن يكون أبداً . وقوله { بأنهم لا يصيبهم } بسبب أنهم لا يصيبهم { ظمأ } أي عطش { ولا نصب } أي تعب { ولا مخمصة } أي جوع شديد في سبيل الله أي في جهاد أهل الكفر لإعلاء كلمة الإسلام التي هى كلمة الله { ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار } أي ولا يطأون أرضاً من أرض العدو يغتاظ لها العدو الكافرون ويحزن { ولا ينالون من عدو } أي لله تعالى { نيلاً } أي منالاً أي أسرى أو قتلى أو غنيمة منه أو هزيمة له { إلا كتب لهم به عمل صالح } فلهذا لا ينبغي لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يفوتهم هذا الأجر العظيم . وقوله { إن اللهلا يضيع أجر المحسنين } تعليل لتقرير الأجر وإثباته لهم إن هُم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحسنوا الصحبة والعمل وقوله تعلاى { ولا ينفقون نفقة } أي في سبيل الله الذي هو هنا الجهاد { صغيرة ولا كبيرة } أي قليلة ولا كثيرة { ولا يقطعون وادياً } ذاهبين إلى في سبيل الله الذي هو هنا الجهاد { إلا كتب لهم } أي ذلك المذكور من النفقة والسير في سبيل الله ، وقوله تعالى { ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون } أي جزاء أحسن عمل كانوا يعملونه قبل خروجهم في سبيل الله ، وقوله تعالى { فلولا نفر من كل فرقة } أي قبيلة منهم طائفة أي جماعة { ليتفقهوا في الدين } بما يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعلمونه منه { ولينذروا قومهم } عواقب الشرك والشر والفساد { لعلهم يحذرون } ذلك فينجون من خزى الدنيا وعذاب الآخرة هذه الآية نزلت لما سمع المسلمون ورأوا نتائج التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن نتخلف بعد اليوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبداً ولا نتخلف عن غزو ما حيينا فأنزل الله تعالى هذه الآية يرشدهم إلى ما هو خير وأمثل فقال { فلولا } أي فهلا نفر من كل فرقة منهم أي قبيلة أو حيّ من أحيائهم طائفة فقط وتبقى طائفة منهم بدل أن يخرجوا كلهم ويتركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فإن خروجهم على هذا النظام أنفع لهم فالذين يبقون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرجون معه إذا خرج يتفقهون في الدين لصحبتهم لرسول الله صلى الله عليه سولم والباقون هم في مهام دينهم أيضاً ودنياهم فإذا رجع أولئك المتفقهون علموا إخوانهم ما فاتهم من العلم وأسرار الشرع كما أن الذين ينفرون إلى الجهاد قد يشاهدون من نصر الله لأوليائه وهزيمته لأعدائه ويشاهدون أيضاً ضعف الكفار وفساد قلوبهم وأخلاقهم وسوء حياتهم فيعودون إلى إخوانهم فينذرونهم ما عليه أهل الكفر والفساد فيحذرون منه ويتجنبونه وفي هذا خير للجميع وهو معنى قوله تعالى { ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون } .

(111/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- وجوب إيثار رسول الله صلى الله عليه وسلم على النفس بكل خير بل بالحياة كلها .

2- بيان فضل السير في سبيل الله ، وما فيه من الأجر العظيم .

3- فضل الإحسان وأهله .

4- تساوي فضل طلب العلم والجهاد على شرط النية الصالحة في الكل وطالب العلم لا ينال هذا الأجر إلا إذا كان يتعلم ليعلم فيعمل فيعلم مجاناً في سبيل الله والمجاهد لا ينال هذا الأجر إلا إذا كان لإعلاء كلمة الله خاصة .

5- حاجة الأمة إلى الجهاد والمجاهدين كحاجتها إلى العلم والعلماء سواء بسواء .

(112/2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (123)

شرح الكلمات :

{ آمنوا } : أي بالله ورسوله ووعد الله ووعيده .

{ الذين يلونكم } : أي يلون بلادكم وحدودها .

{ من الكفار } : من : بَيانِيَّة ، أي الكافرين .

{ وليجدوا فيكم غلظة } : أي قوة بأس وشدة مراس ليرهبوكم وينهزموا أمامكم .

{ مع المتقين } : أي بنصره وتأييده والمتقون هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والخروج عن السنن الإليهة في النصر والهزيمة .

معنى الآية الكريمة :

لما طهرت الجزيرة من الشرك واصبحت دار إسلام وهذا في أخريات حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بعد غزوة تبوك أمر الله تعالى المؤمنين بأن يواصلوا الجهاد في سبيله بعد وفاة نبيه وأرشدهم إلى الطريق التي يجب أن يتبعوها في ذلك وهي : أن يبدأوا بدعوة وقتال أقرب كافر منهم والمراد به الكافر المتاخم لحدودهم كالأردن أو الشام أو العراق مثلاً فيعسكروا على مقربة منهم ويدعونهم إلى خصلة من ثلاث : الدخول في دين الله الإسلام أو قبول حماية المسلمين لهم بدخولهم البلاد وضرب الجزية على القادرين منهم مقابل حمايتهم وتعليمهم وحكمهم بالعدل والرحمة الإسلامية أو القتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم فإذا ضمت أرض هذا العدوإلى بلادهم وأصبحت لهم حدود أخرى فعلوا كما فعلوا أولاً وهكذا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فتسعد البشرية في دنياها وآخرتها . وأمرهم أن يعلموا أن الله ما كلفهم بالجهاد إلا وهو معهم وناصرهم ولكن على شرط أن يتقوه في أمره ونهيه فهذا ما دلت عليه الآية الكريمة { يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة } أي قوة بأس وشدة مراس في الحرب { واعلموا أن الله مع المتقين } . أي بنصره وتأييده .

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

1- وجوب الجهاد واستمراريته إلى أن لا تبقى فتنة أو شرك أو اضطهاد لمؤمن ويكون الدين والحكم كلاهما لله تعالى .

2- مشروعية البداءة في الجهاد بأقرب الكفار إلى بلاد المسلمين من باب (الأقربون أولى بالمعروف) .

3- إذا اتسعت بلاد الإسلام تعين على أهل كل ناحية قتال من يليهم الأقرب فالأقرب .

4- وعد الله بالنصر والتأييد لأهل التقوى العامة والخاصة .

(113/2)

وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (125) أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (126) وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (127)

شرح الكلمات :

{ سورة } : أي قطعة من القرآن وسواء كانت آيات من سورة أو سورة بكاملها وحدها .

{ زداته إيماناً } : أي السورة قوَّت وزادت فيه لأنها كالغيث النافع .

{ يستبشرون } : فرحين بفضل الله تعالى عليهم .

{ في قلوبهم مرض } : أي شك ونفاق وشرك .

{ فزادتهم رجساً } : أي نجساً إلى نجس قلوبهم ونفوسهم .

{ يفتنون } : أي يمتحنون .

{ ولا هم يذكرون } : أي لا يتعظون لموات قلوبهم .

{ صرف الله قلوبهم } : دعاء عليهم بأن لا يجرعوا إلى الحق بعد انصرافهم عنه .

{ لا يفقهون } : أي لا يفهمون أسرار الخطاب لظلمة قلوبهم وخبث نفوسهم .

معنى الآيات :

هذا آخر حديث عن المنافقين في سورة براءة الفاضحة للمنافقين يقول تعالى { وإذا ما أنزلت سورة } أي من سور القرآن التي بلغت 114 سورة نزلت وتليت وهم غائبون عن المجلس الذي تليت فيه ، فمنهم أي من المنافقين من يقول : { أيكم زادته هذه إيماناً } وقولهم هذا تهكم منهم وازدراء قال تعالى { فأما الذين آمنوا } بحق وصدق { فزادتهم إيماناً } لأنها نزلت بأحكام أو أخبار لم تكن عندهم فآمنوا بها لما نزلت فزاد بذلك إيمانهم وكثر كما كان أن إيمانهم يقوى حتى يكون يقيناً بما يتنزل من الآيات وقوله { وهم يستبشرون } أي فرحون مسرورون بالخبر الذي نزل والقرآن كله خير كما هم أيضاً فرحون بإيمانهم وزيادة يقينهم { وأما الذين في قلوبهم مرض } أي شك ونفاق { فزادتهم رجساً } أي شكاً ونفاقاً { إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون } . وقوله تعالى { أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين } أي أيستمر هؤلاء المرضى بالنفاق على نفاقهم ولا يرون أنهم يفتنون أي من أجل نفاقهم مرة أو مرتين أي يختبرون بالتكاليف والفضائح وغيرها { ثم لا يتوبون } من نفاهم { ولا هم يذكرون } فيتعظون فيتوبون هذا ما دلت عليه الآيات الأولى (124) والثانية (125) والثالثة (126) أما الآية الرابعة (127) فقد تضمنت سوء حال هؤلاء

المنافقين وقبح سلوكهم فسجَّلَت عليهم وصمة عار وخزي إلى يوم القيامة إذ قال تعالى { وإذا ما أُنزلت سورة } أي وهم في المجلس وقرئت على الجالسين وهم من بينهم . { نظر بعضهم الى بعض } وقال في سرية ومُخافَتَه هيا نقوم من هذا المجلس الذي نعير فيه ونشتم { هل يراكم من أحد } أي من أصحاب محمد صلى عليه السلام فإن كان الجواب : لا يرانا أحد انصرفوا متسللين لواذاً قال تعالى في دعاء عليهم : { صرف الله قلوبهم } أي عن الهدى { بأنهم قوم لا يفقهون } أي لا يفقهون أسرار الآيات وما تهدي إليه ، فعلتهم سوء فهمهم وعلة سوء فهمهم ظلمة قلوبهم وعلة تلك الظلمة الشك والشرك والنفاق والعياذ بالله تعالى .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير مبدأ زيادة الإيمان ونقصانه زيادته بالطاعة ونقصانه بالعصيان .

2- جواز الفرح بالإيمان وصالح الأعمال .

3- مريض القلب يزداد مرضاً وصحيحه يزداد صحة سنة من سنن الله في العباد .

4- كشف أغوار المنافقين وفضيحتهم في آخر آية من سورة التوبة تتحدث عنهم .

5- يستحب أن لا يقال انصرفنا من الصلاة أو الدرس ولكن يقال انقضت الصلاة أو انقضى الدرس ونحو ذلك .

(114/2)

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129)

شرح الكلمات :

{ رسول من أنفسكم } : أي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم من جنسكم عربي .

{ عزيز عليه } : أي شاق صعب .

{ ما عنتم } : أي ما يشق عليكم ويصعب تحمله .

{ حريص عليكم } : أي حريص على هدايتكم وما فيه خيركم وسعادتكم .

{ رؤوف } : شفيق .

{ رحيم } : يرق ويعطف ويرحم .

{ فإن تولوا } : أي أعرضوا عن دين الله وما جئت به من الهدى .

{ حسبي الله } : أي كافيّ الله .

{ لا إله إلا هو } : أي لا معبود بحق إلا هو .

{ توكلت } : أي فوضت أمري إليه واعتمدت عليه .

{ رب العرش العظيم } : عرش الله تعالى لا أعظم منه إلا خالقه عز وجل إذ كرسيه تعالى وسع السموات والأرض ونسبة

الكرسي إلى العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة .

معنى الآيتين الكريمتين :

في ختام سورة التوبة يقول الله تعالى لكافة العرب : { لقد جاءكم رسول } أي كريم عظيم { من أنفسكم } عدناني قرشي هاشمي مُطَّلِبي تعرفون نسبه وصدقه وأمانته . { عزيز عليه ما عنتم } أي يشق عليه يشق عليكم ويؤلمه ما يؤلمكم لأنه منكم ينصح لكم نصح القوميّ لقومه . { حريص عليكم } أي على هدايتكم واكمالكم واسعادكم . { بالمؤمنين } منكم ومن غيركم من سائر الناس { رؤوف رحيم } أي شفوق عطوف يحب رحمتهم وإيصال الخير لهم . إذاً فآمنوا به واتبعوا النور الذي جاء به تهتدوا وتسعدوا ولا تكفروا فتضلوا وتشقوا . وقوله تعالى { فإن تولوا } أي أعرضوا عن دعوتك فلا تأْسَ وقل حسبي الله أي يكفيني ربي كل ما يهمني { لا إله إلا هو } أي لا معبود بحق سواه لذا فإني أبعده وأدعو إلى عبادته ، { عليه توكلت } أي في شأني كله { وهو رب العرش العظيم } ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو على كل شيء قدير .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- بيان مِنَّةَ الله تعالى على العرب خاصة وعلى البشرية عامة ببعثه خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم .

2- بيان كمال أخلاقه صلى الله عليه وسلم .

3- وجوب التوكل عللله تعالى والاعتماد عليه في كل شيء يقوم به العبد .

4- عظمة عرش الرحمن عز وجل .

(115/2)

- سورة يونس -

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (1) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (2)

شرح الكلمات :

{ آلر } : هذه السورة الرابعة من السور المفتتحة بالحروف المقطعة تكتب آلر وتقرأ أَلفْ لام . را .

{ الكتاب } : أي القرآن العظيم .

{ الحكيم } : القائل بالحكمة والقرآن مشتمل على الحِكَم فهو حكيم ومحكم أيضاً . { عجباً } : العجب ما يتعجب منه .

{ رجل منهم } : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

{ قدم صدق } : أي أجراً حسناً بما قدموا في حياتهم من الإيمان وصالح الأعمال .

{ إن هذا } : أي القرآن .

{ لسحر مبين } : أي بين ظاهر لا خفاء فيه في كذبهم وادعائهم الباطل .

معنى الآيتين :

مما تعالجة السور المكية قضايا التوحيد والوحي والبعث الآخر وسورة يونس افتتحت بقضية الوحي أي إثباته وتقريره من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى { آلر تلك آيات الكتاب الحكيم } اي هذه آيات القرآن الكريم المحكم آياته المشتمل على الحكم الكثيرة حتى لكأنه الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه وقوله تعالى { أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم } أي أكان ايحاؤنا إلى محمد عبدنا ورسولنا وهو رجل من قريش عجباً لأهل مكة يتعجبون منه؟ والموحى به هو : { أن أنذر الناس } ، أي خوفهم عاقبة الشرك والكفر والعصيان { وبشر الذين آمنوا } أي بأن لهم قدم صدق عند ربهم وهو الجزاء الحسن لما قدموا من الإيمان وصالح الأعمال يتلقونه يوم يلقون ربهم في الدار الآخرة فلما أنذر وبشر صلى الله عليه وسلم قال الكفرون هذا سحر مبين ومرة قالوا : ساحر مبين وقولهم هذا لمجرد دفع الحق وعدم قبوله لا أن ما أنذر به وبشر هو سحر ، ولا المنذر المبشر هو ساحر وإنما هو المجاحدة والعناد والمكابرة من أهل الشرك والكفر والباطل والشر والفساد .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير عقيدة الوحي بشهادة الكتاب الموحى به .

2- إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتقريرها بالوحي إليه .

3- بيان مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي النذارة والبشارة .

4- بشرى أهل الإيمان والعمل الصالح بما أعد لهم عند ربهم .

5- عدم تورع أهل الكفر عن الكذب والتضليل .

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (3) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (4) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (5) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (6)

شرح الكلمات :

{ إن ربكم الله } : أي معبودكم الحق الذي يجب أن تعبدوه وحده هو الله .

{ خلق السموات والأرض } : أي أوجدها من العدم حيث كانت عدماً فأصبحت عوالم .

{ في ستة أيام } : هي الأحد والأثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة .

{ ثم استوى على العرش } : أي استوى استواء يليق به عز وجل فلا يقال كيف؟

{ ما من شفيع إلا من بعد إذنه } : أي لا يشفع أحد يوم القيامة إلا من بعد أن يأذن له .

{ أفلا تذكرون } : أي أتستمرون في جحودكم وعنادكم فلا تذكرون .

{ ثم يعيده } : أي بعد بعد الفناء والبلى وذلك يوم القيامة .

{ شراب من حميم } : أي من ماء أُحمي عليه وغلى حتى أصبح حميماً يشوي الوجوه .

{ جعل الشمس ضياء } : أي جعلها تضيء على الأرض .

{ والقمر نوراً } : أي جعل القمر بنور الأرض وهو الذي خلق ضوء الشمس ونور القمر .

{ وقدره منازل } : أي قدر القمر منازل والشمس كذلك .

{ لتعلموا } : أي قدرها منازل ليعلم الناس عدد السنين والحساب .

{ يتقون } : أي مساخط الله وعذابه وذلك بطاعته وطاعة رسوله .

معنى الآيات :

هذه الآيات في تقرير الألوهية بعد تقرير الوحي واثباته في الآيتين السابقتين فقوله تعالى { إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر } إخبار منه تعالى أنه عزوجل هو رب اي معبود أولئك المشركين به ألهة أصناماً . يعبدونها معه وهي لم تخلق شيئاً أما الله فإنه الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام بمقدار أيامنا هذه إذ لم تكن يومئذ أياماً كأيام الدنيا هذه ، ثم استوى على عرشه استواء يليق بجلاله وكماله يدبر أمر السماء والأرض . هذا هو الإله الحق الذي يجب أن يعبد ويتقرب إليه . وقوله : { ما من شفيع إلا من بعد إذنه } أي وأنه لعظمته وعزة سلطانه لا يقدر أحد أن يشفع لآخر إلا بعد إذنه له فكيف إذاً تعبد هذه الأصنام . رجاء شفاعتها لعابديها ، والله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه؟ وقوله تعالى { ذلكم الله ربكم فاعبدوه } أي هذا الموصوف بهذه الصفات المُعرَّف بهذه النعوت من الجلال والكمال هو ربكم الحق فاعبدوه بما شرع لكم من أنواع العبادات تكملوا وتسعدوا

وقوله { أفلا تذكرون } هو توبيخ للمشركين لهم لِمَ لا تتعظون بعد سماع الحق . وقوله تعالى { إليه مرجعكم بعد موتكم جميعاً وعد الله حقاً } تقرر لمبدأ البعث الآخر أي الله تعالى ربكم الحق مُرجعكم بعد موتكم جميعاً إذ وعدكم وعد الحق بالرجوع إليه والوقوف بين يديه وقوله { ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط } أي بالعدل : بيان لعلة الحياة بعد الموت إذ هذه الدار دار عمل والآخرة دار جزاء على هذا العمل فلذا كان البعث واجباً حتماً لا بد منه ولا معنى لإنكاره لأن القادر على البدء قادر على الإعادة من باب أولى وأحرى وقوله تعالى { والذين كفروا لهم شراب من حميم } أي ماء حار قد بلغ المنتهى في حرارته وعذاب أليم أي موجع اخبار منه تعالى بجزاء أهل الكفر يوم القيامة وهو علة أيضاً للحياة بعد الموت والبعث بعد الفناء وبهذا تقرر مبدأ البعث كما تقرر قبله مبدأ التوحيد ومن قبل مبدأ الوحي إذ على هذه القضايا تدور السور المكية وقوله تعالى { هو الذي جعل الشمس ضياء } أي ذات ضياء والقمر نوراً ذا نور وقدر القمر منازل وهي ثمانية وعشرون منزلة يتنقل فيها القمر ، فعل ذلك { لتعلموا عدد السنين والحساب } فتعرفون عدد السنوات والشهور والأيام والساعات إذ حياتكم تحتاج إلى ذلك فهذا الرب القادر على هذا الخلق والتدبير هو المعبود الحق الذي يجب أن تعبدوه ولا تعبدوا سواه فهذا تقرير للتوحيد وتأكيد له .

وقوله { ما خلق الله ذلك إلا بالحق } أي لم يخلق هذه الحياة الدنيا وهذه العوالم فيها عبثاً فتفنى وتبلى بعد حين ولا شيء وراء ذلك بل ما خلق ذلك إلا بالحق أي من أجلى أن يأمر وينهى ثم يجزي المطيع بطاعته والعاصي بعصيانه وفي هذا تأكيد لقضية البعث والجزاء أيضاً وقوله { يفصل الآيات } أي هذا التفصيل المشاهد في هذا السياق { لقوم يعلمون } إذ هم الذين ينتفعون به أما الجهلة فلا ينتفعون بهذا التفصيل والبيان وقوله تعالى في الآية الأخيرة { غن في اختلاف الليل والنهار } أي بالطول والقصر والضياء والظلام { وما خلق الله في السموات والأرض } من أفلاك وكواكب ورياح وأمطار وما خلق في الأرض من إنسان وحيوان وبر وبحر وأنهار واشجار وجبال وَوِهاد { لآيات } أي علامات واضحة دالة على الخالق المعبود بحق وعلى جلاله وجماله وكماله وعظيم قدرته وقوة سلطانه فيُعبد لذلك بحبه غاية الحب وبتعظيمه غاية التعظيم وبرهبته الخشية منه غاية الرهبة والخشية ويذكر فلا يُنسى ويشكر فلا يُكفر ويطاع فلا يُعصى وقوله تعالى { لقوم يتقون } خص أهل التقوى بالآيات فيما ذكر من مظاهر خلقه وقدرته لأنهم هم الذين حقاً يبصرون ذلك ويشاهدونه لصفاء أرواحهم وطهارة قلوبهم ونفوسهم أما أهل الشرك والمعاصي فهم في ظلمة لا يشاهدون معها شيئاً والعياذ بالله .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير ألوهية الله تعالى وأنه الإله الحق .

2- تقرير عقيدة البعث والجزاء في الدار الآخرة .

3- بيان الحكمة في خلق الشمس والقمر وتقدير منازلهما .

4- مشروعية تعلم الحساب وعلم الفلك لما هو نافع للمسلمين .

5- فضل العلم التقوى وأهلهما من المؤمنين .

(118/2)

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (7) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (8) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (9) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (10)

شرح الكلمات :

{ لا يرجون لقاءنا } : أي لا ينتظرون ولا يؤملون في لقاء الله تعالى يوم القيامة .

{ ورضوا بالحياة الدنيا } : أي بدلاً عن الآخرة فلم يفكروا في الدار الآخرة .

{ واطمأنوا بها } : أي سكنوا إليها وركنوافلم يروا غيرها حياة يُعمل لها .

{ غافلون } : لا ينظرون إليها ولا يفكرون فيها .

{ مأواهم النار } : أي النار هي المأوى الذي يأوون إليه وليس لهم سواها .

{ يهديهم ربهم بإيمانهم } : أي بأن يجعل لهم بإيمانهم نوراً يهتدون به إلى الجنة .

{ دعواهم فيها سبحانك اللهم } : أي يطلبون ما شاءوا بكلمة سبحانك اللهم .

{ وآخر دعواهم أن الحمد لله } : أي آخر دعائهم : الحمد لله رب العالمين .

معنى الآيات :

بعد تقرير الوحي والأُلوهية في الآيات السابقة ذكر تعالى في هذه الآيات الثلاث الكريمة بيان جزاء كل ممن كذب بلقاء الله فلم يرجُ ثواباً ولم يخشَ عقاباً ورضيَ بالحياة الدنيا واطمأن بها ، وممن آمن بالله ولقائه ووعده ووعيده فآمن بذلك وعمل صالحاً فقال تعالى { إن الذين لا يرجون لقائنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها } أي سكنت نفوسهم إليها وركنوا فعلاً إليها رولاذين هم عن آياتنا غافلون } أي آياته الكونية في الآفاق والقرآنية وهي حُجج الله تعالى وأدلته الدالة على وجوده وتوحيده ووحيه وشرعه غافلون عنها لا ينظرون فيها ولا يفكرون فيما تدل لإنهماكهم في الدنيا حيث أقبلوا عليها وأعطوها قلوبهم ووجوهم وكل جوارحهم . هؤلاء يقول تعالى في جزائهم { أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون } أي من الظلم والشر والفساد . ويقول تعالى في جزاء من آمن بلقائه ورجا ما عنده { إن الذين آمنوا عملوا الصالحات يهيدهم ربهم } أي إلى طريق الجنة { بإيمانهم } أي بنور إيمانهم فيدخلونها { تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم } . ونعيم الجنة روحاني وجسماني فالجسماني يحصلون عليه بقولهم : سبحانك اللهم ، فإذا قال أحدهم هذه الجملة « سبحانك اللهم » حضر لديه كل مُشتهى له . والروحاني يحصلون عليه بسلام الله تعالى عليهم وملائكته { وتحيتهم فيها سلام } . وإذا فرغوا من المآكل والمشارب قالوا : الحمد لله رب العالمين : وهذا معنى قوله { دعواهم فيها سبحانك اللهم } أي دعاؤهم أي صيغة طلبهم { وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم } أي دعائهم { أن } أي أنه :

{ الحمد لله رب العالمين } .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- التحذير من نسيان الآخرة والإقبال على الدنيا والجري وراء زخارفها .

2- التحذير من الغفلة بعدم التفكر بالآيات الكونية والقرآنية إذ هذا التفكير هو سبيل الهداية والنجاة من الغواية .

3- الإيمان والعمل الصالح مفتاح الجنة والطريق الهادي إليها .

4- نعيم الجنة روحاني وجسماني وهو حاصل ثلاث كلمات هي :

سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام . وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

(119/2)

وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (11) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (12) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (13) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (14)

شرح الكلمات :

{ الشر } : كل ما فيه ضرر في العقل أو الجسم أو المال والولد ، الخير عكسه : ما فيه نفع يعود على الجسم أو المال أو الولد .

{ لقضي إليهم أجلهم } : لهلكوا وماتوا .

{ فنذر } : أي نترك .

{ في طغيانهم يعمهون } : أي في ظلمهم وكفرهم يترددون لا يخرجون منه كالعميان .

{ الضر } : المرض وكل ما يضر في جسمه ، أو ماله أو ولده .

{ مر كأن لم يدعنا } : مضى في كفره وباطله كأن لم يكن ذاك الذي دعا بكشف ضره .

{ كذلك زين } : مثل ذلك النسيان بسرعة لما كان يدعو لكشفه ، زين للمسرفين إسرافهم في الظلم والشر .

{ القرون } : أي أهل القرون .

{ بالبينات } : بالحجج والآيات على صدقهم في دعوتهم .

{ خلائف } : أي لهم ، تخلفونهم بعد هلاكهم .

معنى الآيات :

هذه الفترة التي كانت تنزل فيها هذه السورة المكية كان المشركون في مكة في هيجان واضطراب كبيرين حتى إنهم يطالبون بنزول العذاب عليهم إذ ذكر تعالى ذلك عنهم في غير آية من كتابه منها { سأل سائل بعذاب واقع } ومنها {

ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب } وفي هذا الشأن نزل قوله تعالى { ولو يعجِّل الله للناس الشر } أي عند سؤالهم إياه ، أو فعلهم ما يقتضيه كاستعجاله الخير لهم { لقضي إليهم أجلهم } أي لهلكوا الهلاك العام وانتهى أجلهم في هذه الحياة ، وقوله تعالى { فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون } أي لم نعجل لهم العذاب فنذر الذين لا يرجون لقاءنا أي لا يؤمنون بلقائنا وما عندنا من نعيم وجحيم نتركهم في طغيانهم في الكفر والظلم والشر والفساد يعمهون حيارى يترددون لا يعرفون مُتجهاً ولا مخرجاً لما هم فيه من الضلال والعمى .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (11) أما الآية الثانية (12) فقد تضمنت بيان حقيقة وهي أن الإنسان الذي يعيش في ظلمة الكفر ولم يستنر بنور الإيمان إذا مسه الضر وهو المرض والفقر وكل ما يضر دعا ربه على الفور لجنبه أو قاعداً أو قائماً يا رباه يا رباه فإذا استجاب الله له وكشف ما به من ضر مرَّ كأن لم يكن مرض ولا دعا واستجيب له واستمر في كفره وظلمه وغيِّه . وقوله تعالى { كذلك زُين للمسرفين ما كانوا يعملون } أي كما أن الإنسان الكافر سرعان ما ينسى ربه الذي دعاه ففرج ما به كذلك حال المسرفين في الظلم والشر فإنهم يرون ما هم عليه هو العدل والخير ولذا يستمرون في ظلمهم وشرهم وفسادهم . هذا ما دل عليه قوله تعالى { كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون } .

وقوله تعالى في الآية الثالثة { ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا } هذا خطاب لأهل مكة يخبرهم تعالى مهدداً إياهم بإمضاء سنته فيهم بأنه أهلك أهل القرون من قبلهم لَمَّا ظلموا أي أشركوا وجاءتهم رسلهم بالبينات أي بالآيات والحجج ، وأبوْا أن يؤمنوا لِما ألفوا من الشرك والمعاصي فأهلكهم كعاد وثمود وأصحاب مدين وقوله تعالى { كذلك نجزي القوم المجرمين } أي مثل ذلك الجزاء بالإهلاك العام نجزي القوم المجرمين في كل زمان ومكان إن لم يؤمنوا ويستقيموا .

(120/2)

وقوله تعالى { ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون } أي يقول لمشركي العرب من أهل مكة وغيرها ، ثم جعلناكم خلائف في الأرض بعد إهلاك من قبلكم لننظر كيف تعملون فإن كان عملكم خيراً جزيناكم به وإن كان سوءاً جزيناكم به وتلك سنتنا في عبادنا وما الله بغافل عما يعمل الظالمون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- مظاهر رحمة الله بعباده إذ لو عجل لهم ما يطلبون من العذاب كما يعجل لهم الخير عندما يطلبونه لأهلكم وقضى إليهم أجلهم فماتوا .

2- يعصي الله العصاةُ ويكفر به الكافرون ويتركهم في باطلهم وشرهم فلا يعجل لهم العذاب لعلهم يرجعون .

3- بيان أن الإنسان الكافر يعرف الله عند الشدة ويدعوه ويضرع إليه فإذا نجاه عاد إلى الكفر به كأن لم يكن يعرفه .

4- استمرار المشركين على إسرافهم في الكفر والشر والفساد مُزين لهم حسب سنة الله تعالى فمثلهم مثل الكافر يدعو عند الشدة وينسى عند الفرج .

5- وعيد الله لأهل الإجرام بالعذاب العاجل أو الآجل إن لم يتوبوا .

6- كل الناس أفراداً وأمماً مُمهَلُون مُراقَبُون في أعمالهم وسلوكهم ومَجزيون بأعمالهم خيرها وشرها لا محالة .

(121/2)

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (16) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (17) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (18)

شرح الكلمات :

{ لا يرجون لقاءنا } : أي لا يؤمنون بالبعث والدار الآخرة .

{ من تلقاء نفسي } : أي من جهة نفسي .

{ ولا أدراكم به } : أي لا أعلمكم به .

{ عمراً من قبله } : أي أربعين سنة قبل أن يوحى إليّ .

{ المجرمون } : المفسدون لأنفسهم بالشرك والمعاصي .

{ ما لا يضرهم } : أي إن لم يعبدوه .

{ وما لا ينفعهم } : أي إن عبده .

{ أتنبئون } : أتعلِّمون وتخبرون الله .

{ سبحانه } : أي تنزيها له .

{ عما يشركون } : أي به معه من الأصنام .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير قضايا أصول الدين الثلاث : التوحيد والوحي والبعث فقوله تعالى { وإذا تتلى عليهم آياتنا } أي إذا قرئت عليهم آيات الله عز وجل { قال الذين لا يرجون لقاءنا } وهم المنكرون للبعث إذ به يتم اللقاء مع الله تعالى للحساب والجزاء . { إئت بقرآن غير هذا } أي بأن يكون خالياً من عيب آلهتنا وانتقاصها . أوأبقه ولكن بدل كلماته بما يسونا فاجعل مكان آية فيها ما يسوءنا آية أخرى لا إساءة فيها لنا وقولهم هذا إما أن يكون من باب التحدي أو الاستهزاء والسخرية ولكن الله تعالى علَّم رسوله طريقة الرد عليهم بناء على ظاهر قولهم فقال له { قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي } أي إنه لا يتأتَّى لي بحال أن أبدله من جهة نفسي لأني عبد الله ورسوله ما اتبع إلا ما يوحى إلي { إني أخاف إن عصيت ربي } بتبديل كلامه { عذاب يوم عظيم } أي عذاب يوم القيامة وقوله { قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به } أي قل لهم رداً على طلبهم : لو شاء الله أن لا أتلوه عليكم ما تلوته عليكم ، ولا أدراكم هو به

أي ولا أعلَمكم فالأمر أمره وأنا لا أعصيه ويدل لكم على صحة ما أقول : إني لبثت فيكم عمراً أي أربعين سنة قبل أن آتيكم به { أفلا تعقلون } : معنى ما أقول لكم من الكلام وما أذكر لكم من الحجج؟ .

هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى والثانية (15 - 16) أما الآية الثالثة فقد تضمنت التنديد بالمجرمين الذين يكْذِبون على الله تعالى بنسبة الشريك إليه ويكذِّبون بآياته ويجحدونها فقال تعالى { فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً } أي لا أحد أظلم منه { أو كذب بآياته } بعدما جاءته أي لا أحد أظلم من الأثنين ، وقوله تعالى { إنه لا يفلح المجرمون } دل أولاً على أن المذكورين مجرمون وأنهم لا يفلحون شأنهم شأن كل المجرمين . وإذا لم يفلحوا فقد خاقوا وخسروا . وقول تعالى في الآية الرابعة { ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم } أي من الأصنام { ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله } وهم في ذلك كاذبون مفترون فلذا أمر الله أن يرد عليهم بقوله { قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض } إذ لو كان هناك من يشفع عنده علِمَهُم وأخبر عنهم فلم الكذب على الله والافتراء عليه ثم نزه الله تعالى نفسه عن الشرك به والشركاء له فقال { سبحانه وتعالى عما يشركون } .

(122/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- من الدعوة إلى الله تعالى تلاوة آياته القرآنية على الناس تذكيراً وتعليماً .

2- بيان ما كان عليه المشركون من تعنت وجحود ومكابرة .

3- كون النبي صلى الله عليه وسلم عاش أربعين سنة لم يعرف فيها علماً ولا معرفة ثم برز في شيء من العلوم والمعارف فتفوق وفاق كل أحد دليل على أنه نبي يوحى إليه قطعاً .

4- لا أحد أظلم من أحد رجلين رجل يكْذب على الله تعالى وآخر يكذِّب الله تعالى .

5- إبطال دعوى المشركين أن آلهتهم تشفع لهم عند الله يوم القيامة .

6- بيان سبب عبادة المشركين لآلهتهم وهو رجاؤهم شفاعتها لهم .

(123/2)

وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (19) وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (20)

شرح الكلمات :

{ أمة واحدة } : أي على دين واحد هو الإسلام .

{ فاختلفوا } : أي تفرقوا بأن بُقى بعض على التوحيد وبعض على الشرك .

{ كلمة سبقت } : بإبقائهم إلى آجالهم ومجازاتهم يوم القيامة .

{ آية } : خارقة كناقة صالح عليه السلام .

{ إنما الغيب لله } : اي إن علم الآية متى تأتي من الغيب والغيب لله وحده فلا أنا ولا أنتم تعلمون إذاً فانتظروا إنا معكم من المنتظرين .

معنى الآيتين :

يخبر تعالى رسوله بحقيقة علمية تاريخية من شأن العلم بها المساعدة على الصبر والتحمل فيقول { وما كان الناس إلا أمة واحدة } أي في زمن سابق أمة واحدة على دين التوحيد دين الفطرة ثم حدث أن أحدثت لهم شياطين الجن والإنس البدع والأهواء والشرك فاختلفوا من ثبت على الإيمان والتوحيد ومنهم من كفر بالشرك والضلال . وقوله تعالى { ولولا كلمة سبقت من ربك } وهي أنه لا يعجل العذاب للأمم والأفراد بكفرهم وإنما يؤخرهم إلى آجالهم ليجزيهم في دار الجزاء بعذاب النار يوم القيامة لولا كلمته والتي هي { لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين } لعجل لهم العذاب فحكم بينهم بأن أهلك الكافر وأنجى المؤمن .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (19) أما الآية الثانية (20) فيخبر تعالى من المشركين أنهم قالوا { لولا أنزل عليه آية من ربه } أي هلاَّ أُنزل على محمد آية خارقة من ربه لنعلم ونستدل بها على أنه رسول الله وقد يريدون بالآية عذاباً فلذا أمر الله رسوله أن يرد عليهم بقوله { إنما الغيب لله } فهو وحده يعلم متى يأتيكم العذاب وعليه { فانتظروا إني معكم من المنتظرين } ولم تطل مدة الانتظار ونزل بهم العذاب ببدر فهلك رؤساؤهم وأكابر المستهزئين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- الأصل هو التوحيد والشرك طارىء .

2- الشر والشرك هما اللذان يحدثان الخلاف في الأمة والتفرق فيها أما التوحيد والخير فلا يترتب عليهما خلاف ولا حرب ولا فرقة .

3- بيان علة بقاء أهل الظلم والشرك يظلمون ويفسدون إلى آجالهم .

4- الغيب كله لله فلا أحد يعلم الغيب إلا الله ومن علَّمه الله شيئاً منه وهذا خاص بالرسل لإقامة الحجة على أممهم .

(124/2)

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (21) هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (23)

شرح الكلمات :

{ رحمة } : أي مطر بعد قحط أو صحة بعد مرض أو غنى بعد فاقة .

{ ضراء } : حالة من الضر بالمرض والجدب والفقر .

{ مكر في آياتنا } : أي استهزاء بها وتكذيب .

{ إن رسلنا } : أي الحفظة من الملائكة .

{ يسيركم } : أي يجعلكم تسيرون بما حولكم من مراكب وما يسر لكم من أسباب .

{ بريح طيبة } : أي مناسبة لسير السفن موافقة لغرضهم .

{ ريح عاصف } : أي شديدة تعصف بالشجر فتقتلعه والبناء فتهدمه .

{ وأحيط بهم } : أي أحدق بهم الهلاك من كل جهة .

{ يبغون بغير الحق } : أي يظلمون مجانبين للحق والاعتدال .

معنى الآيات :

ما مزال السياق في دعوة أهل مكة إلى توحيد الله والإيمان برسوله والدار الآخرة فيقول تعالى { وإذا أذقنا الناس } أي كفار مكة { رحمة من بعد ضراء مستهم } أي أذقناهم طعم الرحمةالتي هي المطر الجفاف والغنى بعد الفاقة والصحة بعد المرض وهي الضراء التي مستهم فترة منالزمن . يفاجئونك بالمكر بآيات الله وهو استهزاؤهم بها والتكذيب بها وبمن أُنزلت عليه . وقوله تعالى { قل الله أسرع مكراً } أي قل يا رسولنا لهؤلاء الماكرين من المشركين الله عز وجل أسرع مكراً منكم فسوف يريكم عاقبة مكره بكم وهي إذلالكم وخزيكم في الدنيا وعذابكم في الآخرة إن متم على كفركم وقوله { إن رسلنا يكتبون ما تمكرون } تقرير لما أعلمهم به ومن مكر الله تعالى بهم إذ كتابة الملائكة ما يمكرون دليل على تبييت الله تعالى لهم المكروه الذي يريد أن يجازيهم به على مكرهم .

هذا ما تضمنته الآية الأولى (21) أما الآية الثانية (22) فهي تُري المشركين ضعفهم وعجزهم وحاجتهم إلى الله تعالى ، ومن كان كذلك فكيف يستهزىء بربه ويسخر من آياته ويكذب رسوله إن أمرهم لعجب فيقول تعالى هو أي الله الذي تمكرون بآياته الذي يسيركم في البر بِما خلق لكم من الظهر الإبل والخيل والحمير ، وفي البحر بما سخر لكم من الفلك تجري في البحر بأمره . حتى إذا كنتم في البحر وجرين أي السفن بهم أي بالمشركين بريح طيبة مناسبة لسير السفن وفرحوا بها على عادة ركاب البحر يفرحون بالريح المناسبة لسلامتهم من المَيَدَان والقلق والاضطراب . جاءتها أي السفن ريح عاصفة أي شديدة الهبوب تضطرب لها السفن ويخاف ركابها الغرق ، وجاءهم أي الكفار الراكبين عليها الموج من كل مكان من جهات البحر والموج هو ارتفاع ماء البحر وتموجه كزوابع الغُبور في البر . وظنوا أي أيقنوا أو كادوا أنهم أحيط بهم أي هلكوا { دعوا الله مخلصين . له الدين } أي الدعاء يا رب يا رب نجنا ويَعِدُونَه قائلين { لئن انجيتنا من هذه } أي الهلكة { لنكونن من الشاكرين } لك أي المطيعين المعترفين بنعمتك علينا الموحدين لك بترك الآلهة لعبادتك وحدك لا شريك لك .

فلما أنجاهم من تلك الشدة يفاجئونك ببغيهم في الأرض بغير الحق شركاً وكفراً وظلماً وفساداً فعادوا لما كانوا وإنهم لكاذبون وقوله تعالى { يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا } يخبرهم تعالى بقوله يا أيها الناس الباغون في الأرض بغير الحق في أي زمان كنتم وفي أي مكان وجدتم إنما بغيكم أي عوائده عائدة على أنفسكم إذ هي التي تتأثم وتخبث في الدنيا وتفسد وتصبح أهلاً لعذاب الله يوم القيامة وقوله { متاع الحياة الدنيا } أي ذلك متاع الحياة الدنيا شقاء كان أو سعادة { ثم إلينا مرجعكم } أي لا إلى غيرنا وذلك بعد الموت يوم القيامة { فنبئكم بما كنتم تعملون } من خير وشر ونجزيكم به الجزاء العادل في دار الجزاء .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- من مكر مكر الله به والله أسرع مكراً وأكبر أثراً وضرراً .

2- بيان ضعف الإنسان وفقره إلى الله وحاجته إليه عز وجل في حفظ حياته وبقائه إلى أجله .

3- إخلاص العبد الدعاء في حال الشدة آية أن التوحيد أصل والشرك طارىء .

4- المشركون الأولون أحسن حالاً من جلهة هذه الأمة إذ يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة أما جهال المسلمين اليوم فشركهم دائم في الرخاء والشدة على السواء .

5- بَغْيُ الإنسان عائد على نفسه كمكره ونكثه وفي الحديث { ثلاث على أصحابها رواجع : البغي والمكر والنكث) .

6- تقرير مبدأ البعث والجزاء يوم القيامة .

(126/2)

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (25)

شرح الكلمات :

{ مثل الحياة الدنيا } : أي صفتها المنطبقة عليها المُتَّفِقة معها .

{ ماء } : أي مطر .

{ فاختلط به } : أي بسببه نبات الأرض أي اشتبك بعضه بعض .

{ مما يأكل الناس } : كالبر وسائر الحبوب والفواكه والخضر .

{ والأنعام } : أي من الكلأ والعشب عادة وإلا قد يعلف الحيوان الشعير .

{ زخرفها } : أي نضرتها وبهجتها .

{ وازينت } : أي تجملت بالزهور .

{ وظن أهلها أنهم قادرون عليها } : أي متمكنون من تحصيل حاصلاتها الزراعية .

{ أتاها أمرنا } : أي قضاؤنا بإهلاكها وتدميرها عقوبة لأصحابها .

{ حصيداً } : أي كأنها محصودة بالمنجل ليس فيها شيء قائم .

{ كأن لم تغن بالأمس } : أي كأن لم تكن موجودة غانية بالأمس .

{ نفصل الآيات } : أي نبينها .

{ والله يدعو إلى دار السلام } : دار السلام : الجنة والله يدعو إليها عباده ليأخذوا بالأهبة لدخولها وهي الإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي .

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم يعرض الهدايات الإلهية على الناس لعلهم يهتدون ففي هذه الآية يضرب تعالى مثلا للحاية الدنيا التي يتكالب الغافلون عليها ويبيعون آخرتهم بها فيكذبون ويظلمون من أجلها إنما مثلها في نضارتها الغارة بها وجمالها الخادعة به كمثل ماء نزل من السماء فاختلط بالماء نبات الأرض فسقى به ونما وازدهر وأورَق وأثمر وفرح به أهله وغلب على ظنهم أنهم منتفعون به فائزون به وإذا بقضاء الله فيه تأتيه فجأه في ساعة من ليل أونهار فإذا هو حصيد ليس فيه ما قائم على ساق ، هشيم تذروه الرياح كأن لم يغْن بالأمس أي كأن لم يكن موجوداً أمس قائماً يعمُر مكانه أتاه أمر الله لأن أهله ظلموا فعاقبهم بجائحة أفسدت عليهم زرعهم فأمسوا يائسين حزينين . هذه الصورة المثالية للحياة الدنيا فهلا يتنبه الغافلون أمثالي!! أو هلا يستيقظ النائمون من حالهم كحالي؟؟ .

وقوله تعالى في الآية الثانية (25) { والله يدعو إلى دار السلام } أي بترك الشرك والمعاصي والإقبال على الطاعات والصالحات ودار السلام الجنة إذ هي الخالية من الكدر والتنغيص فلا مرض ولا هرم ، ولا موت ولا حزن . ودعاة الضلالة يدعون إلى الدنيا والتي صورتها ومآلها ، أنها دار الكدر والتنغيص . والهم والحزن فأي الدعوتين تجاب؟ { ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم } فلتطلب هدايته بصدق فإنه لا يهدي إلا هو والصراط المستقيم هو الإسلام طريق الجنة وسُلَّم الوصول إليها رزقنا الله تعالى السير فيه والثبات عليه .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- بيان الصورة الحقيقية للحياة الدنيا في نضرتها وسرعة زوالها .

2- التحذير من الاغترار بالدنيا والركون إليها .

3- التحذير من الذنوب فإنها سبب الشقاء وسلب النعم .

4- فضيلة التفكر وأهله .

5- فضل الله على عباده ورحمته بهم إذ يدعوهم إلى داره لإكرامهم والإنعام عليهم .

(127/2)

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا

أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (27) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (28) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (29) هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (30)

شرح الكلمات :

{ الحسنى وزيادة } : الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم .

{ ولا يرهق وجوههم } : أي لا يغشى وجوههم .

{ قتر } : غَبرة من الكآبة والحزن .

{ السيآت } : جمع سيئة ما يُسيء إلى النفس من ذنوب الشرك والمعاصي .

{ مكانكم } : أي الزموا مكانكم لا تفارقوه .

{ فزيلنا بينهم } : فرقنا بينهم .

{ هنالك } : أي ثَمَّ .

{ تبلو كل نفس } : أي تَختبر .

{ ما أسلفت } : أي ما قدمت .

{ وضل عنهم ما كانوا يفترون } : أي غاب عنهم ما كانوا يكذبون .

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى في الآية السابقة أنه يدعو إلى دار السلام ذكر جزاء من أجاب الدعوة ومن لم يجبها فقال للذين أحسنوا فآمنوا وعبدوا الله بما شرع ووحدوه تعالى في عبادته وربوبيته وأسمائه وصفاته فهؤلاء جزاؤهم الحسنى وهي الجنة وزيادة وهي النظر إلى وجهه الكريم في دار السلام ، وأنهم إذا بعثوا لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة كما يكون ذلك لمن لم يجب دعوة الله تعالى ، وقرر جزاءهم ووضحه بقوله : { أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون } وذكر جزاء من أعرض عن الدعوة ورفضها فأصر على الكفر والشرك والعصيان فقال { والذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها } فالذين كسبوا سيآت الشرك والمعاصي فأساء ذلك إلى نفوسهم فدساها وخبثها جزاؤهم جهنم وترهقهم ذلة في عرصات القيامة وليس لهم من الله من عاصم يعصمهم من عذاب الله . كأنما وجوههم لسوادها قد أغشيت قطعاً من الليل مظلماً وقوله تعالى { أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون } تقرير لمصيرهم والعياذ بالله وهو ملازمة النار وعدم الخروج منها بخلودهم فيها .

هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (26) والثانية (27) أما الآيات الثالثة والرابعة والخامسة فإنها تضمنت عرضاً سريعاً لحشر الناس يوم القيامة ، والمراد بذلك تقرير عقيدة الإيمان باليوم الآخر فقال تعالى : { ويوم نحشرهم جميعاً } أي في عرصات القيامة { ثم نقول للذين أشركوا } أي بنا آلهة عبدوها دوننا { مكانكم } أي قفوا لا تبرحوا مكانكم { أنتم وشركاؤكم } ، ثم يزايل الله تعالى أي يفرق بينهم وهو معنى قوله تعالى { فزيلنا بينهم } ولا شك أنهم يقولون ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين ندعو من دونك فلذا ذكر تعالى ردهم عليهم في قوله { وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون } أي لأننا ما كنا نسمعكم ولا نبصركم ولا أمرناكم بعبادتنا وهذا قول كل من عُبد من دون الله من سائر الأجناس { فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا } أي والله { إن كنا عن عبادتكم لغافلين } غير شاعرين بحال من الأحوال بعبادتكم . قال

تعالى : { هنالك } أي في ذلك الموقف الرهيب { تبلو كل نفس ما أسلفت } أي تَختبر ما قدمت في دنياها وتعرفه هل هو ضارٌ بها أو نافع لها { وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون } هكذا يجدون أنفسهم أمام مولاهم ومالك أمرهم ومعبودهم الحق والذي طالما كفروا به وتنكروا له وجحدوا آياته ورسله وضل أي غاب عنهم ما كانوا يفترونه من الأكاذيب والترهات والأباطيل من تلك الأصنام التي سموها آلهة وعبدوها وندموا يوم لا ينفع الندم وجزاهم بما لم يكونوا يحتسبون .

(128/2)

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- بيان فضل الحسنة وما تعقبه من نيل الحسنى .

2- بيان سوء السيئة وما تورثه من حسرة وندامة وما توجبه من خسران .

3- تقرير معتقد البعث والجزاء بعرض صادق واضح له .

4- تبرؤ عُبد من دون الله من عابدين وسواء كان المعبود ملكاً أو إنساناً أو جاناً أو شجراً أو حجراً الكل يتبرأ من عابديه ويستشهد الله تعالى عليه .

5- في عرصات القيامة تعلم كل نفس ما أحضرت ، وما قدمت وأخرت وتبلو ما أسلفت فتعرف وأنى لها أن تنتفع بما تعرف؟ .

(129/2)

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (31) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (32) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (33)

شرح الكلمات :

{ من السماء } : أي بالغيث والمطر .

{ والأرض } : أي بالنبات والحبوب والثمار .

{ أمَّن يملك السمع والأبصار } : أي يملك أسماعكم وأبصاركم إن شاء أبقاها لكم وإن شاء سلبها منكم .

{ ومن يخرج الحي من الميت } : أي الجسم الحي من جسم ميت والعكس كذلك .

{ ومن يدبر الأمر } : أي أمر الخلائق كلها بالحياة والموت والصحة والمرض والعطاء والمنع .

{ أفلا تتقون } : أي الله فلا تشركون به شيئاً ولا تعصوه في أمره ونهيه .

{ فأنى تصرفون } : أي كيف تصرفون عن الحق بعد معرفته والحق هو أنه لا إله إلا الله .

{ حقت } : أي وجبت .

{ أنهم لا يؤمنون } : وذلك لبلوغهم حداً لا يتمكنون معه من التوبة البتة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة التوحيد فيقول تعالى لرسوله { قل } يا رسولنا لأولئك المشركين مستفهما إياهم { من يرزقكم من السماء والأرض } بإنزال المطر وبانبات الحبوب والثمار والفواكهة والخضر التي ترزقونها ، وقل لهم { أم من يملك السمع والأبصار } أي أسماعكم وأبصاركم بحيث إن شاء أبقاها لكم وأمتعكم بها ، وإن شاء أخذها منكم وسلبكم إياها فأنتم عمي لا تبصرون وصم لا تسمعون { ومن يخرج الحي من الميت } كالفرخ من البيضة { ويخرج الميت من الحي } كالبيضة من الدجاجة ، والنخلة من النواة ، والنواة من النخلة . { ومن يدبر الأمر } في السماء والأرض كتعاقب الليل والنهار ونزول الأمطار ، وكالحياة والموت والغنى والفقر والحرب والسلم والصحة والمرض إلى غير ذلك مما هو من مظاهر التدبير الإلهي في الكون . { فسيقولون الله } ، إذ لا جواب لهم إلا هذا إذاً فما دام الله هو الذي يفعل هذا ويقدر عليه دون غيره كيف لا يُتَّقى عز وجل بتوحيده وعدم الإشراك به ، فلم لا تتقونه؟

وقوله تعالى { فذلكم الله ربكم الحق } أي فذلكم الذي يرزقكم من السماء والأرض ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويدبر الأمر هو ربكم الحق الذي لا رب لكم سواه إذاً { فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنى تصرفون } أي كيف يصرفون عن الحق بعد معرفته إلى الضلال؟ إنه أمر يدعو إلى الاستغراب والتعجب!

وقوله تعالى { كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون } أي مثل ذلك الصرف الذي يصرفة المشركون عن الحق بعد معرفته إلى الضلال أي كما حق ذلك حقت كلمة ربك وهي أن الله لا يهدي القوم الفاسقين فهم لا يهتدون ، وذلك أن العبد إذا توغل في الشر والفساد بالإدمان والاستمرار عليه يبلغ حداً لا يتأتَّ له الرجوع منه والخروج بحال فهلك على فسقه لتحق عليه كلمة العذاب وهي { لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين } هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- مشركوا العرب كانوا يشركون في الألوهية ويوحدون في الربوبية .

2- وليس بنافع أن يوحد العبد في الربوبية ويشرك في الألوهية .

3- ليس بعد الحق إلا الضلال فلا واسطة بينهما فمن لم يكن على حق فهو على ضلال .

4- التوغل في الشر والفساد يصبح طبعاً لصاحبه فلا يخرج منه حتى يهلك به .

(130/2)

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (34) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (35) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (36)

شرح الكلمات :

{ من شركائكم } : جمع شريك من أشركوه في عبادة الله تعالى .

{ من يبدأ الخلق } : أي ينشيء الإِنسان والحيوان أول ما ينشئه فذلك بدء خلقه .

{ فأنى تؤفكون } : أي كيف تصرفون عن الحق بعد معرفته .

{ أمَّن لا يَهِدِّي } : أي لا يهتدي .

{ كيف تحكمون } : أي هذا الحكم الفاسد وهو اتباع من لا يصح اتباعه لأنه لا يهدي .

معنى الآيات :

ما زال السياق في حجاج المشركين لبيان الحق لهم ودعوتهم إلى اتباعه فيقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين { قل هل من شركائكم من يبدأ الخق ثم يعيده؟ } أي هل يوجد من بين آلهتكم التي تعبدونها من يبدأ خلق إنسان نم العدم ثم يميته ، ثم يعيده؟ وجوابهم معروف وهو لا يوجد إذاً فكيف تؤفكون أي تصرفون عن الحق بعد معرفته والإِقرار به؟ وقل لهم أيضاً { قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق } أي يوجد من آلهتكم من يهدي إلى الحق؟ والجواب لا يوجد لأنها لا تتكلم ولا تعلم إذاً فقل لهم الله يهدي إلى الحق أي بواسطة نبيه ووحيه وآياته .

وقل لهم { أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمَّن لا يهدي إلا أن يهدى } والجواب معروف الذي يهدي إلى الحق أحق بأن يتبع ممن لا يهتدي إلا أن يُهدى ، إذاً لم لا تتقون . الله فتوحدوه وتؤمنوا برسوله وكتابه فتهتدوا ، وتتركوا آلهتكم التي لا تهدي إلى الحق؟ { فما لكم } أي أيُّ شيء ثبت لديكم في ترك عبادة الله لعبادة الله غيره من هذه الأوثان ، { كيف تحكمون } أي حكم هذا تحكمون بهوهو اتباع من لا يهدي وترك عبادة من يهدي إلى الحق . وقوله تعالى { وما يتبع أكثرهم إلا ظناً } أي أن أكثر هؤلاء المشركين لا يتبعون في عبادة أصنامهم إلا الظن فلا يقين عندهم في أنها حقاً آلهة تستحق العبادة ، { إن الظن لا يغني من الحق شيئاً } أي إن الظن لا يكفي عن العلم ولا يغني عنه أي شيء من الإِغناءن والمطلوب في العقيدة العلم لا الظن . وقوله تعالى { إن الله عليم بما يفعلون } هذه الجملة تحمل الوعيد الشديد لهم على إصرارهم على الباطل وعنادهم على الحق فسيجزيهم بذلك الجزاء المناسب لظلمهم وعنادهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير التوحيد بإبطال الآلهة المزعومة حيث اعترف عابدوها بأنها لا تبدأ خلقاً ولا تعيده بعد موته ، ولا تهدي إلى الحق ، والله يبدأ الخلق ثم يعيده ويهدي إلى الحق .

2- إبطال الأحكام الفاسدة وعدم إقرارها ووجوب تصحيحها .

3- لا يقبل الظن في العقائد بل لا بد من العلم اليقيني فيها .

4- كراهية القول بالظن والعمل به وفي الحديث « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » .

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (37) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39)

شرح الكلمات :

{ أن يفترى من دون الله } : أي افتراءً أي لم يكن هذا القرآن افتراء .

{ وتفصيل الكتاب } : أي بيان ما فرض الله تعالى على هذه الأمة وما أحل لها وما حرم .

{ أم يقولون افتراه } : أي اختلقه من نفسه وَتَقَوَّلَهُ من عنده .

{ بما لم يحيطوا بعلمه } : أي بما توعدهم الله تعالى به من العذاب .

{ ولما يأتهم تأويله } : أي ولما يأتهم بعد ما يؤول إليه ذلك الوعيد من العذاب .

{ كذلك كذب الذين من قبلهم } : أي كتكذيب هؤلاء بوعد الله لهم كذب الذين من قبلهم .

معنى الآيات :

هذه الآيات في تقرير عقيدة الوحي وإثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى : { وما كان هذا القرآن } أي لم يكن من شأن هذا القرآن العظيم { أن يفترى من دون اللهؤ أي يُختلق من غير الله تعالى من سائر خلقه ، { ولكن تصديق الذي بين يديه } أي ولكنه كلام الله ووحيه أوحاه إلى رسوله وأنزله تصديق الذي بين يديه أي من الكتب التي سبقت نزوله وهي التوراة والإنجيل { وتفصيل الكتاب } الذي كتبه الله تعالى على أمة الإسلام من الفرائض والشرائع والأحكام . وقوله تعالى { لا ريب فيه } أي لا شك في أنه وحي الله وكلامه نزل من رب العالمين . وهو الله مربي الخلائق أجساماً وعقولاً وأخلاقاً وأرواحاً ومن مقتضى ربوبيته إنزال كتاب فيه تبيان كل شيء يحتاج إليه العبد في تربيته وكماله البدني والروحي والعقلي والخلقي .

وقوله تعالى في الآية الثانية (38) { أم يقولون افتراه } أي بل يقول هؤلاء المشركون المجاحدون وهو قول في غاية السُّخْف والقباحة يقولون القرآن افتراه محمد ولم يكن بوحي أُنزل عليه ، قل يا رسولنا متحدياً إياهم أن يأتوا بسورة مثله . فإنهم لا يستطيعون وبذلك تبطل دعواهم ، وقل لهم ادعوا لمعونتكم على الإتيان بسورة مثل سورة القرآن من استطعتم الحصول على معونتهم إن كنتم صادقين في دعواكم أن القرآن لم يكن وحياً من الله ، وإنما اختلاق اختلقه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقوله تعالى { بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله } أي إن القضية ليست قضية أنهم ما استطاعوا أن يدركوا أن القرآن كلام الله ، وإنما القضية هي أنهم كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه من وعيد الله تعالى لهم بالعذاب ، ولما يأتهم بعد ما يؤول إليه الوعيد إذ لو رأوا العذاب ما كذبوا ، ولذا قال تعالى { كذلك كذب الذين من قبلهم } أي { حتى ذاقوا بأسنا } كما في آية الأنعام . وهنا قال تعالى { فانظر كيف كان عاقبة الظالمين } فقد أهلك تعالى الظلمة من قوم نوح بالغرق ومن قوم هود بريح صرصر ومن قوم صالح بالصيحة ومن قوم شعيب بالرجفة ومن أمم أخرى بما شاء من أنواع العذاب فهؤلاء إن لم يتوبوا واستمروا في تكذيبهم فسوف يحل بهم ما حل بغيرهم

{ وما الله بغافل عما يعمل الظالمون } هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير عقيدة الوحي وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

2- من أدلة أن القرآن كلام الله تصديقه للكتب السالفة وعدم التناقض معها إذ هما من مصدر واحد وهو الله رب العالمين .

3- من أدلة القرآن على أنه وحي الله تحدى الله العرب بالإتيان بسورة واحدة فصاحته وبلاغته ، وإعجازه وعجزهم عن ذلك .

4- استمرار المشركين في العناد والمجاحدة علته أنهم لم يذوقوا ما توعدهم الله به من العذاب إذ لو ذاقوا لآمنوا ولكن لا ينفعهم حينئذ الإيمان .

(133/2)

وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (40) وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (41) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (42) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (43) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (44)

شرح الكلمات

{ ومنهم من يؤمن به } : أي من أهل مكة المكذبين بالقرآن من يؤمن به مستقبلاً .

{ وربك أعلم بالمفسدين } : وهم دعاة الضلالة الذين يفسدون العقول والقلوب والجملة تهديد لهم .

{ وإن كذبوك } : أي استمروا على تكذيبك .

{ ومنهم من يستمعون إليك } : أي إذ قرأت القرآن .

{ ومنهم من ينظر إليك } : أي يبصر ويشاهد آيات النبوة وأعلام صدقك ، ولا يهتدي إلى معرفة أنك رسول الله لأن الله تعالى حرمه ذلك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى في خطاب رسوله ليُسلِّيه ويصبِّره على عدم إيمان قومه مع ظهور الأدلة وقوة البراهين { ومنهم من يؤمن به } أي بالقرآن وبالنبي أيضاً إذْ الإيمان بواحد يستلزم الإيمان بالثاني ، { ومنهم من لا يؤمن به } ، وهذا إخبار غيب فتم كما أخبر تعالى فقد آمن من المشركين عدد كبير ولم يؤمن عدد آخر . وقوله { وربك أعلم بالمفسدين } أي الذين لا يؤمنون وفي الجملة تهديد لأولئك الذين يصرفون الناس ويصدونهم عن الإيمان والتوحيد . وقوله تعالى : { وإن كذبوك } أي استمروا في تكذيبهم لك فلا تحفل بهم وقل { لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل ، وأنا برىء مما تعملون } فإذا كان هناك عقاب دنيوي فإنك تسلم منه

ويهلكون هم به .

وقوله تعالى في الآية (42) { ومنهم من يستمعون إليك } إلى قراءتك القرآن وإلى قولك إذا قلت داعياً أو آمراً ناهياً ، ومع هذا فلا يفهم ولا ينتفع بما يسمع ، ولا لوم عليك في ذلك لأنك لا تسمع الصم ، وهؤلاء صم لا يسمعون ، ومنهم من ينظر إليك بأعين مفتحة ويرى علامات النبوة وآيات الرسالة ظاهرةً في حالك ومقالك ومع هذا لا يهتدي ولا لوم عليك فإنك لا تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون . وقوله تعالى { إن الله لا يظلم الناس شيئاً ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون } بيان لسنة الله تعالى في أولئك الذين يسمعون ولا ينتفعون بسماعهم ، ويبصرون ولا ينتفعون بما يبصرون ، وهي أن من توغل في البغض والكراهية لشيء يصبح غير قادر على الانتفاع بما يسمع منه ولا بما يبصر فيه . ولذا قيل حبك الشيء يُعمي ويُصم . والبغض كذلك كما أن الاسترسال في الشر والفساد مدة من الزمن يحرم صاحبه التوبة إلى الخير والصلاح ، ومن هنا قال تعالى { إن الله لا يظلم الناس شيئاً ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون } .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- إخبار القرآن بالغيب وصدقه في ذلك .

2- تقرير معنى آية { فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور } .

3- تعليم رسول الله طريق الحِجاج والرد على الخصوم المشركين .

4- انتفاء الظلم عن الله تعالى ، وإثباته للإنسان لنفسه .

(134/2)

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (45) وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (46) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (47) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48)

شرح الكلمات :

{ يحشرهم } : أي نبعثهم من قبورهم ونجمعهم لساحة فصل القضاء .

{ كأن لم يلبثوا } : أي في الدنيا أحياء في دورهم وأمواتاً في قبورهم .

{ أو نتوفينك } : أي نميتك قبل ذلك .

{ فإذا جاء رسولهم } : أي في عرصات القيامة .

{ بالقسط } : أي بالعدل .

{ متى هذا الوعد } : أي بالعذاب يوم القيامة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى { ويوم يحشرهم } أي اذكر لهم يوم نحشرهم من قبورهم بعد

بعثهم أحياء { كأن لم يلبثوا } في الدنيا أحياء في دروهم وأمواتاً في قبورهم . { إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم } أي ليرى بعضهم بعضاً ساعة ثم يحول بينهم هول الموقف ، وقوله تعالى { قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين } يخبر تعالى أن الذين كذبوا بالعبث الآخر والحساب والجزاء الأخروي فلم يرجوا لقاء الله فيعملوا بمحابه وترك مساخطه قد خسروا في ذلك اليوم أنفسهم وأهليهم في جهنم ، وقوله { وما كانوا مهتدين } أي في حياتهم حيث انتهوا إلى خسران وعذاب أليم .

وقوله تعالى { وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفيك } أي إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب في الدنيا فذاك ، أو نتوفينك قبل ذلك فعلى كل حال مرجعهم إلينا جميعاً بعد موتهم ، فنحاسبهم ونجازيهم بحسب سلوكهم في الدنيا الخير بالخير والشر بمثله ، وقوله تعالى { ثم الله شهيد على ما يفعلون } تقرير وتأكيد لمجازاتهم يوم القيامة لأن علم الله تعالى بأعمالهم وشهادته عليها كافٍ في وجوب تعذيبهم . وقوله تعالى { ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون } أي ولكل أمة من الأمم رسول أرسل إليها وبلغها فأطاع من أطاع وعصى فإذا جاء رسولها في عرصات القيامة قضي بينهم أي حوسبوا أو جوزوا بالقسط أي بالعدل وهم لا يظلمون بنقص حسنات المحسنين ولا بزيادة سيئآت المسيئين . وقوله تعالى { ويوقولون } أي المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، { متى هذا الوعد } أي بالعذاب يوم القيامة . { إن كنتم صادقين } يقولون هذا استعجلاً للعذاب لأنهم يؤمنون به . والجواب في الآية التالية .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير مبدأ المعاد والدار الآخرة .

2- الإعلان عن خسران منكري البعث يوم القيامة .

3- تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وحمله على الصبر حتى يؤدي رسالته بإعلامه بأنه سيعذب أعداءه .

4- بيان كيفية الحساب يوم القيامة بأن يأتي الرسول وأمته ثم يجري الحساب بينهم فينجي الله المؤمنين ويعذب الكافرين .

(135/2)

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (49) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (50) أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (51) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (52) وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (53)

شرح الكلمات :

{ لنفسي ضراً } : أي لا أقدر على دفع الضر إذا لم يُعِنِّي الله تعالى .

{ ولا نفعاً } : أي لا أقدر على أن أجلب لنفسي نفعاً إذا لم يُرده الله تعالى لي .

{ لكل أمة أجل } : أي وقت معين لهلاكها .

{ فلا يستأخرون ساعة } : أي عن ذلك الأجل .

{ ولا يستقدمون } : أي عليه ساعة .

{ قل أرأيتم } : أي قل لهم أخبروني .

{ أثم إذا ما وقع } : أي حل العذاب .

{ عذاب الخلد } : أي الذي يخلدون فيه فلا يخرجون منه .

{ ويستنبئونك } : أي ويستخبرونك .

{ قل إي } : إي نعم .

{ وما أنتم بمعجزين } : أي بفائتين العذاب ولا ناجين منه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الرد على المشركين فقد طلبوا في الآيات السابقة بالعذاب فقالوا { متى هذا الوعد } أي بالعذاب { إن كنتم صادقين } فأمر الله تعالى رسوله في هذه الآيات أن يقول لهم إني { لا أملك لنفسي ضراً } أي لا أملك دفع الضر عني ، ولا جلب النفع لي إذا لم يشأ الله تعالى ذلك ، فكيف أعلم الغيب وأعرف متى يأتيكم العذاب كما لا أقدر على تعجيله إن كان الله يريد تأجيله ، واعلموا أنه لكل أمة من الأمم أجل أي وقت محدد لهلاكها وموتها فيه ، فلا يتأخرون عنه ساعة ولا يتقدمون عليه بأخرى فلذا لا معنى لمطالبتكم بالعذاب . وشيء آخر أرأيتم أي أخبروني إن أتاكم العذاب الذي تستعجلونه بياتاً أي ليلاً أو نهاراً أتطيقونه وتقدرون على تحمله إذاً فماذا تستعجلون منه أيها المجرمون إنكم تستعجلون أمراً عظيماً . وقوله تعالى { أثم إذا ما وقع آمنتم به؟ } أي اتستمرون على التكذيب والعناد ، ثم إذا وقع آمنتم به ، وهل ينفعكم إيمانكم يومئذ؟ فقد يقال لكم توبيخاً وتقريعاً الآن تؤمنون به ، وقد كنتم به تستعجلون .

وقوله تعالى { ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون } ؟ يخبر تعالى أنه إذا دخل المجرمون النار وهم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي ذوقوا – تهكماً بهم – عذاب الخلد أي العذاب الخالد الذي لا يفني ولا يبيد إنكم ما تجزون أي ما تثابون إلا بما كنتم تكسبونه من الشرك والمعاصي . وقوله تعالى : { ويستنبؤنك أحق هو؟ } أي ويستخبرك المشركون المعاندون قائلين لك أحق ما تعدنا به من العذاب يوم القيامة؟ أجبهم بقولك { قل إي وربي إنه لحق ، وما أنتم بمعجزين } الله ولا فائتينه بل لا بد وأن يلجئكم إلى العذاب إلجاءً ، ويذيقكموه عذاباً أليماً دائماً وأنتم صاغرون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1– لا يملك أحد من الخلق لنفسه فضلاً عن غيه ضراً يدفعه ولا نفعاص يجلبه إلا بإذن الله تعالى ومشيئته ، وخاب الذين يُعولون على الأولياء في جلب النفع لهم النفع لهم ودفع الشر عنهم .

2– الآجال محدودة لا تتقدم ولا تتأخر فلذا لا معنى للجبن من العبد .

3- لا ينفع الإيمان ولا التوبة عند معاينة العذاب أو مَلَك الموت .

4- جواز الحلف بالله إذا أريد تأكيد الخبر .

5- إي حرف إجابة وتقترن دائماً بالقسم نحو إي والله ، إي وربي .

(136/2)

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (54) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (55) هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (56) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (58)

شرح الكلمات :

{ لا فتدت به } : لقدمته فداء لها .

{ وأسروا الندامة } : أخفوها في أنفسهم على ترك الإيمان والعمل الصالح .

{ وقضي بينهم بالقسط } : أي حكم الله بينهم بالعدل .

{ وعد الله حق } : أي ما يعدهم الله به هو كائن حقاً .

{ موعظة من ربكم } : أي وصية من ربكم بالحق والخير ، وباجتناب الشرك والشر .

{ وهدى } : أي بيان لطريق الحق والخير من طريق الباطل والشر .

{ فضل الله ورحمته } : ما هداهم إليه من الإيمان والعمل الصالح ، واجتناب الشرك والمعاصي .

{ فبذلك فليفرحوا } : أي فبالإيمان والعمل الصالح بعد العلم والتقوى فليسروا وليستبشروا .

{ هو خير مما يجمعون } : أي من المال والحطام الفاني .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان أن ما وعد الله تعالى به المشركين من العذاب هو آت لا محالة إن لم يؤمنوا وإنه عذاب لا يطاق فقال تعالى { ولو أن لكل نفس ظلمت } أي نفسها بالشرك والمعاصي ، لو أن لها ما في الأرض من مال صامت وناطق وقبلمنها لقدمته فداء وقدر رأوا النار { وأسروا الندامة لما رأوا العذاب } أي أخفوها في صدروهم ولم ينطقوا بها وهي ندمهم الشديد على عدم إيمانهم واتباعهم للرسول صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى { وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون } أي وقضى الله تعالى أي حكم بين الموحدين والمشركين والظالمين والمظلومين بالقسط الذي هو العدل الإلهي والحال أنهم لا يظلمون بأن يؤاخذوا بما لم يكسبوا . وقوله تعالى { ألا إن لله ما في السموات والأرض } أي انتبهوا واسمعوا أيها المشركون إن لله ما في السموات والأرض من سائر المخلوقات ملكاً حقيقياً ويسعد لا اعتراض عليه ألا أن وعد الله حق أي تنبهوا مرة أخرى واسمعوا إن وعد الله أي ما وعدكم به من العذاب حق ثابت لا يتخلف . وقوله تعالى : { ولكن أكثرهم لا يعلمون } إذ لو علموا أن العذاب كائن لا محالة وعلموا مقدار هذا العذاب ما كفروا به وقوله

تعالى { هو يحي ويميت وإليه ترجعون } يخبر تعالى عن نفسه أنه يحيي ويميت ومن كان قادراً على الإحياء والإماتة فهو قادر على كل شيء ، ومن ذلك إحياء الكافرين بعد مرتهم وحشرهم إليه ومجازاتهم على ما كسبوا من شر وفساد وقوله { وإليه ترجعون } تقرير مبدأ المعاد الآخر . بعد هذه التقريرات لقضايا العقيدة الثلاث : التوحيد ، والنبوة ، والبعث والجزاء نادى الله تعالى العرب والعجم سواء قائلاً : { يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين } وكل من الموعظة التي هي الأمر والنهي بأسلوب الترغيب والترهيب والشفاء والهدى والرحمة قد حواها القرآن الكريم كأنه قال يا أيها الناس وفيكم الجاهل والفاسق والمريض بالشرك والكفر والضال عن الحق ، والمعذب في جسمه ونفسه قد جاءكم القرآن يحمل كل ذلك لكم فآمنوا به واتعبوا النور الذي يحمله وتداووا به واهتدوا بنوره تشفوا وتكملوا عقلاً وخلقاً وروحاً وتسعدوا في الحياتين معاً .

(137/2)

وقوله تعالى { قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون } أي بلَّغهم يا رسولنا آمراً إياهم بأن يفرحوا بالإسلام وشرائعه والقرآن وعلومه فإن ذلك خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفاني ، وما يعقب من آثار سيئة لا تحتمل ولا تطاق .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- عظم عذاب يوم القيامة حتى إن الكافر ليود أن يفتدى منه بما في الأرض جميعاً .

2- تقرير ربوبية الله تعالى لسائر المخلوقات في العالمين العلوي والسفلي .

3- الإشادة بفضل القرآن وعظمته لما يحمله من المواعظ والهدى والرحمة والشفاء .

4- يستحب الفرح بالدين ويكره الفرح بالدنيا .

(138/2)

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (59) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (60) وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (61)

شرح الكلمات :

{ أرأيتم } : أي أخبروني .

{ ما أنزل الله لكم من رزق } : أي الذي خلق لكم من رزق كلحوم الأنعام .

{ ءآلله أذن لكم } : أي في التحريم حيث حرمتم البحيرة والسائبة وفي التحليل حيث أحللتم الميتة .

{ يفترون على الله الكذب } : أي يختلقون الكذب تزيراً له وتقديراً في أنفسهم .

{ وما تكون في شأن } : أي في أمر عظيم .

{ شهوداً إذْ تفيضون فيه } : أي تأخذون في القول أو العمل فيه .

{ وما يعزب عن ربك } : أي يغيب .

{ من مثقال ذرة } : أي وزن ذرة والذرة أصغر نملة .

{ إلا في كتاب مبين } : أي اللوح المحفوظ ومبين أي واضح .

معنى الآيات :

سياق الآيات في تقرير الوحي وإلزام المنكرين له من المشركين بالدليل العقلي قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين { أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق } أي أخبروني عما خلق الله لكم من نبات وطعام وحرث فجعلتم منه حراماً كالبحيرة والسائبة والثياب التى تحرَّمون الطواف بها والحرث الذي جعلتموه لآلهتكم ، وحلال كالميتة التي تستبيحونها { ءالله أذن لكم } (في هذا التشريع بوحي منه { أم على الله تفترون } فإن قلتم الله أذن لنا بوحي فلم تنكرون الوحي وتكذبون به ، وإن قلتم لا وحي ولكننا نكذب على الله فموقفكم إذاً شر موقف إذ تفترون على الله الكذب والله تعالى يقول : { وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة } أي إذا هم وقفوا بين يديه سبحانه وتعالى ما ظنهم أيغفر لهم ويُعفى عنهم لا بل يلعنون وفي النار هم خالدون وقوله تعالى { إن الله لذو فضل على الناس } في كونه لا يعجل لهم العقوبة وهم يكذبون عليه ويشركون به ويعصونه ويعصون رسوله ، { ولكن أكثرهم لا يشكرون } وذلك لجهلهم وسوء التربية الفاسدة فيهم ، وإلا العهد بالإنسان أن يشكر لأقل معروف وأتفه فضل .

وقوله تعالى { وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن } أي وما تكون يا رسولنا في أمر من أمورك الهامة وما تتلو من القرآن من آية أو آيات في شأن ذلك الأمر { إلا كنا } أي نحن رب العزة والجلال { عليكم شهوداً } أي حضوراً { إذ تفضيون فيه } أي في الوقت الذي تأخذون فيه ، وقوله تعالى { وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين } يخبر تعالى عن سعة علمه تعالى وإحاطته بسائر مخلوقاته بحيث لا يعزب أي لا غيب عن عمله تعالى مثقال ذرة أو وزن ذرة وهي النملة الصغير وسواء كانت في الأرض أو في السماء ، وسواء كانت أصغر من النملة أو أكبر منها . بالإضافة إلى أن ذلك كله في كتاب مبين أي في اللوح المحفوظ . لهذا العلم والقدرة والرحمة استوجب التأليه والعبادة دون سائر خلقه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير الوحي وإثباته للنبي صلى الله عليه وسلم .

2- التحريم والتحليل من حق الله تعالى دون سائر خلقه .

3- حرمة الكذب على الله ، وإن صاحبه مستوجب للعذاب .

4- ما أعظم نعم الله تعالى على العباد ومع هذا فهم لا يشكرون إلا القليل منهم .

5- وجوب مراقبة الله تعالى ، وحرمة الغفلة في ذلك .

6- إثبات اللوح المحفوظ وتقريره كما صرحت به الآيات والأحاديث .

(139/2)

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64)

شرح الكلمات :

{ ألا } : أداة استفتاح وتنبيه .

{ إن أولياء الله } : جمع وليّ وهو المؤمن بشرط أن يكون إيمانه وتقواه على نور من الله .

{ لا خوف عليهم } : أي لا يخافون عند الموت ولا بعده ، ولا هم يحزنون على ما تركوا بعد موتهم .

{ آمنوا } : أي صدقوا بالله وبما جاء عن الله وبرسول الله وبما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

{ يتقون } : أي ما يسخط الله تعالى من ترك واجب أو فعل حرام .

{ لهم البشرى } : أي بالجنة في القرآن الكريم وعند الموت وبالرؤيا الصالحة يراها أو ترى له .

{ لا تبديل لكلمات الله } : أي لوعده الذي يعده عباده الصالحين ، لأن الوعد بالكلمة وكلمة الله لا تبدل .

{ الفوز } : النجاة من النار ودخول الجنة .

معنى الآيات :

يخبر تعالى مؤكداً الخبر بأداة التنبيه { ألا } وأداة التوكيد { إن } فيقول : { ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون } أي لا يخافون عند الموت ولا في البرزخ ولا يوم القيامة ولا هم يحزنون على ما يتركون وراءهم بعد موتهم ولا في الدار الآخرة وبين تعالى أولياءه وعرف بهم فقال : { الذين آمنوا وكانوا يتقون } أي آمنوا به وبرسوله وبكل ما جاء به رسوله عن ربه ، وكانوا يتقون طوال حياتهم وسائر ساعاتهم سخط الله تعالى فلا يتركون واجباً هم قادرون على القيام به ، ولا يغشوْن محرماً لم يُكرهوا عليه . وقوله تعالى : { لهم البشرى } في الحياة الدنيا وفي الآخرة : أي لهم بشرى ربهم في كتابه برضوانه ودخول الجنة ولهم البشرى بذلك عند الاحتضار تبشرهم الملائكة برضوان الله وجنته وفي الآخرة عند قيامهم من قبورهم تتلقاهم الملائكة بالبشرى .

وقوله تعالى : { لا تبديل لكلمات الله } وهو تأكيد لما بشرهم ، إذ تلك البشرى كانت بكلمات الله وكلمات الله لا تتبدل فوعد الله إذاً لا يتخلف .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- ولاية الله تعالى بطاعته وموافقته في محابه ومكارهه فمن آمن إيماناً يرضاه الله ، واتقى الله في أداء الفرائض واجتناب المناهي فقد صار ولي الله والله وليه .

2- البشرى هي ما يكرم الله به برؤيا صالحة يراها الولي أو تُرى له .

3- الأولياء هم أهل الإيمان والتقوى فالكافر والفاجر لا يكون ولياً أبداً ، إلا إذا آمن الكافر ، وبَرَّ الفاجر بفعل الصالحات وترك المنهيات .

4- صدْق إخبار الله تعالى وعدالة أحكامه ، وسر ولايته إذ هي تدور على موافقة الرب تعالى فيما يجب من الاعتقادات والأعمال والأقوال والذوات والصفات وفيما يكره من ذلك فمن وافق ربه فقد والاه ومن خالفه فقد عاداه .

(140/2)

وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (65) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (66) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (67)

شرح الكلمات:

لا يحزنك : أي لا يجعلك قولهم تحزن.

إن العزة لله : العزة الغلبة والقهر.

شركاء : أي شركاء بحق يملكون مع الله لعابديهم خيراً أو يدفعون عنهم ضراً.

إلا الظن: الظن أضعف الشك.

يخرصون: أي يحزرون ويكذبون.

لتسكنوا فيه: أي تخلدوا فيه إلى الراحة والسكون عن الحركة.

مبصراً: أي مضيئاً ترى فيه الأشياء كلها.

في ذلك: أي من جَعْلِهِ تعالى الليل سكناً والنهار مبصراً لآيات.

يسمعون: أي سماع إجابة وقبول.

معنى الآيات:

ما زال السياق في تقرير قضايا التوحيد الثلاث التوحيد والنبوة والبعث قال تعالى مخاطباً رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم {ولا يحزنك قولهم} أي لا يجعلك قول المشركين المفترين {لست مرسلاً} وأنك {شاعر مجنون} تحزن فإن قولهم هذا ينتج لهم إلا سوء العاقبة والهزيمة المحتمة، {إن العزة لله جميعاً} فربك القوى القادر سيهزمهم وينصرك عليهم. إذا فاصبر على ما يقولون ولا تأس ولا تحزن. إنه تعالى هو السميع لأقوال عباده العليم بأعمالهم وأحوالهم ولا يخفى عليه شيء من أمرهم. {ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض} خلقاً وملكاً وتصرفاً، كل شيء في قبضته وتحت سلطانه وقهره فكيف تبالي بهم يا رسولنا فتحزن لأقوالهم {وما يتبع الذين يدعون من دون ألله شركاء} أي آلهة حقاً بحيث تستحق العبادة لكونها تملك نفعاً أو ضراً، موتاً أو حياة لا بل ما هم في عبادتها متبعين إلا الظن {وإن هم إلا يخرصون} أي يتقولون ويكذبون. وقوله تعالى {هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه، والنهار مبصراً} أي الإله الحق

الذي يجب أن يدعى ويعبد الله الذي جعل لكم أيها الناس ليلاً مظلماً لتسكنوا فيه فتستريحوا من عناء العمل في النهار. وجعل لكم النهار مبصراً أي مضيئاً لتتمكنوا من العمل فيه فتوفروا لأنفسكم ما تحتاجون إليه في حياتكم من غذاء وكساء وليست تلك الآلهة من أصنام وأوثان بالتي تستحق الألوهية فتُدْعى وتُعبد. وقوله {إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون} أي إن فيما ذكر تعالى من كماله وعزته وقدرته وتدبيره لأمور خلقه آيات علامات واضحة على أنه لا إله إلا هو ولا رب غيره، ولكن يرى تلك الآيات من يسمع سماع قبول واستجابة لا من يسمع الصوت ولا يفكر فيه ولا يتدبر عانيه فإن مثله أعمى لا يبصر وأصم لا يسمع.

هداية الآيات.

من هداية الآيات:

1- على المؤمن الداعي إلى الله تعالى أن لا يحزنه أقوال أهل الباطل وأكاذيبهم حتى لا ينقطع عن دعوته، وليعلم أن العزة لله جميعاً وسوف يعزه بها، ويذل أعداءه.

2- ما يُعبد من دون الله لم يقم عليه عابدوه أي دليل ولا يملكون له حجة وإنما هم مقلدون يتبعون الظنون والأوهام.

3- مظاهر قدرة الله تعالى في الخلق والتدبير كافية في إثبات العبادة له ونفيها عما سواه.

(141/2)

قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (68) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (69) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (70)

شرح الكلمات :

{ سبحانه } : أي تنزه عن النقص وتعالى أن يكون له ولد .

{ الغَنِيُّ } : أي الغِنَى المطلق بحيث لا يفتقر إلى شيء .

{ إن عندكم من سلطان } : أي ما عندكم من حجة ولا برهان .

{ بهذا } : أي الذي تقولونه وهو نسبة الولد إليه تعالى .

{ متاع في الدنيا } : أي ما هم فيه اليوم هو متاع لا غير وسوف يموتون ويخسرون كل شيء .

{ يكفرون } : أي بنسبة الولد إلى الله تعالى ، وبعبادتهم غير الله سبحانه وتعالى .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تحقيق التوحيد وتقريره بإبطال الشرك وشبهه فقال تعالى : { قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه } أي قال المشركون أن الملائكة بنات الله وهو قول مؤسف محزن للرسول صلى الله عليه وسلم كقولهم له { لست مرسلاً } ، وقد نهي صلى الله عليه وسلم عن الحزن من جراء أقوال المشركين الفاسدة الباطلة . ونزه الله تعالى نفسه عن هذا الكذب فقال سبحانه ، وأقام الحجة على بطلان قول المشركين بأنه هو الغَنيُّ الغِنَى الذاتي الذي لا يفتقر معه إلى غيره

فكيف إذاً يحتاج إلى ولد أو بنت فيستغني به وهو الغني الحميد ، وبرهان آخر على غناه أن له ما في السموات واما في الأرض الجميع خلقه وملكه فهل يعقل أن يتخذ السيد المالك عبداً من عبيده ولداً له . وحجة أخرى هل لدى الزاعمين بأن لله ولداً حجة تثبت لك والجواب لا ، لا . قال تعالى مكذباً إياها : { إن عندكم من سلطان بهذا } أي ما عندكم من حجة ولا برهان بهذا الذي تقولون ثم وبخهم وقرعهم بقوله : { أتقولون على الله ما لا تعلمون؟ } وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول معلناً عن خيبة الكاذبين وخسرانهم . { إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون } وإن قيل كيف لا يفلحون وهم يتمتعون بالأموال والأولاد والجاه والسلطة أحياناً فالجواب في قوله تعالى { متاع في الدنيا } أي لك متاع في الدنيا ، يتمتعون به إلى نهاية أعمارهم ، ثم إلى الله تعالى مرجعهم جميعاً ، ثم يذيقهم العذاب الشديد الذي ينسون معه كل ما تمتعوا به في الحياة الدنيا ، وعلل تعالى ذلك العذاب الشديد الذي أذاقهم بكفرهم فقال : { بما كانوا يكفرون } أي يجحدون كمال الله وغناه فنسبوا إليه الولد والشريك .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- كفر من ينسب إلى الله تعالى أي نقص كالولد والشريك أو العجز مطلقاً .

2- كل دعوى لا يقيم لها صاحبها قاطعاً وحجة واضحة فلا قيمة لها ولا يحفل بها .

3- أهل الكذب على الله كالدجالين والسحرة وأهل البدع والخرافات لا يفلحون ونهايتهم الخسران .

4- لا ينبغي للمؤمن أن يغتر بما يرى عليه أهل الباطل والشر من المتع وسعة الرزق وصحة البدن فإن ذلك متاع الحياة الدنيا ، ثم يؤول أمرهم إلى خسران دائم .

(142/2)

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (71) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (72)

شرح الكلمات :

{ واتل عليهم نبأ نوح } : أي اقرأ على المشركين نبأ نوح أي خبره العظيم الخطير .

{ كبر عليكم مقامي } : أي عظم عليكم مقامي بينكم ادعوا الى ربي .

{ فأجمعوا أمركم } : أي اعزموا عزماً أكيداً .

{ غمّة } : أي خفاء ولبساً لا تهتدون منه إلى ما تريدون .

{ ثم اقضوا إلي } : أي انفذا أمركم .

{ ولا تنظرون } : أي ولا تمهلون رحمة بي أوشفقة علي .

{ فإن توليتم } : أي أعرضتم عما أدعوكم إليه من التوحيد .

{ في الفلك } : أي في السفينة .

{ خلائف } : أي يخلف الآخر الأول جيلاً بعد جيل .

معنى الآيات : ما زال السياق الكريم في طلب هداية المشركين بالرد دعواهم وبيان الحق لهم وفي هذه الآيات يأمر الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليهم طرفاً من قصة نوح مع قومه المشركين الذين كانت حالهم كحال مشركي العرب سواء بسواء وفي قراءة هذا القصص فائدتان الأولى تسلية الرسول وحمله على الصبر ، والثانية تنبيه المشركين إلى خطاهم ، وتحذيرهم من الاستمرار على الشرك والعصيان فيحل بهم من العذاب ام حل بغيرهم قال تعالى : { واتل عليهم نبأ نوح } أي خبره العظيم الشأن أدعوكم إلى الله ، وتذكيري إياكم بآيات الله ، فإني توكلت على الله فأجمعوا أمركم أي اعزموا عزماً أكيداً وادعوا أيضاً شركاءكم للاستعانة بهم ، ثم أحذركم أن يكون أمركم عليكم غمة أي خفياً ملتبساً عليكم فيجعلكم تترددون في إنفاذ ما عزمتم عليه ، ثم اقضوا إليَّ ما تريدون من قتلي أو نفيي ولا تنظرون أي لا تؤخروني أي تأخير . وقوله تعالى : { فإن توليتم } أي أعرضتم عن دعوتي وتذكيري ولم تقبلوا ما أدعوكم إليه من عبادة الله تعالى وحده ، فما سألتكم عليه من أجر أي ثواب ، حتى تتولوا . إن أجري إلا على الله ربي الذي أرسلني وكلفني . وقد أمرني أكون من المسلمين له قلوبهم ووجوههم وكل أعمالهم فأنا كذلك كل عملي له فلا أطلب أجراً من غيره قال تعالى : { فكذبوه } أي دعاهم واستمر في دعائهم إلى الله زمناً غير قصير وكانت النهاية : أن كذبوه ، ودعانا لنصرته فنجيناه ومن معه من المؤمنين في السفينة وجعلناهم خلائف لبعضهم بعضاً أي يخلف الآخر الأول ، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا التي أرسلنا بها عبدنا نوحاً فانظر يا رسولنا كيف كان عاقبة المنذرين الذين لم يقبلوا النصح ولم يستجيبوا للحق إنها عاقبة وخيمة إذ كانت إغراقاً في طوفان وناراً في جهنم وخسراناً قال تعالى في سورة نوح : { مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً } هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تسلية الدعاة بمثل موقف نوح العظيم إذ قال لقومه : أجمعوا أمركم ونفذوا ما تريدون إني توكلت على الله .

2- ثمرة التوكل شجاعة واطمئنان نفس وصبر وتحمل مع مضاء عزيمة .

3- دعوة الله لا ينبغي أن يأخذ الداعي عليها أجراً للضرورة .

4- بيان سوء عاقبة المكذبين بعد إنذارهم وتحذيرهم .

(143/2)

فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (73) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (74) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (75) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (76) قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (77) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (78)

شرح الكلمات :

{ بالبينات } : أي بالحجج الواضحات على صدق دعوتهم ، وما يدعون إليه من توحيد الله تعالى .

{ نطبع } : الطبع على القلب عبادة عن تراكم الذنوب على القلب حتى لا يجد الإِيمان إليه طريقاً .

{ المعتدين } : الذين تجاوزوا الحد في الظلم والاعتداء على حدود الشرع .

{ الحق } : الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام وهي تسع .

{ لتلفتنا } : لتصرفنا وتحول وجوهنا عما وجدنا عليه آباءنا .

{ الكبرياء } : أي العلو والسيادة والملك على الناس .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى طرفاً من قصة نوح عليه السلام وأبرز فيها مظهر التوكل على الله تعالى من نوح لِيُقتَدَى ، ومظهر نصرة الله تعالى لأوليائه وهزيمته أعدائه ذكر هنا سنة من سننه في خلقه وهي أنه بعث من بعد نوح رسلاً كثيرين إلى أممهم فجاؤوهم بالبينات أي بالحجج والبراهين على صدقهم وصحة ما جاءوا به ودعوا إليه من توحيد الله ، فما كان أولئك الأقوام ليؤمنوا بما كذب به من سبقهم من نوح . قال تعالى : { كذلك نطبع على قلوب المعتدين } هذا بيان سنة الله تعالى في البشر وهي أن العبد إذا أذنب وواصل الذنب بدون توبة يصبح الذنب طبعاً من طباعه لا يمكنه أن يتخلى عنه ، وما الذنب إلا اعتداء على حدود الشارع فمن اعتدى واعتدى واصل الاعتداء حصل له الطبع وكان الختم على القلب فيصبح لا يقبل الإيمان ولا يعرف المعروف ولا ينكر المنكر . وقوله تعالى : { ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون } أي من بعد الأمم الهالكة بعثنا رسولينا موسى وهارون ابني عمران إلى فرعون وملئه بآياتنا المتضمنة الدالة على صحة مطلب رسولينا وهو توحيد الله وإرسال بني اسرائيل معهما ، { فاستكبروا } أي فرعون وملؤه { وكانوا قوماً مجرمين } حيث أفسدوا القلوب والعقول وسفكوا الدماء وعذبوا الضعفاء يقول تعالى عنهم { فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين } أي لما بهرتهم المعجزات وهي آيات موسى وأبطلت إفكهم قالوا إن هذا لسحر مبين تخلصاً من الهزيمة التي لحقتهم ، فرد موسى عليهم بقوله { أتقولون للحق لما جاءكم } هذا سحر ثم بعد توبيخهم أستدل على بطلان قولهم بكونه انتصر عليهم فأفلح بينهم وفاز عليهم فقال : { أسحر هذا ولا يفلح الساحرون } فلو كان ما جئت به سحراً فكيف أفلحت في إبطال سحركم وهزيمة سحرتكم . فلما أفحمهم بالحجة قالوا مراوغين : { أجئتنا لتفلتنا } أي تصرفنا { عما وجدنا عليه آباءنا ، وتكون لكما الكبرياء في الأرض } أي وتكون لكما السيادة والملك في أرض مصر فسلكوا مسلك الاتهام السياسي . وقالوا { وما نحن لكما بمؤمنين } أي بمصدقين ولا متبعين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان سنة الله في البشر وهي أن التوغل في الشر والفساد والظلم يوجب الختم على القلوب فيحرم العبد الإِيمان والهداية .

2- ذم الاستكبار وأنه سبب كثر من الإجرام .

3- تقرير أن السحر صاحبه لا يفلح أبداً ولا يفوز بمطلوب ولا ينجو من مرهوب .

4- الاتهامات الكاذبة من شأن أهل الباطل والظلم والفساد .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (79) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (80) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (81)

شرح الكلمات :

{ ساحر عليم } : أي ذو سحر حقيقي له تأثير عليم بالفن .

{ ألقوا } : أي ارموا في الميدان ما تريدون إلقاءه من ضروب السحر .

{ إن الله سيبطله } : أي يظهر بطلانه أمام النظارة من الناس .

{ ويحق الله الحق } : أي يقرر الحق ويثبته .

{ بكلماته } : أي بأمره إذ يقول للشيء كن فيكون .

{ المجرمون } : أهل الإجرام على أنفسهم وعلى غيرهم وهم الظلمة المفسدون .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر قصة موسى بعد قصة نوح عليهما السلام في الآيات السابقة لما غلب موسى فرعون وملأه بالحجة اتهم فرعون موسى وأخاه هارون بأنهما سياسيان يريدان الملك والسيادة على البلاد لا همَّ لهما إلا ذاك وكذب فرعون وهو من الكاذبين وهنا أمر رجال دولته أن يحضروا له علماء السحر ليبارى موسى في السحر فجمع سحرته فقال لهم موسى { ألقوا ما أنتم ملقون } فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ، فنظر إليه موسى وقال : { ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمونؤ وألقى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- للسحر طرق يتعلم بها وله علماء به وتعلمه حرام واستعماله حرام .

2- حد الساحر القتل لأنه إفساد في الأرض .

3- جواز المبارزة للعدو والمباراة له إظهاراً للحق وإبطالاً للباطل .

4- عاقبة الفساد وعمل أصحابه الخراب والدمار .

5- متى قاوم الحق الباطل انهزم الباطل وانتصر الحق بأمرالله تعالى ووعده الصادق .

وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (82) فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (83) وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (84) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (85) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (86) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (87)

شرح الكلمات :

{ فما آمن لموسى } : أي لم يَنْقَدْ له ويتبعه .

{ إلا ذرِّيَّة } : أي طائفة قليلة من أولاد بني إسرائيل .

{ وملائهم } : أي أشرافهم ورؤسائهم .

{ أن يفتنهم } : أن يضطهدهم ويعذبهم .

{ لعال في الأرض } : قاهر مُستبدٌ .

{ مسلمين } : مذعنين منقادين لأمره ونهيه .

{ فتنة للقوم الظالمين } : أي لاتفتنهم بنا بأن تنصرهم علينا فيروا أنهم خير منا فيزدادوا كفراً .

{ أن تبوَّءا } : اتخذوا لقومكما بمصر بيوتا تبوءون إليها وترجعون .

{ قبلة } : أي مساجد تصلون فيها .

معنى الآيات :

بعد ذلك الانتصار الباهر الذي تم لموسى على السحرة ، والهزيمة المرة التي لحقت فرعون ولم يؤمن لموسى ويتابعه إلا ذرّيّة من بني إسرائيل ، وعدد قليل من آل فرعون كامرأته ومؤمن آل فرعون والماشطة قال تعالى : { فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون } أي مع خوف من فرعون أن يفتنهم وقوله : { وملائهم } عائد إلى مؤمنى آل فرعون أي مع خوف من ملائهم أي رؤسائهم وأشرافهم أن يفتنوهم أيضاً ، وقوله تعالى { وإن فرعون لعال في الأرض } أي إنه قاهر متسلط مستبد ظالم ، { وإنه لمن المسرفين } في الظلم فلذا خافوه لما آمنوا ، ولما ظهر الخوف على بني إسرائيل قال لهم موسى { يا قوم إنكنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين } ففوضوا أمركم إليه إن كنتم حقاً مسلمين لله منقادين لأمره ونهيه ، فأجابوا قائلين : { على الله توكلنا } وسألوا الله تعالى أن لا يفتن قوم فرعون بهم بأن ينصرهم عليهم فيزدادوا كفراً وظلماً ، وضمن ذلك أن لا تسلط الظالمين علينا فيفتنونا في ديننا بصرفنا عنه بقوة التعذيب { ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين } وهذا حسن توسل منهم إذا قالوا برحمتك فتوسلوا إلى الله برحمته ليستجيب دعاءهم ، والمراد من القوم الكافرين هنا فرعون وملأه . وقوله تعالى : { وأوحينا إلى موسى وأخيه } أي هارون { أن تبوءا لقومكما } أي من بني إسرائيل { بمصر } أي بأرض مصر { بيوتاً ، واجعلوا بيوتكم قبلة } أي متقابلة ومساجد تصلون فيها { وأقيموا الصلاة } على الوجه الذي شرع لكم . وهذا بناء على أن بني إسرائيل بعد الانتصار على فرعون أخذوا ينحازون من مجتمع فرعون فأمروا أن يكونوا حياً مستقلاً استعداداً للخروج من أرض مصر فأمرهم الرب تبارك وتعالى أن يجعلوا بيوتهم قبلة أي متقابلة ليعرفوا من يدخل عليهم ومن يخرج منهم وليصلوا فيها كالمساجد حيث منعوا من المساجد إما بتخريبها وغما بمنعهم منها ظلماً وعدواناً وقوله تعالى { وبشر المؤمنين } أي وبشر يا رسولنا المؤمنين الصادقين في إيمانهم الكاملين فيه بحسن العاقبة بكرامة الدنيا وسعادة الآخرة

بدخول دار السلام .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أراه كيف انتصر موسى بالمعجزات ومع ذلك لم يتابعه إلا القليل من قومه .

2- التنديد بالعلو في الأرض والإسراف في الشر والفساد وبأهلهما .

3- وجوب التوكل على الله تعالى لتحمل عبء الدعوة إلى الله تعالى والقيام بطاعته .

4- مشروعية الدعاء والتوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته .

5- اتخاذ المساجد في المنازل للصلاة فيها عند الخوف .

6- وجوب إقام الصلاة .

7- بشرى الله تعالى للمؤمنين والمقيمين للصلاة بحسن العاقبة في الدارين .

(146/2)

وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (89)

شرح الكلمات :

{ زينة } : حلياً وحللاً ورياشاً ومتاعاً .

{ أموالاً } : أي كثيرة من الذهب والفضة والأنعام والحرث .

{ اطمس } : أي أزل أثرها من بينهم بإذهابها .

{ واشدد على قلوبهم } : اربط عليها حتى لا يدخلها إيمان ليهلكوا وهم كافرون .

{ أجيبت دعوتكما } : أي استجابها الله تعالى .

{ فاستقيما } : على طاعة الله بأداء رسالته والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه .

{ سبيل الذين لا يعلمون } : أي طريق الجهلة الذي لا يعرفون محاب الله ومساخطه ولا يعلمون شرائع الله التى أنزل لعباده .

معنى الآيتين :

ما زال السياق في قصة موسى مع فرعون وبنى إسرائيل فبعد أن لج فرعون في العناد والمكابرة بعد هزيمته سأل موسى ربه قائلاً { ربنا إنك آتيت فرعون وملأه } أي أعطيتهم { زينة } أي ما يتزين به من الملابس والفرش والأثاث وأنواع الحلي والحلل وقوله { وأموالاً } أي الذهب والفضة والأنعام والحرث { في الحياة الدنيا } أي في هذه الحياة الدنيا

وقوله : { ربنا ليضلوا عن سبيلك } أي فيسبب ذلك لهم الضلال إذاً { ربنا اطمس على أموالهم } أي أذهب أثرها بمسحها وجعلها غير صالحة للانتفاع بها ، { واشدد على قلوبهم } أي اطبع على قلوبهم واستوثق منها فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم الموجع أشد الإيجاع ، قال تعالى : { قد أجيبت دعوتكما ، فاستقيما } على طاعتنا بالدعوة إلينا وأداء عبادتنا والنصح لعبادنا والعمل على إنقاذ عبادنا من ظلم الظالمين ، { ولا تتبعانِّ حكم وتدابير وقضاء وقدر يستعجلون الله تعالى في وعده لهم فلا تكونوا مثلهم بل انتظروا وعدنا واصبروا حتى يأتي وعد الله . واما الله بمخلف وعده .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

1- مشروعية الدعاء بالهلاك على أهل الظلم .

2- كثرة المال وأنواع الزينة ، والانغماس في ذلك والتلهي به يسبب الضلال لصاحبه .

3- الذين بلغوا حداً من الشر والفساد فطبع على قلوبهم لا يموتون إلا على الكفر فيخسرون .

4- المؤمِّن داع فهو شريك في الدعاء فلذا أهل المسجد يؤمِّنون على دعاء الإمام في الخطبة فتحصل الإجابة للجميع ، ومن هنا يخطيء الذين يطوفون أو يزورون إذ يدعون بدعاء المطوف ولا يؤمِّنون .

5- حرمة اتباع طرق أهل الضلال ، وتقليد الجهال والسير وراءهم .

(147/2)

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92)

شرح الكلمات :

{ وجاوزنا ببني إسرائيل } : أي قطعنا بهم البحر حتى تجاوزوه .

{ البحر } : بحر القلزم .

{ بغيا وعدوا } : أي بغيا على موسى وهرو ن واعتداء عليهما .

{ الآن } : أي أفي هذا الوقت تقر بالوحدانية وتعترف له بالذلة؟! .

{ ببدنك } : أي بجسدك لا روح فيه .

{ آية } : علامة على أنك عبد وليس برب فيعتبروا بذلك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصة موسى وهرون مع فرعون وبني إسرائيل قال تعالى : { وجاوزنا ببني إسرائيل البحر } وذلك بداية لاستجابة الله تعالى دعوة موسى وهرون ومعنى { جاوزنا } أي قطعنا بهم البحر حتى تجاوزوه ، وذلك بأن أمر موسى أن

يضرب بعصاه البحر فضرب فانفلق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم ويَبِسَت الأرض ودخل موسى مع بني إسرائيل يتقدمهم جبريل عليه السلام على فرس حتى تجاوزا البحر إلى الشاطىء ، وجاء فرعون على فرسه ومعه ألوف الجنود فتبعوا موسى وبني إسرائيل فخلوا البحر فلما توسطوه أطبق الله تعالى عليهم البحر فغرقوا أجمعين إلا ما كان من فرعون فإنه لما أدركه الغرق أي لحقه ووصل الماء إلى عنقه أعلن عن توبته فقال : { آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل } ولكبريائه لم يقل لا إله إلا الله ولو قالها لتاب الله عليه فأنجاه بل قال : { لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل } وهو يعرف أنه الله . وقوله : { وأنا من المسلمين } مبالغة في طلب النجاة من الغرق بالتوبة حيث أعلن أنه من المسلمين أن المستسلمين المناقدين لأمره ، فرد الله تعالى بقوله : { آلآن } أي وقت التوبة والإسلام بعد الإيمان ، { وقد عصيت قبل } وتمردت على الله وشرعه وكفرت به وبرسوله { وكنت من المفسدين } للبلاد والعباد بالظلم والشر والفساد ، { فاليوم ننجيك } أي نجعلك على نجوة من الأرض أي مرتفع منها { ببدنك } أي بجسمك دون روحك ، وبذلك { لتكون لمن خلفك } أو بعدك من الناس { آية } أي علامة على أنك عبد مربوب وليس كما زعمت أنك رب وإله معبود ، وتكون عبرة لغيرك فلا يطغى طغيانك ولا يكفر كفرانك فيهلك كما هلك ، وقوله تعالى : { وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون } إخبار منه بواقع الناس ومن أولئك الغافلين عن آيات الله وهي تتلى عليهم أهل مكة من كفار قريش وما سيق هذا القصص إلا لأجل هدايتهم ، لو كانوا يهتدون .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- لا تقبل التوبة عند معاينة العذاب وفي الحديث (تقبل توبة العبد ما لم يغرغر) .

2- أكمل الأديان وأفضلها الإسلام ولها أهل اليقين يسألون الله تعالى أن يتوفاهم مسلمين ولما أيقن فرعون بالهلاك زعم أنه من المسلمين .

3- فضل لا إله إلا الله فقد ورد أن جبريل كان يحول بين فرعون وبين أن يقول : لا إله إلا الله فينجو فلم يقلها فغرق وكان من الهالكين .

4- تقرير حقيقة وهي أن أكثر الناس في هذه الحياة غافلون عما يراد بهم ولهم ولم ينتبهوا حتى يهلكوا .

(148/2)

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (93)

شرح الكلمات :

{ مبوأ صدق } : أي أنزلناهم منزلاً صالحاً طيباً مرضياً .

{ من الطيبات } : أي من أنواع الأرزاق الطيبة الحلال .

{ حتى جاءهم العلم } : وهو معرفتهم أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو النبي المنتظر وأنه المنجي .

{ يقضي بينهم } : يحكم بينهم .

{ فيما كانوا فيه يختلفون } : أي في الذي اختلفوا من الحق فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار .

معنى الآية الكريمة :

هذه خاتمة الحديث عن موسى وبني إسرائيل بعد أن نجاهم الله من عدوهم بإهلاكه في اليم قال تعالى : { ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق } أي أنزلناهم مبوأ صالحاً طيباً وهو بلاد فلسطين من أرض الشام المباركة ، وذلك بعد نجاتهم من التيه ودخولهم فلسطين بصحبة نبي الله يوشع بن نون عليه السلام ، وقوله { ورزقناهم من الطيبات } إذ أرض الشام أرض العسل والسمن والحبوب والثمار واللحم والفحم وذكر هذا إظهار لنعم الله تعالى ليشكروها . وقوله : { فما اختلفوا حتى جاءهم العلم } يريد أن بني إسرائيل الذين أكرمهم ذلك الإكرام العظيم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم متفقين على دين واحد منتظرين النبي المنتظر المبشر به في التوراة الذي سينقذ بني إسرائيل مما حل بهم من العذاب والاضطهاد على أيدي أعدائهم الروم ، فلما جاءهم وهو العلم وهو القرآن والمنزل عليه محمد صلى الله عليه وسلم اختلفوا فمنهم من آمن به ، ومنهم من كفر . وقوله تعالى في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم : { إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون } من أمر الإيمان لك واتباعك و اتباع ما جئت به من الهدى ودين الحق ، فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل الكفار النار .

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

1- بيان إكرام الله تعالى لبني إسرائيل .

2- الرزق الطيب هو ما كان حلالاً لا ما كان حراماً .

3- إذا أراد الله هلاك أمة اختلفت بسبب العلم الذي هو في الأصل سبب الواحدة والوئام .

4- حرمة الاختلاف في الدين إذ كان يؤدي إلى الانقسام والتعادي والتحاب .

5- يوم القيامة هو يوم الفصل الذي يقضي الله تعالى فيه بين المختلفين بحكمه العادل .

(149/2)

فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (94) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (95) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (96) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (97)

شرح الكلمات :

{ شك } : ما قابل التصديق فالشاك غير المصدق .

{ مما أنزلنا إليك } : أي في أن بني إسرائيل لم يختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم .

{ الكتاب } : أي التوراة والإنجيل .

{ فلا تكونن من الممترين } : أي لا تكونن من الشاكرين .

{ حقت عليهم } : أي وجبت لهم النار بحكم الله بذلك في اللوح المحفوظ .

{ حتى يروا العذاب } : أي يستمرون على تكذيبهم حتى يروا العذاب فيؤمنوا حيث لا ينفع الإيمان .

معنى الآيات :

يقرر تعالى نبوة رسوله { فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك } أحبار اليهود ورهبان النصارى فإنهم يعرفون نعوتك وصفاتك في التوراة والإنجيل وإنك النبي الخاتم والمنقذ وأن من آمن بك نجا ومن كفر هلك وهذا من باب الفرض وليكون تهييجاً للغير ليؤمن وإلا فهو صلى الله عليه وسلم قد قال : « لا أشك ولا أسأل » وقوله { لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين } ، يقسم تعالى لرسوله بأنه قد جاءه الحق من ربه وهو الحديث الثابت بالوحي الحق وينهاه أن يكون من الممترين أي الشاكين في صحة الإسلام ، وأنه الدين الحق الذي يأبى الله إلا أن يظهره على الدين كله ولو كره المشركون . وقوله { ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين } أي وينهاه أيضاً أن يكون من الذين كذبوا بوحي الله وشرعه ورسوله المعبر عنها بالآيات لأنها حاملة لها داعية إليها ، فتكون من الخاسرين يوم القيامة . وهذا كله من باب « إياك أعني واسمعي يا جاره » وإلا فمن غير الجائز أن يشك الرسول أو يكذب بما أنزل عليه من الآيات الحاملة من الشرائع والأحكام . وقوله تعالى : { إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية } هو كما أخبر عز وجل فالذين قضى الله بعذابهم يوم القيامة فكتب ذلك في كتاب المقادير عند هؤلاء لا يؤمنون أبداً مهما بذل في سبيل إيمانهم من جهد في تبيين الحق وإقامة الأجلة وإظهار الحجج عليهم وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من جراء ما يألم له ويحزن من إعراض كفار قريش وعدم استجابتهم وقوله { ولو جاءتهم كل آية } تأكيد للحكم السابق وهو أن الذي حكم الله بدخولهم النار لا يؤمنون ولا يموتون إلا كافرين لينجز الله ما وعد ويمضي ما قضى وحكم . وقوله : { حتى يروا العذاب الأليم } أي يستمرون على كفرهم بك وبما جئت به حتى يشاهدوا العذاب الأليم وحينئذ يؤمنون كما آمن فرعون عندما أدركه الغرق ولكن لم ينفعه إيمانه فكذلك هؤلاء المشركون من قومك الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم وعندئذ لا ينفعهم إيمانهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم .

2- سؤال من لا يعلم من يعلم .

3- التكذيب بآيات الله كفر وصاحبه من الخاسرين .

4- الشك والافتراء في أصول الدين وفروعه كفر .

5- تقرير عقيدة القضاء والقدر ، وإن الشقي من شقي في كتاب المقادير والسعيد من سعد فيه .

6- عدم قبول توبة من عاين العذاب في الدنيا بأن رأى ملك الموت وفي الآخرة بعد أن يبعث ويشاهد أهوال القيامة .

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (98) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (99) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (100)

شرح الكلمات :

{ فلولا } : أداة تحضيض هنا بمعنى هلاّ وفيها معنى التوبيخ والنفي .

{ قرية آمنت } : أي أهل قرية آمنوا .

{ يونس } : هو يونس بن مَتَّى نبي الله ورسوله .

{ إلى حين } : أي إلى وقت انقضاء آجالهم .

{ أفأنت تكره الناس } : أي إنك لا تستطيع ذلك .

{ إلا بإذن الله } : أي بإرادته وقضائه .

{ الرجس } : أي العذاب .

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى في الآيات السابقة أن الخسران لازم لمن كذب بآيات الله ، وأن الذين وجب لهم العذاب لإحاطة ذنوبهم بهم لا يؤمنون لفقدهم الاستعداد للإيمان ذكر هنا ما يحض به أهل مكة على الإيمان وعدم الإصرار على الكفر والتكذيب فقال : { فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها } أي فهلا أهل قرية آمنوا فانتفقوا بإيمانهم فنجوا من العذاب اللازم لمن لم يؤمن أي لِمَ لا يؤمنون وما المانع من إيمانهم وهذا توبيخ لهم . وقوله { إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا } فلم نهلكهم بعذاب استئصال وإبادة شاملة لأنهم لما رأوا أمارات العذاب بادروا إلى التوبة قبل نزوله بهم فكشف الله تعالى عنهم العذاب ، ومتعهم بالحياة إلى حين انقضاء آجالهم فما لأهل أم القرى لا يتوبون كما تاب أهل نَيْنَوى من أرض الموصل وهم قوم يونسَ عليه السلام .

وقوله تعالى : { ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً } يحمل دلالتين الأولى أن عرض الله تعالى الإيمان على أهل مكة وحضهم عليه توبيخهم على تركه لا ينبغي أن يفهم منه أن الله تعالى عاجز عن جعلهم يؤمنون بل لو شاء إيمانهم لمنوا كما لو شاء إيمان أهل الأرض جميعاً لآمنوا والثانية تسلية الرسول والتخفيف عنه من ألم وحزن عدم إيمان قومه وهو يدعوهم بجد وحرص ليل نهار فأعلمه ربه أنه لو شاء إيمان كل من في الأرض لآمنوا ، ولكنه التكليف المترتب عليه الجزاء فيعرض الإيمان على الناس عرضاً لا إجبار معه فمن آمن نجا ، ومن لم يؤمن هلك ويدل على هذا قوله له { أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين } أي إن هذا ليس لك ، ولا كلفت به ، وقوله تعالى : { وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله } تقرير وتأكيد لما تضمنه الكلام السابق من أن الإيمان لا يتم لأحد إلا بإرادة الله وقضائه ، وقوله تعالى : { ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون } أي إلا أنه تعالى يدعو الناس إلى الإيمان مبيناً لهم ثمراته الطيبة ويحذرهم من التكذيب مبيناً لهم آثاره السيئة فمن آمن نجاه وأسعده ومن لم يؤمن جعل الرجس الذي هو العذاب عليه محيطاً به جزاء له لأنه لا يعقل إذ لو عقل لما كذب ربه وكفر به وعصاه وتمرد عليه وهو خالقه ومالك أمره .

هداية الآيات

من هداية الآيات : 1- من مظاهر رحمة الله تعالى بعباده دعوته إياهم إلى الإيمان به وحضهم عليه .

2- قبول التوبة قبل معاينة العذاب ، ورؤية العلامات لا تمنع من التوبة .

3- إرادة الله الكونية التي يكون بها الأشياء لا تتخلف أبداً ، وإرادته الشرعية التكليفية جائزة التخلف .

4- لا إيمان إلا بإذن الله وقضائه فلذا لا ينبغي للداعي أن يحزن على عدم إيمان الناس إذا دعاهم ولم يؤمنوا لأن الله تعالى كتب عذابهم أزلاً وقضى به .

(151/2)

قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101) فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (102) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ (103)

شرح الكلمات

{ ماذا في السموات والأرض } : أي من عجائب المخلوقات ، وباهر الآيات .

{ وما تغني الآيات والنذر } : أي ما تغني أيَّ إغناء إذا كان القوم لا يؤمنون .

{ فهل ينتظرون } : أي ما ينتظرون .

{ خلا من قبلهم } : أي مضوا من قبلهم من الأمم السابقة .

{ قل فانتظروا } : أي العذاب .

{ ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا } : أي من العذاب المنتظر .

{ كذلك } : أي كذلك الإنجاء ننج المؤمنين .

معنى الآيات :

ما زال السياق في دعوة قريش إلى الإيمان والتوحيد والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقد أمر تعالى رسوله أن يقول لهم : { قل انظروا ماذا في السموات والأرض } من سائر المخلوقات وما فيها من عجائب الصنعة ، ومظاهر الحكمة والرحمة والقدر فإنها تدعو إلى الإيمان بالله رباً وإلهاً لا إله غيره ولا رب سواه ، وتنفد دعوى ألوهية الأصنام والأحجار . ثم قال تعالى : { وما تغني الآيات والنذر } أي الرسل في هداية قوم قضى الله تعالى أزلاً أنهم لا يؤمنون حتى إلى ما قدر لهم وما حكم به عليهم من عذاب الدنيا والآخرة ولكن لما كان علم ذلك إلى الله تعالى فعلى النذر أن تدعو وتبلغ جهدها والأمر لله من قبل ومن بعد . وقوله : { فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم } أي إنهم ما ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلفوا من قبلهم من قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم دعتهم رسلهم وبلغتهم دعوة ربهم إليه إلى الإيمان والتوحيد والطاعة فأعرضا فأخذهم الله إنه قوى شديد العقاب .

ثم أمر الله تعالى رسوله أن يقول لهم { فانتظروا } أي ما كتب عليكم من العذاب إن لم تتوبوا إليه وتسلموا { إني معكم

من المنتظرين } فإن كان العذاب فإن سنة الله فيه أن يهلك الظالمين المشركين المكذبين وينجي رسله والمؤمنين وهو معنى قوله تعالى في الآية الأخيرة (103) { ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا ، كذلك } إي الإنجاء { حقاً علينا ننج المؤمنين } .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- لا تنفع الموعظة مهما بولغ فيها عبداً كُتب أزلاً أنه من أهل النار .

2- ما ينتظر الظلمة في كل زمان ومكان إلا ما حل بمن ظلم من قبلهم من الخزي والعذاب .

3- وعد الله تعالى ثابت لأوليائه بإنجائهم من الهلاك عند أهلاكه الظلمة المشركين .

(152/2)

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (104) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (105) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ (106) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (107)

شرح الكلمات :

{ من دينى } : أي الإسلام في أنه حق .

{ يتوفاكم } : أي يقبض أرواحكم فميتكم .

{ وإن أقم وجهك للدين : أي أمرني ربي أن أقم وهي للدين الإسلامي حنيفاً أي مائلاً حنيفاً } عن كل الأديان إليه دون غيره .

{ ما لا ينفعك ولا يضرك } : أي آلهة لا تنفع ولا تضر وهي أصنام المشركين وأوثانهم .

{ إنك إذاً من الظالمين } : أي إنك إذا دعوتها من المشركين الظالمين لأنفسهم .

{ فلا كاشف له إلا هو } : أي لا مزيل للضُّر ومبعده عمن أصابه إلا هو عز وجل .

{ يصيب به } : أي بالفضل والرحمة .

{ وهو الغفور الرحيم } : أي لذنوب عباده التائبين الرحيم بعباده المؤمنين .

معنى الآيات :

بعد أن بين تعالى طريق الهدى وطريق الضلال وأنذار وحذرو واعد وأوعد في الآيات السابقة بما لا مزيد عليه أمر رسوله هنا أن يواجه المشركين من أهل مكة وغيرهم بالتقرير التالي فقال : { قل يا أيها الناس } أي مشركي مكة والعرب من حولهم { إن كنتم في شك } وريب في صحة ديني الإسلام الذي أنا عليه وأدعوا إليه ، { فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله } فمجرد شككم في صحة ديني لا يجعلني أبعد أوثاناً وأصناماً لا تنفع ولا تضر ، { ولكن أعبد الله } الذي

ينفع ويضر ، يحيي ويميت ، الله الذي يتوفاكم أي يميتكم بقبض أرواحكم فهو الذي يجب أن يعبد ويخاف ويرهب { وأمرت أن أكون من المؤمنين } أي أمرني ربي أن أومن به فأكون من المؤمنين فآمنت وأنا من المؤمنين . وقوله تعالى : { وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين } أي وأوحى إليَّ ربي آمراً إياي بأن أقيم وجهي لدينه الحق فلا ألتفت إلى غيره من الأديان الباطلة ، ونهاني مشدداً علي أن أكون من المشركين الذين يعبدون معه آلهة أخرى بعد هذا الإعلان العظيم والمفاصلة الكاملة والتعريض الواضح بما عليه أهل مكة من الضلال والخطأ الفاحش ، واجه الله تعالى رسوله بالخطاب وهو من باب « إياك أعني واسمعي يا جاره » فنهاه بصريح القول أن يدعو من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره وهو كل المعبودات ما سوى الله عز وجل فقال : { ولا تدع من دون ما لا ينفعك } أي لا يجلب لك نفعاً ولا يدفع عنك ضراً ، ولا يضرك بمنع خير عنك ، ولا بإنزال شر بك فإن فعلت بأن دعوت غير الله فإنك إذاً من الظالمين ، ولما كان دعاء النبي غير الله ممتنعاً فالكلام إذاً تعريض بالمشركين وتحذير للمؤمنين ، وقوله تعالى : في خطاب رسوله : { وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له } عنك { إلا هو } عز وجل ، { وإن يردك بخير } من الخيور عافية وصحة رخاء ونصر { فلا راد لفضله } أي ليس هناك من يرده عنك بحال من الأحوال ، وقوله : { يصيب } أي بالفضل والخير والنعمة { من يشاء من عباده } إذ هو الفاعل المختار ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وقوله : { وهو الغفور الرحيم } بيان لصفات الجلال والكمال فيه فإنه تعالى يغفر ذنوب التائبين إلأيه مهما بلغت في العظم ، ويرحم عباده المؤمنين مهما كثروا في العدد ، وبهذا استوجب العبادة بالمحبة والتعظيم والطاعة والتسليم .

(153/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- على المؤمن أن لا يترك الحق مهما شك وشكك فيه الناس .

2- تحريم الشرك ووجوب تركه وترك أهله .

3- دعاء غير الله مهما كان المدعو شرك محرم فلا يحل أبداً ، وإن سموه توسلاً .

4- لا يؤمن عبد حتى يوقن أن ما أراده الله له من خير أو شر لا يستطيع أحد دفعه ولا تحويله .

بحال من الأحوال ، وهو معنى حديث : « ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك » .

(154/2)

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (108) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (109)

شرح الكلمات :

{ يا أيها الناس } : أي يا أهل مكة .

{ قد جاء الحق } : أي الرسول يتلو القرآن ويبين الدين الحق .

{ من اهتدى } : أي آمن بالله ورسوله وعبد الله تعالى موحداً له .

{ ومن ضل } : أي أبى إلا الإصرار على الشرك والتكذيب والعصيان .

{ فعليها } : أي وبال الضلال على نفس الضال كما أن ثواب الهداية لنفس المهتدي .

{ وما أنا عليكم بوكيل } : أي بمجبر لكم على الهداية وإنما أنا مبلغ ونذير .

{ واصبر حتى يحكم الله } : أي في المشركين بأمره .

{ خير الحاكمين } : أي رحمة وعدلاً وإنفاذاً لما يحكم به لعظيم قدرته .

معنى الآيتين :

هذا الإعلان الأخير في هذه السورة يأمر الله تعالى رسوله أن ينادى المشركين بقوله : { يا أيها الناس } وهو نداء عام يشمل البشرية كلها وإن أريد به ابتداء أهل مكة { قد جاءكم الحق من ربكم } وهو القرآن يتلوه رسول الله وفيه بيان الدين الحق الذي لا كمال للإنسان له إلا بالإيمان به والأخذ الصادق بما تضمنه من هدى . وبعد فمن اهتدى بالإيمان والاتباع فإنما ثواب هدايته لنفسه إذ هي التي تزكوا وتَطْهُر وتتأهل لسعادة الدارين ، ومن ضل بالإصرار على الشرك والكفر والتكذيب فإنما ضلاله أي جزاء ضلاله عائد على نفسه إذ هي التي تَتَدَسَّى وتخبُث وتتأهل لمقت الله وغضبه وأليم عقابه . وما على الرسول المبلغ من ذلك شيء ، إذ لم يوكل إليه ربه هداية الناس بل أمره أن يصرح لهم بأنه ليس عليهم بوكيل { وما أنا عليكم بوكيل } وقوله تعالى : { واتبع ما يوحى إليك } أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالتزام الحق باتباع ما يوحى من الأوامر والنواهي وعدم التفريط في شيء من ذلك ، ولازم هذا وهو عدم اتباع ما لا يوحى إليه به ربه وقوله : { واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين } أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على اتباع الوحي والثبات على الدعوة وتحمل الأذى من المشركين إلى غاية أن يحكم الله فيهم وقد حكم فأمره بقتالهم فقتلهم في بدر وواصل قتالهم حتى دانوا لله بالإسلام ولله الحمد والمنَّة ، وقوله { وهو خير الحاكمين } ثناء على الله تعالى بأنه خير من يحكم وأعدل من يقضي لكمال علمه وحكمته ، وعظيم قدرته ، وواسع رحمته .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير أن القرآن والرسول حق والإسلام حق .

2- تقرير مبدأ أن المرء يشقى ويسعد بكسبه لا بكسب غيره .

3- وجوب اتباع الوحي الإلهي الذي تضمنه القرآن والسنة الصحيحة .

4- فضيلة الصبر وانتظار الفرج من الله تعالى .

– سورة هود –

الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (2) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (3) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (4) أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (5)

شرح الكلمات :

{ آلر } : هذا أحد الحروف المقطعة : يكتب آلر ويقرأ ألف ، لام ، را .

{ احكمت } : أي نظمت نظماً متقناً ورصفت ترصيفاً لا خلل فيه .

{ فصلت } : أي ببيان الأحكام ، والقصص والمواعظ ، وأنواع الهدايات .

{ من لدن } : أي من عند حكيم خبير وهو الله جل جلاله .

{ متاعاً حسناً } : أي بطيب العيش وسعة الرزق .

{ إلى أجل مسمى } : أي موت الإنسان بأجله الذي كتب له .

{ ويؤت كل ذي فضل } : أي ويعط كل ذي عمل صالح فاضل جزاءه الفاضل .

{ عذاب يوم كبير } : هو عذاب يوم القيامة .

{ يثنون صدورهم } : أي يطأطئون رؤوسهم فوق صدورهم ليستتروا عن الله في زعمهم .

{ يستغشون ثيابهم } : يغطون رؤوسهم ووجوههم حتى لا يراهم الله في نظرهم الباطل .

معنى الآيات : قوله تعالى { آلر } هذا الحرف مما هو متشابه ويحسن تفويض معناه إلى الله فيقال : الله أعلم بمراده بذلك . إن أفاد فائدتين الأولى : أن القرآن الكريم الذي تحداهم الله بالإتيان بمثله أو بسورة من مصله قد تألف من مثل هذه الحروف : آلم ، آلر ، طه ، طس حم ، ق ، ن ، فألفوا مثله فإن عجزتم فاعلموا أنه كتاب الله ووحيه وأن محمداً عبده ورسوله فآمنوا به ، والثانية أنهم لما كانوا لا يريدون سماع القرآن بل أمروا باللغو عند قراءته ، ومنوا الاستعلان به جاءت هذه الحروف على خلاف ما ألفوه في لغتهم واعتادوه في لهجاتهم العربية فاضطرتهم إلى سماعه فإذا سمعوا تأثروا به وآمنوا ولنعم الفائدة أفادتها هذه الحروف المقطعة .

وقوله تعالى { كتاب أحكمت آياته } أي المؤلف من هذه الحروف كتاب عظيم أحكمت آياته أي رصفت ترصيفاً ونظمت تنظيماً متقناً لا خلل فيها ولا في تركيبها ولا معانيها ، وقوله : { ثم فصلت } أي بين ما تحمله من أحكام وشرائع ، ومواعظ وعقائد وآدات وأخلاق بما لا نظير له في أي كتاب سبق ، وقوله : { من لدن حكيم خبير } أي تولى تفصيلها حكيم خبير ، حكيم في تدبيره وتصرفه ، حكيم في شرعه وتربيته وحكمه وقضائه ، خبير بأحوال عباده وشؤون خلقه ، فلا يكون كتابه ولا أحكامه ولا تفصيله إلا المثل الأعلى فى كل ذلك .

وقوله { ألا تعبدوا إلا الله إنيي لكم منه نذير وبشير } أي أنزل الكتاب وأحكم أيَةُ وفصَّل أحكامه وأنواع هدايته بأن لا تعبدوا إلا الله إذ لا معبود حق إلا هو ولا عبادة تنفع إلا عبادته . وقوله { إنيي كلم منه نذير وبشير } هذا قول رسوله المبلغ عنه يقول أيها الناس إنى لكم منه أي من ربكم الحكيم العليم نذير بين يدي عذاب شديد إن لم تتوبوا فتؤمنوا

وتوحدوا . وبشير أي أبشر من آمن ووحد وعمل صالحاً بالجنة في الآخرة { وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى } أي وبأن تستغفروا ربكم باعترافكم بخطأكم بعبادة غيره ، ثم تتوبوا إليه أي ترجعوا إليه بالإيمان به وبرسوله ووعده ووعيده وطاعته في أمره ونهيه ، ولكم جزاء على ذلك وهو أن يمتعكم في هذه الحياة متاعاً حسناً بالنعم الوفيرة والخيرات الكثيرة إلى نهاية آجالهم المسماة لكل واحد منكم .

(156/2)

وقوله { ويؤت كل ذي فضل فضله } أي ويعط سبحانه وتعالى كل صاحب فضل في الدنيا من بر وصدقة وإحسان فضله تعالى يوم القيامة في دار الكرامة الجنة دار الأبرار . وقوله : { وإن تولوا } أي تعرضوا عن هذه الدعوة فتبقوا على شرككم وكفركم { فإنِّي أخاف عليكم عذاب يوم كبير } وهو عذاب يوم القيامة . وقوله تعالى : { إلى الله مرجعكم } يخبرهم تعالى بعد أن أنذرهم عذاب يوم القيامة بأن مرجعهم إليه تعالى لا محالة فسوف يخبرهم بعد موتهم ويجمعهم عنده ويجزيهم بعدله ورحمته { وهو على كل شيء قدير } ومن ذلك احياؤهم بعد موتهم ومجازاتهم السيئة بمثلها والحسنة بعشر أمثلها وهذا هو العدل والرحمة اللذان لا نظير لهما .

وقوله تعالى : { ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه } هذا النوع من السلوك الشائن الغبي كان بعضهم يثني صدره أي يطأطيء رأسه ويميله على صدره حتى لا يراه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم يفعل ذلك ظناً منه أنه يخفي نفسه عن الله تعالى وهذا نهاية الجهل ، وبعضهم يفعل ذلك بغضاً للرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا يراه فرد تعالى هذا بقوله : { ألا حين يستغشون ثيابهم } أي يتغطون بها { يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور } فلا معنى لاستغشاء الثياب استتاراً بها عن الله تعالى فإن الله يعلم سرهم وجهرهم ويعلم ما تخفي صدورهم وإن كانوا يفعلون ذلك بغضاً للنبي صلى الله عليه وسلم ، فبئس ما صنعوا وسيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- مظهر من مظاهر إعجاز القرآن وهو أنه مؤلف من الحروف المقطعة ولم تستطع العرب الإتيان بسورة مثله .

2- بيان العلة في إنزال الكتاب وأحكام آيِهِ وتفصيلها وهي أن يعبد الله تعالى وحده وأن يستغفره المشركون ثم يتوبون إليه ليكملوا ويسعدوا في الدنيا والآخرة .

3- وجوب التخلي عن الشرك أولا ، ثم العبادة الخالصة ثانياً .

4- المعروف لا يضيع عند الله تعالى إذا كان صاحبه من أهل التوحيد { ويؤت كل ذي فضل فضله } .

5- بيان جهل المشركين الذين كانوا يستترون عن الله برؤوسهم وثيابهم .

6- مرجع الناس إلى ربهم شاءوا أم أبوا والجزاء عادل ولا يهلك على الله إلا هالك .

(157/2)

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (6) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7) وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (8)

شرح الكلمات :

{ من دابّة } : أي حيّ يدبّ على الأرض أي يمشي من إنسان وحيوان .

{ مستقرها } : أي مكان استقراها من الأرض .

{ ومستودعها } : أي مكان استيداها قبل استقرارها كأصلاب الرجار وأرحام النساء .

{ في كتاب مبين } : أي اللوح المحفوظ .

{ في ستة أيام } : أي الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة .

{ وكان عرشه على الماء } : إذ لم يكن قد خلق شيئاً من المخلوقات سواه ، والماء على الهواء .

{ ليبلوكم } : أي ليختبركم ليرى أيكم أحسن عملاً .

{ إلى أمة معدودة } : أي إلى طائفة من الزمن معدودة .

{ وحاق بهم } : أي نزل وأحاط بهم .

معنى الآيات :

لما أخبر تعالى في الآية السابقة انه عليم بذات الصدور ذكر في هذه مظاهر علمه وقدرته تقريراً لما تضمنته الآية السابقة فقال عز وجل { وما من دابّة في الأرض } من إنسان يمشي على الأرض أو حيوان يمشي عليها زاحفاً أو يمشي على رجلين أو أكثر أو يطير في السماء إلا وقد تكفّل الله بزرقها أي بخلقه وإيجاده لها وبتعليمها كيف تطلبه وتحصل عليه ، وهو تعالى يعلم كذلك مستقرها أي مكان استقرار تلك الدابة في الأرض ، كما يعلم أيضاً مستودعها بعد موتها إلى تبعث ليوم القيامة .

وقوله تعالى { كل في كتاب مبين } أي من الدبة ورزقها ومستقرها ومستودعها قد دوّن قبل خلقه في كتاب المقادير اللوح المحفوظ ، وقوله تعالى في الآية (7) { وهو الذي خلق المسوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء } أي أوجد السموات السبع والأرض وما فيها في ظرف ستة أيام وجائز أن تكون كأيام الدنيا ، وجائز أن تكون كالأيام التي عنده وهي ألف سنة لقوله في سورة الحج { وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون } وقوله { وكان عرشه على الماء } أي خلق العرش قبل خلق السموات والأرض ، والعرش : سرير المُلك ومنه يتم تدبير كل شيء في هذه الحياة ، وقوله { على الماء } إذ لم يكن أرض ولا سماء فلم يكن إلا الماء كالهواء . وقوله تعالى { ليبلوكم أيكم أحسن عملاً } أي خلقكم وخلق كل شيء لأجلكم ، ليختبركم أيكم أطوع له وأحسن عملا أي بإخلاصه لله تعالى وحده وبفعله على نحو ما شرعه الله وبيّنه رسوله .

هذه مظاهر علمه تعالى وقدرته وبها استوجب العبادة وحده دون سواه وبها عُلم أنه لا يخفى عليه من أمر عباده شيء فكيف يحاول الجهلة إخفاء ما في صدورهم وما تقوم به جوارحهم بثني صدورهم واستغشاء ثيابهم . ألا ساء ما يعملون .

وقوله تعالى { ولئن قُلت } – أي أيها الرسول للمشركين – إنكم مبعوثون من بعد الموت ، أي مخلوقون خلقاً جديداً

ومبعوثون من قبوركم لمحاسبتكم ومجازاتكم بحسب أعمالكم في هذه الحياة الدنيا { ليقولن الذين كفروا } أي عند سماع أخبار الحياة الثانية وما فيها من نعيم مقيم ، وعذاب مهين { إن هذا إلا سحر مبين } أي ما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الكلام ما هو إلا سحر مبين يريد به صرف الناس عن ملذاتهم ، وجمعهم حوله ليترأس عليهم ويخدموه ، وهو كلام باطل وظن كاذب وهذا شأن الكافر ، وقوله تعالى في الآية (8) { ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة } أي ولئن أخرنا أي أرجأنا ما توعناهم به من عذاب ألى أوقات زمانية معدودة الساعات والأيام والشهور والأعوام { ليقولن ما يحبسه } أي شيء حبس العذاب يقولون هذا إنكارً منهم واستخفافاً قال تعالى { ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم } أي ليس هناك من يصرفه ويفعه عنهم بحال من الأحوال ، { وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون } أي ونزل بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون بقولهم : { ما يحبسه!!؟

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- سعة علم الله تعالى وتكفله بأرزاق مخلوقاته من إنسان وحيوان . 2- بيان خلق الأكوان ، وعلة الخلق .

3- تقرير مبدأ البعث الآخر بعد تقرير الألوهية الله تعالى .

4- لا ينبغي الاغترار بإمهال الله تعلى لأهل معصيته ، فإنه قد يأخذهم فجأة وهم لا يشعرون .

(158/2)

وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (9) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (10) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (11)

شرح الكلمات :

{ أذقنا الإنسان } : أي أنلناه رحمة أي غنى وصحة .

{ ثم نزعناها منه } : أي سلبناها منه .

{ يؤوس كفور } : أي كثير اليأس أي القنوط شديد الكفر .

{ نعماء بعد ضراء } : أي خيراً بعد شر .

{ السيئات } : جمع سيئة وهي ما يسوء من المصائب .

{ فرح فخور } : كثير الفرح والسرور والبطر .

{ صبروا } : أي على الضراء والمكاره .

{ مغفرة } : أي لذنوبهم .

{ وأجر كبير } : أي الجنة دار الأبرار .

معنى الآيات :

يخبر تعال أن الإنسان الذي لم يستنر بنور الإيمان ولم يتحل بصالح الأعمال إن أذاقه الله تعالى رحمة منه برخاء وسعة عيش وصحة بدن ، ثم نزعها منه لأمر أراده الله تعالى { إنه } اي ذلك الإنسان { ليؤوس } أي كثير اليأس والقنوط { كفور } لربه الذي أنعم عليه جحود لما كان قد أنعم به عليه .
وقوله { ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء } أي أذقناه طعم نعمة ولذاذة رخاء وسعة عيش وصحة بدن بعد ضراء كانت قد أصابته من فقر ومرض { ليقولن } بدل أن يحمد الله ويشكره على إسعاده بعد شقاء وإغنائه بعد فقر وصحة بعد مرض يقول متبجحاً { ذهب السيئات عني إنه لفرح } أي كثير السرور { فخور } كثير الفخر والمباهاة ، وهذا علته ظلمة النفس بسبب الكفر والمعاصي ، أما الإنسان المؤمن المطيع لله ورسوله فعلى العكس من ذلك إن أصابته سراء شكر ، وإن أصابته ضراء صبر ، وذلك لما في قلبه من نور الإيمان وفي نفسه من زكاة الأعمال .
هذا ما تضمنه قوله تعالى { إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة } أي لذنوبهم { وأجر كبير } عن ربهم وهو الجنة دار السلام .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- أن الإنسان قبل أن يطهر بالإيمان والعمل الصالح يكون في غاية الضعف والانحطاط النفسي .
2- ذم اليأس والقنوط ولحرمتهما .
3- ذم الفرح بالدنيا والفخر بها .
4- بيان كمال المؤمن الروحي المتمثل في الصبر والشكر وبيان جزائه بالمغفرة والجنة .

(159/2)

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (12) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (14)

شرح الكلمات :

{ فلعلك } : للاستفهام الإنكاري أي لا يقع منك ترك ولا يضف صدرك .
{ ضائق به صدرك } : أي بتلاوته عليهم كراهية أن يقولوا كذا وكذا .
{ كنز } : مال كثير تنفق منه على نفسك وعلى أتباعك .
{ وكيل } : أي رقيب حفيظ .
{ افتراه } : اختلقه وكذبه .
{ من استطعتم } : من قدرتم على دعائهم لإعانتكم .
{ فهل أنتم مسلمون } : أي أسلموا لله بمعنى انقادوا لأمره وأذعنوا له .

معنى الآيات :

بعد أن كثرت مطالبة المشركين الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يحول لهم جبال مكة ذهباً في اقتراحات منها لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم { فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك } أي لا تتلوه على المشركين ولا تبلغهم إياه لتهاونهم به وإعراضهم عنه { وضائق به صدرك } أي بالقرآن ، كراهة أن تواجههم به فيقولوا { لولا أنزل عليه كنز } أي مال كثير يعيش عليه فيدل ذلك على إرسال الله له { أو جاء معه ملك } يدعو بدعوته ويصدقه فيها ويشهد له بها فلا ينبغي أن يكون ذلك منك أي بلغ ولا يضق صدرك { إنما أنت نذير } أي محذر عواقب الشرك والكفر والمعاصي ، والله الوكيل على كل شيء أي الرقيب الحفيظ أما أنت ليس عليك من ذلك شيء .

وقوله تعالى { أم يقولون افتراه } أي بل يقولون افتراه أي افترى القرآن وقال من نفسه بدون ما أوحي إليه ، قل في الرد عليهم { فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم } دعوتهم لإعانتكم { إن كنتم صادقين } في دعواكم أني افتريته ، فإن لم تستطيعوا ولن تستطيعوا فتوبوا إلى ربكم وأسلموا له .

وقوله { فإن لم يستجيبوا لكم } أي قل لهم يا رسولنا فإن لم يستجب لنصرتكم من دعوتموه وعجزتم { فاعلموا أنما أنزل بعلم الله } أي أنزل القرآن متلبساً بعلم الله وذلك أقوى برهان على أنه وحيه وتنزيله { وأن لا إله إلا هو } أي وأنه لا إله إلا الله ولا معبود بحق سواه ، وأخيراً { فهل أنتم مسلمون } أي أسلموا بعد قيام الحجة عليكم بعجزكم ، وذلك خير لكم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- بيان ولاية الله لرسوله وتسديده له وتأييده .

2- بيان ما كان عليه المشركون من عناد في الحق ومكابرة .

3- بيان أن الرسول صلى الله عليه وسلم لَمْ يُكَلَّفْ هداية الناس وإنما كلف إنذارهم عاقبة كفرهم وعصيانهم ، وعلى الله تعالى بعد ذلك مجازاتهم .

4- تحدي الله تعالى منكري النبوة والتوحيد بالإتيان بعشر سور من مثل القرآن فعجزوا وقامت عليهم الحجة وثبت أن القرآن كلام الله ووحيه وأن محمد عبده ورسوله وأن الله لا إله إلا هو .

(160/2)

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (16) أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (17)

شرح الكلمات :

{ زينة الحياة } : المال والولد وأنواع اللباس والطعام والشراب .

{ توفّ إليهم } : نعطهم نتاج أعمالهم وافياً .

{ لا يبخسون } : أي لا نقصون ثمرة أعمالهم .

{ وحبط } : أي بطل وفسد .

{ على بينة من ربه } : أي على علم يقيني .

{ ويتلوه شاهد منه } : أي يتبعه .

{ كتاب موسى } : أي التوراة .

{ ومن يكفر به } : أي بالقرآن .

{ فالنار موعده } : أي مكان وعد به فهو لا محالة نازل به .

{ في مرية منه } : أي في شك منه .

معنى الآيات :

لما أقام الله تعالى الحجة على المكذبين بعجزهم عن الإتيان بعشر سور من مثل القرآن مفتريات حيث ادعوا أن القرآن مفترى وأن محمداً صلى الله عليه وسلم قد افتراه ولم يبق إلا أن يختار المرء أحد الطريقين طريق الدنيا أو الآخرة الجنة أو النار فقال تعالى { من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها } من مال وولد وجاه وسلطان وفاخر اللباس والرياش .

{ نوف إليهم أعمالهم فيها } نعطهم نتاج عملهم فيها وفياً غير منقوص فعلى قدر جهدهم وكسبهم فيها يعطون ولا يبخسهم عملهم فكفرهم وتركهم ، ثم هم بعد ذلك إن لم يتوبوا إلى ربهم . هلكوا كافرين ليس لهم إلا النار { وحبط ما صنعوا } في هذه الدار من أعمال وبطل ما كانوا يعملون .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (15 والثانية 16) وهو قوله تعالى { من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون } وقوله تعالى في الآية الثالثة (17) { أفمن كان على بينة من ربه } بما أوحى إليه من القرآن وما حواه من الأدلة والبراهين على توحيد الله ونبوة رسوله ، وعلى المعاد الآخر ، وقوله { ويتلوه شاهد منه } أي ويتبع ذلك الدليل دليل آخر وهو لسان الصدق الذي ينطق به وكمالاته الخُلُقَيَّة والروحية حيث نظر إليه اعرابي فقال والله ما هو بوجه كذّاب ، ودليل ثالث في قوله { ومن قبله كتاب موسى } أي التوراة { إماماً ورحمة } شاهد له حيث حمل نعوت الرسول وصفاته ونعوت أمته وصفاتها في غير موضع منه أفمن هو على هذه البينات والدلائل والبراهين من صحة دينه ، كمن لا دليل له ولا برهان إلا التقليد للضلال والمشركين ، وقوله { يؤمنون به } أي بالقرآن الحق والنبى الحق والدين الحق . وقوله تعالى { ومن يكفر به } أي بالقرآن ونبيه ودينه من الأحزاب أي من سائر الطوائف والأمم والشعوب فالنار موعده ، وحسبه جهنم وبئس المصير .

وقوله تعالى { فلا تك في مرية منه } أي فلا تك في شك منه أي في أن موعد من يكفر به من الأحزاب النار . وقوله { إنه الحق من ربك } أي القرآن الذي كذّب به المكذبون وما تضمنه من الوعد والوعيد ، والدين الحق كل ذلك هو الحق الثابت من ربك ، إلا أن { أكثر الناس لا يؤمنون } وإن ظهرت الأدلة ولاحت الأعلام وقويت البراهين .

(161/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان حقيقة وهي أن الكفر غير مانع من أن ينتج الكافر بحسب جهده من كسب يده فيحصد إذ زرع ، ويرح إذا اتجر ، وينتج إذا صنع .

2- بيان أن الكافر لا ينتفع من عمله في الدنيا ولو كان صالحاً وأن الخسران لازم له .

3- المسلمون على بينة من دينهم ، وسائر أهل الأديان الأخرى لا بينة لهم وهم في ظلام التقليد وضلال الكفر والجهل .

5- بيان سنة الله في الناس وهي أن أكثرهم لا يؤمنون .

(162/2)

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (18) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (19) أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (20)

شرح الكلمات :

{ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً } : أي لا أحد فالاستفهام للنفي .

{ يعرضون على ربهم } : أي يوم القيامة .

{ الأشهاد } : جمع شاهد وهم هنا الملائكة .

{ لعنة الله } : أي طرده وإبعاده .

{ على الظالمين } : أي المشركين .

{ سبيل الله } : أي الإسلام .

{ عوجاً } : أي معوجة .

{ معجزين في الأرض } : أي الله عز وجل أي فائدتين بل هو قادر على أخذهم في أيّة الحظة .

{ من أولياء } : أي أنصار يمنعونهم من عذاب الله .

{ وما كانوا يبصرون } : ذلك لفرط كراهيتهم للحق فلا يستطيعون سماعه ، ولا رؤيته .

معنى الآيات :

بعد أن قرر تعالى مصير المكذبين بالقرآن ومن نزل عليه وما نزل به من الشرائع ذكر نوعاً من أجرام المجرمين الذين استوجبوا به النار فقال عز وجل { ومن أظلم ممن أفترى على الله كذباً } أي لا أحد في الناس أعظم ظلماً من أحد افترى على الله كذباً من أنواع الكذب وإن قل وقوله { أولئك يعرضون على ربهم } أي أولئك الكذبة يعرضون يوم القيامة على ربهم جل جلاله في عرصات القيامة ، ويقول الأشهاد من الملائكة شاهدين عليهم { هؤلاء الذين كذبوا على ربهم } ثم يُعْلِنُ مُعْلِنٌ قائلاً { ألا لعنة الله على الظالمين } أي ألا بعداً لهم من الجنة وطرداً لهم منها إلى نار جهنم .

ثم وضح تعالى نوع جناياتهم التي استوجبوا بها النار فقال { الذين يصدون عن سبيل الله } أي يصرفون أنفسهم وغيرهم عن الدين الإسلامي ، { ويبغونها } أي سبيل الله { عوجاً } أي معوجة كما يهوون ويشتهون فهم يريدون الإسلام أن يبيح لهم المحرمات من الربا والزنى والسفور ، ويريدون من الإسلام أن يأذن لهم في عبادة القبور والأشجار والأحجار إلى غير ذلك ، ويضاف إلى هذا ذنب أعظم وهو كفرهم بالدار الآخرة . قال تعالى { أولئك } أي المذكورون { لم يكونوا معجزين في الأرض } أي لم يكن من شأنهم ومهما رأوا أنفسهم أقوياء أن يعجزوا الله تعالى في الأرض فإنه مدركهم مهما حالولوا الهرب ومنزل بهم عذابه متى أراد ذلك لهم ، وليس لهم من دون الله من أولياء أي أنصار يمنعونهم من العذاب متى أنزله بهم ، وقوله تعالى { يضاعف لهم العذاب } إخبار منه بأن هؤلاء الظالمين يضاعف لهم العذاب يوم القيامة لأنهم صدوا غيرهم عن سبيل الله فيعذبون بصدهم أنفسهم عن الإسلام ، وبصد غيرهم عنه ، وهذا هو العدل وقوله تعالى فيهم { ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون } إخبار بحالهم في الدنيا انهم كانوا لشدة كراهيتهم للحق ولأهله من الداعين إليه لا يستطيعون سماعة ولا رؤية ولا رؤية أهله القائمين عليه والداعين إليه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- عظم ذنب من يكذب على الله تعالى بنسبة الولد أو الشريك إليه أو بالقول عليه بدون علم منه .

2- عظم جرم من يصد عن الإسلام بلسانه أو بحاله ، أو سلطانه .

3- عظم ذنب من يريد إخضاع الشريعة الإسلاميةلهواه وشهواته بالتأويلات الباطلة والفتاوى غير المسؤولة ممن باعوا آخرتهم بدنياهم .

4- بيان أن من كره قولاً أو شخصاً لا يستطيع رؤيته ولا سماعه .

(163/2)

أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (21) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (22) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (23) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (24)

شرح الكلمات :

{ وضل عنهم ما كانوا يفترون } : أي غاب عنهم ما كانوا يدعونه من شركاء لله تعالى .

{ لا جرم } : أي حقاً وصدقاً أنهم في الآخرة هم الأخسرون .

{ وأخبتوا إلى ربهم } : أي تطامنوا أو خشعوا لربهم بطاعته وخشيته .

{ مثل الفريقين } : أي فريق المؤمنين وفريق الكافرين .

{ إفلا تذكرون } : أي تتعظون ، فتستغفروا ربكم ثم تتبوا إليه . ؟

معنى الآيات :

ما زال السياق في تحديد المجرمين وبيان حالهم في الآخرة فقال تعالى { أولئك } أي البعداء { الذين خسروا أنفسهم } حيث استقروا في دار الشقاء فخسروا كل شيء حتى أنفسهم ، { وضل عنهم ما كانوا يفترون } أي وغاب عنهم ما كانوا يزعمون أن لهم شُركَاء ، وأنهم يشفعون لهم وينصرونهم قال تعالى : { لا جرم } أي حقاً { أنهم في الآخرة } أي في دار الآخرة { هم الأخسرون } أي الأكثر خسراناً من غيرهم لأنهم أضافوا إلى جريمة كفرهم جريمة تكفير غيرهم ممن كانوا يدعونهم إلى الضلال ، ويصدونهم عن الإسلام سبيل الهدى والنجاة من النار . ولما ذكر تعالى حال الكافرين وما انتهوا إليه من خسران ، ذكر تعالى حال المؤمنين فقال { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات } أي آمنوا بالله وبوعده ووعيده . وآمنوا برسول الله وبما جاء به ، وعملوا الصالحات التي شرعها الله تعالى لهم من صلاة وزكاة { وأخبتوا إلى ربهم } أي أسلموا له وجوههم وقلوبهم وانقادوا له بجوارحهم فتطامنوا وخشعوا أولئك أي السامون أصحاب الجنة أي أهلها { هم فيها خالدون } أي لا يبرحون منها ولا يتحولون عنها ، هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث أما الآية الرابعة (24) وهي قوله تعالى { مثل الفريقين كالأعمى والأًم والسميع والبصير هل يستويان مثلا } ؟ فقد ذكر تعالى مقارنة بين أهل الشرك وأهل التوحيد توضيحاً للمعنى وتقريراً للحكم فقال { مثل الفريقين } أي صفة الفريقين الموضحة لهما هي كالأعمى والأصم وهذا فريق الكفر والظلم والسميع والبصير . وهذا فريق أهل الإيمان والتوحيد فهل تبايناً فأي عاقل يرضى أن يكون العمى والصمم وصفاً له ولا يكون البصر والسمع وصفاً له؟ والجواب لا أحد إذاً { أفلا تذكرون } أي أفلا تتعظون بهذا المثل وتتوبوا إلى ربكم فتؤمنوا به وتوحدوا وتؤمنوا برسوله وتتبعوه ، وبكتابه وتعملوا بما فيه؟

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- استحسان المقارنات بين الأشياء المتضادة للعبرة والاتعاظ .

2- الكافر ميت موتاً معنوياً فلذا هو لا يسمع ولا يبصر ، والمسلم حيٌّ فلذا هو سميع بصير .

3- بيان ورثة دار النعيم وهم أهل الإيمان والطاعة ، وورثة دار الخسران وهم أهل الكفر والظلم .

(164/2)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (25) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (26) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27)

شرح الكلمات :

{ نوحا } : هو العبد الشكور أبو البشرية الثاني نوح عليه السلام .

{ إني لكم نذير مبين } : أي مخوف لكم من عذاب بَيِّنُ النذارة .

{ عذاب يوم أليم } : هو عذابه يوم القيامة .

{ الملأ } : الأشراف وأهل الحل والعقد في البلاد .

{ أراذلنا } : جمع أرذل وهو الأكبر خسة ودناءة .

{ بادي الرأي } : أي ظاهر الرأي ، لا عمق عندك في التفكير والتصور للأشياء .

معنى الآيات :

هذه بداية قصة نوح عليه السلام وهي بداية لخمس قصص جاءت في هذه السورة سورة هود عليه السلام قال تعالى { ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين } أي قال لهم إني لكم نذير مبين أي بين النذارة أي أخوفكم عاقبة كفركم بالله وبرسوله وشرككم في عبادة ربكم الأوثان و الأصنام ، وقوله { أن لا تعبدوا إلا الله } أي نذير لكم بأن لا تعبدوا إلا الله ، وتتركوا كبادة غيره من الأصنام والأوثان وقوله { إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم } علل لهم أمرهم بالتوحيد ونهيهم عن الشرك بأنه يخاف عليهم إن أصروا على كفرهم وتركهم عذاب يوم أليم وهو عذاب يوم القيامة { فقال الملأ الذين كفروا من قومه } أي فرد على نوح ملأ قومه اشرافهم وأهل الحق والعقدة فيهم ممن كفروا بالله ورسوله فقالوا { ما نراك إلا بشراً مثلنا } أي لا فضل لك علينا فكيف تكون رسولاً لنا ونحن مثلك هذا أولاً وثانياً { وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا } أي سفلتنا من أهل المهن المحتقرة كالحياكة والحجامة والجزارة ونحوها وقولهم بادي الرأي أي ظاهر الرأي لا عمق في التفكير ولا سلامة في التصور عندك وقولهم { وما نرى لكم علينا من فضل } أي وما نرى لكم علينا من أي فضل تستحقون به أن نصبح أتباعاً لكم فنترك ديننا ونتبعكم على دينكم بل نظنكم كاذبين فيما تقولون .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- إن نوحاً واسمه عبد الغفار أول رسول إلى أهل الأرض بعد أن أشركوا بربهم وعبدوا غيره من الأوثان والآلهة الباطلة .

2- قوله أن لا تعبدوا إلا الله هو معنى لا إله إلاّ الله .

3- التذكير بعذاب يوم القيامة .

4- اتباع الرسل هم الفقراء والضعفاء ، وخَصُومُهم الأغنياء والأشراف والكبراء .

5- احتقار أهل الكبر لمن دونهم ، وفي الحديث « الكبر بطر الحق وغمط الناس » .

(165/2)

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (29) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (30) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (31)

شرح الكلمات :

{ أرأيتم } : أي أخبروني .

{ على بينة من ربي } : أي على علم علمنيه الله فعلمت أنه لا إله إلا الله .

{ فعميت عليكم } : أي خفيت عليكم فلم تروها .

{ أنُلزِمُكمُوها } : أي أجبركم على قبولها .

{ بطَارِد الذين آمنوا } : أي بمبعدهم عني ومن حولي .

{ خزائن الله } : التي فيها الفضل والمال .

{ تزدري أعينكم } : تحتقر أعينكم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصة نوح مع قومه فأخبر تعالى أن نوحاً قال لقومه أرأيتم أي أخبروني إن كنت على بيّنة من ربي أي على علم يقيني تعالى وبصفاته وبما أمرني به من عبادته وتوحيده والدعوة إلى ذلك . وقوله { وآتاني رحمة من عنده } وهي الوحي والنبوة والتوفيق لعبادته . { فعميت عليكم } أنتم فلم تروها . فماذا أصنع معكم { أنلزمكموها } أي أنجبركم أنا ومن آمن بي على رؤيتها والإيمان بها والعمل بهداها ، { وانتم لها كارهون } أي والحال أنكم كارهون لها والكاره للشيء لا يكاد يراه ولا يسمعه ، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (27) أما الآية الثانية فإن الله تعالى يخبر أيضا عن قيل نوح لقومه : { ويا قوم لا أسألكم عليه مالا } أي لا أطلب منكم أجراً على ابلاغكم هذه الرحمة التي عميت عليكم فلم تروها . { إن أجري إلا على الله } أي ما أجري إلا على الله إذ هو الذي كلفني بالعمل بها والدعوة إليها وواعدني بالأجر عليها . وقوله { وما أنا بطارد المؤمنين } أي وما أنا بمطعيكم في طرد المؤمنين من حولي كما اقترحتم عليّ ، إنهم ملاقو ربهم ، ومحاسبهم ومجازيهم على أعمالهم فكيف يصح مني ابعادهم عن سماع الحق وتعلمه والأخذ به ليكملوا ويسعدوا إذ العبرة بزكاءة النفوس وطهارة الأرواح بواسطة الإيمان والعمل الصالح لا بالشرف والمال والجاه كما تتصورون ولذا فأني أراكم قوما تجهلون هذا ما دلت عليه الآية الثانية (28) ثم قال لهم في الآية الثالثة { ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم } أي من هو الذي يرد عني عذاب الله ويمنعني منه إن أنا عصيته فطردت أي فقراء ضعفاء تزدريهم أعينكم المريضة التي لا تقدر على رؤية الحق وأهله والداعين إليه ، ثم قال لهم { أفلا تذكرون } أي تتفكرون فتعلمون خطأكم وجهلكم فتثوبوا إلى رشدكم ، وتتوبوا إلى ربكم فتؤمنوا به وبرسوله وتعبدوه وحده لا شريك له ثم قال لهم في الآية الأخيرة (31) { ولا أقول لكم عندي خزائن الله } ردا على قولهم : { وما نرى لكم علينا من فضل } { ولا أعلم الغيب فأعرف ما تخفيه صدور الناس } فأطرد هذا وأبقي هذا ، ولا أقول إني ملك حتى تقولوا ما نراك إلا بشراً مثلنا { ولا أقول للذين تزدري أعينكم } لفقرهم وضعفهم { لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم }

أي من صدق أو نفاق ومن حب لي أو بغض كأنهم طعنوا في المؤمنين واتهموهم بأنهم ينافقون أولهم أغراض فاسدة أو أطماع مادية من أجلها التفوا حول نوح ، وقوله { إني إذاً لمن الظالمين } أي إني إذا قلت للمؤمنين من الضعفاء لن يؤتيكم الله خيرا كنت بعد ذلك من الظالمين الذين يعتدون على الناس بهضمهم حقوقهم وامتهان كرامتهم .

(166/2)

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1) كُرهُ الشيء يجعل صاحبه لا يراه ولا يسمعه ولا يفهم ما يقال له فيه .

2) كراهية أخذ الأجرة على الدعوة والتربية والتعليم الديني .

3) وجوب احترام الضعفاء وإكرامهم وحمة احتقارهم وازدرائهم .

4) عليم الغيب استأثر الله تعالى به دون سائر خلقه إلا من علمه الله شيئا منه فإنه يعلمه .

5) حرمة غمط الناس وازدرائهم والسخرية منهم .

(167/2)

قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (32) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (33) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (34)

شرح الكلمات :

{ جادلتنا } : أي خاصمتنا تريد إسقاطنا وعدم اعتبارنا في ديننا وما نحن عليه .

{ بما تعدنا } : أي من العذاب إن لم نؤمن بما تدعونا إليه .

{ إن كنت من الصادقين } : أي في دعواك النبوة والإخبار عن الله عز وجل .

{ بمعجزين } : أي بغالبين ولا فائتين الله تعالى متى أراد الله عذابكم .

{ نصحي } : أي بتخويفي إياكم عذاب ربكم إن بقيتم عل الكفر به وبلقائه ورسوله .

{ أن يغويكم } : أي يوقعكم في الضلال ويبقيكم فيه فلا يهديكم أبدا .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصة نوح عليه السلام مع قومه فأخبر تعالى عن قول قوم نوح له عليه السلام : فقال : { قالوا يا نوح قد جادلتنا } أي خاصمتنا وأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين أي فعجل العذاب وأنزله علينا إن كنت من الصادقين فيما تقول وتدعو وتعد . فأخبر تعالى عن قول نوح لهم ردا على مقالتهم وهو ما علمه ربه تعالى أن بقوله :

فقال { قل إنما يأتيكم به الله } أي بالعذاب الله إن شاء ذلك . { وما أنتم بمعجزين } أي فائتين الله ولا هاربين منه . وقوله : { ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون } . أي إن نصحي لا ينفعكم بمعنى أنكم لا تقبلونه مهما أردت ذلك وبالغت فيه إن كان الله جل جلاله يريد أن يغويكم لما فرط منكم وما أنتم عليه من عناد وكفر ومجاحدة ومكابرة إذ مثل هؤلاء لا يستحقون هداية الله تعالى بل الأولى بهم الضلالة حتى يهلكوا ضالين فيشقوا في الدار الآخرة . وقوله تعالى : { هو ربّكم وإليه ترجعون } أي فالأمر له ألستم عبيده وهو ربكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم وإن كانت حكمته تنفي أن يعذب الصالحين ويرحم الغواة الظالمين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- مشروعية الجدال لإحقاق الحق وإبطال الباطل . بشرط الأسلوب الحسن .

2- إرادة الله تعالى قبل كل إرادة وما شاءه الله يكون وما لم يشأه لم يكن .

3- لا ينفع نصح الناصحين ما لم يرد الله الخير للمنصوح له .

4- ينبغي عدم إصدار حكم على عبد لم يمت فيعرف بالموت مآله . إلاَّ قول الله أعلم به .

(168/2)

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (35) وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (37) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (39)

شرح الكلمات :

{ وأوحى إلى نوح } : أي اعلم بطريق الوحي الذي هو الاعلام السريع الخفي .

{ فلا تبتئس } : لا تحزن ولا يشتد بك الحزن فإني منجيك ومهلكهم .

{ الفلك } : أي السفينة التي أمرناك بصنعها لحمل المؤمنين عليها .

{ سخروا منه } : أي استهزئوا به كقولهم : تحمل هذا الفلك إلى البحر أو تحمل البحر إليه .

{ يخزيه } : أي يذله ويهنيه .

{ ويحل عليه عذاب مقيم } : أي وينزل به عذاب النار يوم القيامة فلا يفارقه .

معنى الآيات :

عاد السيق بعد الاعتراض بالآية (35) إلى الحديث عن نوح وقومه فقال تعالى { وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن } . وهذا بعد دعوة دامت قرابة ألف سنة إلا خمسين عاما أي فلم يؤمن بعد اليوم أحد من قومك وعليه فلا تبتئس أي لا تغتم ولا تحزن بسبب ما كانوا يفعلون من الشر والفساد والكفر والمعاصي فإني منجيك ومن

معك من المؤمنين ومهلكهم بالغرق . وقوله تعالى في الآية الثانية (37) { واصنع الفلك بأعيينا ووحينا } أي وأمرناه أن يصنع الفلك أي السفينة تحت بصرنا وبتوجيهنا وتعليمنا . إذ لم يكن يعرف السفن ولا كيفية صنعها وقوله { ولا تخاطبني في الذين ظلموا } أي لا تسألني لهم صرف العذاب ولا تشفع لهم في تخفيفه عليهم ، لأنا قضينا بإهلاكهم بالطوفان فهم لا محالة مغرقون قوله تعالى { ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه } يخبر تعالى عن حال نوح وهو يصنع الفلك بقطع الخشب ونجره وتركيبه وقومه يمرون عليه تنقل البحر إليها ، أو تنقلها إلى البحر فيرد عليهم نوح عيله السلام بقوله { إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون } أي منا . فسوف تعلمون أي مستقبلاً من يأتيه عذاب يخزيه أي يذله ويهينه ويكسر أنف كبريائه ، ويحل عليه عذاب مقيم وهو عذاب النار يوم القيامة وهو عذاب دائم لا ينتهى أبداً .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- كراهية الحزن والأسى والأسف على ما يقوم به أهل الباطل والشر والفساد .

2- بيان تاريخ صنع السفن وانها بتعليم الله لنوح عليه السلام .

3- بيان سنة البشر في الاستهزاء والسخرية بأهل الحق ودعاته لظلمة نفوسهم بالكفر والمعاصي .

4- بيان صدق وعد الله رسله .

(169/2)

حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (41) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (44)

شرح الكلمات :

{ فار التنور } : أي خرج الماء وارتفع من التنور وهو مكان طبخ الخبز .

{ زوجين اثنين } : أي من كل ذكر وأنثى من اسر أنواع المخلوقات اثنين .

{ وأهلك } : أي زوجتك وأولادك .

{ مجريها ومرساها } : أي اجراؤها وإرساؤها .

{ في موج كالجبال } : الموج ارتفاع ماء البحر وكونه كالجبال أي في الارتفاع .

{ يعصمني من الماء } : يمنعني من الماء أن يغرقني .

{ وغيض الماء } : أي نقص بنوضبه في الأرض .

{ على الجودي } : أي فوق جبل الجودي وهو جبل بالجزيرة غرب الموصل .

{ بعد للقوم الظالمين } : أي هلاكا لهم .

شرح الكلمات :

{ أم يقولون } : أي بل يقولون افتراه .

{ افتراه } : أي اختلقه وقال من نفسه ولم يوح به إليه .

{ فعلى اجرامي } : أي عاقبة الكذب الذي هو الإجرام تعود عليَّ لا على غيري .

{ وأنا بريء } : أي أتبرأ وأتنصل من إجرامكم فلا أتحمل مسؤوليته .

{ مما تجرمون } : أى على أنفسكم فإفسادها بالشرك والكفر والعصيان .

معنى الآية :

هذه الآية الكريمة أوقعها الله مُنَزِلُها سبحانه وتعالى بين أجزاء الحديث عن نوح وقومه ، وحسن موقعها هنا لأن الحديث عن نوح وقومه لا يتأتى لأحد إلا لنبي يوحى إليه ، وذلك لبعه في التاريخ فَقَصُّ النبيّ له اليوم دليل على أنه نبي يُوحى إليه ، فلذتا قال أم يقولون افتراه أي يقولون افترى القرآن وكذبه ولم يوحى إليه قل إن افتريته كما زعمتم فعليّ إجرامي أي أثم كذبي وأنا بريء مما تجرمون أنتم بتكذيبكم إياي وكفركم بربكم ورسوله ووعده ووعيده .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- جواز الاعتراض في الكلام إذا حسن موقعه لإقامته حجة أو إبطال باطل أو تنبيه على أمر مهم .

2- قص القصص أكبر دليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة ودعوته إلى الله تعالى .

3- تقرير مبدأ تحمل كل إنسان مسؤولية عمله وأن لا تزر وازرة وزر أخرى .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن نوح وقومه قال تعالى { حتى إذا جاء أمرنا وفار النّور } أي واصل صنع السفينة حتى إذا جاء أمرنا أي بإهلاك المشركين ، وفار التنور أي خرج الماء من داخل التنور وفار وتلك علامة بداية الطوفان فاحمل فيها أي في السفينة التي صنعت من كل زوجين اثنين أي من كل نوع من أنواع الحيوانات زوجين أي ذكراً وأنثى . وأهلك أي واحمل أهلك من زوجة وولد كسام وحام ويافث إلا من سبق عليه القول أي بالإهلاك كامرأته واعلة وولده كنعان . ومن آمن أي واحمل من آمن من سائر الناس ، { وما آمن معه إلا قليل } أي نحو من ثمانين رجلاً وأمرأة هذا ما دلت عليه الآية الأولى (40) أما الثانية فقد أخبر تعالى فيها فيها أن نوحاً قال لجماعة المؤمنين { اركبوا فيها } أي في السفينة } باسم الله مجراها ومرساها } أي باسم الله تجري وباسم الله ترسوا أي تقف { إن ربّي لغفور رحيم } أي فهو لا يهلكنا بما قد يكون لنا من ذنب ويرحمنا فينجينا ويكرمنا .

وقوله تعالى في الآية الثالثة (42) { وهي تجري بهم في موج كالجبال } وصف للسفينة وهي تغالب الماء وتمخر عبابه وأمواج الماء ترتفع حتى تكون كالجبال في ارتفاعها وقبلها نادى نوح ابنه كنعان ، وهو في هذه الساعة في معزل اي من السفينة حيث رفض الركوب فيها لعقوقه وكفره فقال له { يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين } فتغرق كما يغرقون فأجاب الولد قائلا { سآوي إلى جبل يعصمني من الماء } أي يمنعني منه حتى لا إغرق ، فأجابه نوح قائلا { لا عاصم اليوم من أمر الله } أي بعذاب الكافرين { إلا من رحم } أي الله فهو المعصوم . قال تعالى { وحال بينهما الموج } أي بين الولد العاق والولد الرحيم { فكان } أي الولد { من المغرقين } . وقوله تعالى { وقيل يا أرض ابلغي ماءك } أي اشربيه وابتلعيه ، ويا سماء اقلعي أي من الصب والإمطار . والآمر للأرض والسماء هو الله تعالى : { وغيض الماء } أي نقص ونضب . { واستوت على الجودي } أي ورست السفينة بركابها لهم فلم يبق منهم أحدا إذ أخذهم الطوفان وهم ظالمون بدأ الطوفان أول يوم من رجب واستمر ستة أشهر حيث رست السفينة في أول محرم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- الإيمان ينجيء ، والكفر يهلك ويردي .

2- مشرعية التسمية عند الركوب في سفينة أو غيرها .

3- عقوق الوالدين كثيراً ما يسبب الهلاك في الدنيا ، أما عذاب الآخرة فهو لازم له .

4- مظهر من مظاهر رحمة الوالد بولده .

5- مظاهر عظمه الرب تعالى وإطاعة الخلق أمره حتى الأرض والسماء .

(171/2)

وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (47) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (48) تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49)

شرح الكلمات :

{ من أهلي } : أي من جملة أهلي من ازواج وأولاد .

{ وإن وعدك الحق } : أي الثابت الذي لا يخلف .

{ إنه عمل غير صالح } : أي إن سؤالك هذا إياي عمل غير صالح .

{ أعظك } : أي أنهاك وأخوفك من أن تكون من الجاهلين .

{ من الجاهلين } : أي من الذين لا يعرفون جلالي وصدق وعدي ووفائي فتسألني ما ليس لك به علم .

{ سنمتعهم } : أي بالأرزاق والمُتع إلى نهاية آجالهم ثم يحل بهم عذابي وهم الكفرة .

{ للمتقين } : أي الذين يتقون الله فيعبدونه ولا يشركون به شيئا .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن نوح وقومه قال تعالى : { ونادى نوح ربّه } أي دعاه سائلا { ربّ إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين } ، وهذا كان منه حال الإركاب في الفلك ، وامتناع ولده كنعان من الركوب أي إن ولدي كنعان من زوجتي ومن جملة أولادي ، وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي ومن معي من المؤمنين ، { وإن وعدك الحق } أي الذي لا خلف فيه ابداً ، { وأنت أحكم الحاكمين } أعلمهم وأعدلهم ، وهذا ابني قد استعصى عنّي ولم يركب معي وسيهلك مع الهالكين إن لم ترحمه يا رب العالمين فأجابه الرب تبارك وتعالى بقوله الحق : { إنه ليس من أهلك } أي الذين وعدتك بإنجائهم لأنه على غير دينك وعلى خلاف منهجك ، { إنه عمل غير صالح } أي إن سؤالك هذا إليّ بإنجاء ولدك وهو كافر على غير ملتك ، وقد أعلمتك إني مغرق الكافرين . سؤالك هذا عمل غير صالح يصدر عنك : { إني أعظك } أي أنهاك وأخوفك { أن تكون من الجاهلين } فتسألني ما ليس لك به علم . قال نوح { ربّ } أي يا رب إنّي أعوذ بك أي استجير وأتحصن بك أن أسألك بعد الآين ما ليس لي به علم . وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين أي الذين غبنوا أنفسهم حظوظها فهلكوا ، فأجابه الرب تعالى { يا نوح أهبط } من السفينة أنت ومن معك من المؤمنين بسلام منا أي بأمن منا وتحيات ، وبركات عليك وعلى أمم ممن معك أي من ذريّة من معك ، فلا تخافوا جوعاً ولا شقاء ، وأمم من ذريّة من معك سنمتعهم متاع الحياة الدنيا بالأرزاق ثم يمسهم منا عذاب أليم ، يوم القيامة لأنهم ينحرفون عن الإسلام ويعيشون على الشرك والكفر . وهذا من علم الغيب الذي أخبر الله تعالى به فكان كما أخبر فقد نشأت أجيال وأجيال من ذريّة نوح منهم الكافر ومنهم المؤمن وفي الجميع ينفذ حكم الله ويتم فيهم وعده ووعيده . وقوله تعالى في الآية (49) وهي الأخيرة في هذا السياق يقول تعالى { تلك من أنباء الغيب نوحيها } أي هذه القصة التي قصصناها عليك من أنباء الغيب الذي لا يعلم تفصيله إلا الله نوحيها إليك ضمن آيات القرآن ما كنت تعلمها أنت ولا قومك على وجه التفصيل من قبل هذا القرآن إذاً فاصبر يا رسولنا على أذى قومك مبلغاً دعوة ربك حتى يأتيك نصرنا فإن العاقبة الحسنى الحميدة دائما للمتقين ربهم بطاعته والصبر عليها حتى يَلْقوهُ مؤمنين صابرين محتسبين .

(172/2)

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- رابطة الإيمان التقوى أعظم من رابطة النسب .

2- حرمة العمل بغير علم فلا يحل القدوم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه .

3- ذم الجهل وأهله .

4- شرف نوح عليه السلام وانه أحد أولى العزم من الرسل .

5- بيان العبرة من القصص القرآني وهي تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .

6- تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وإصباتها ببرهان عقلي وهو الإخبار بالغيب الذي لا يعلم إلا من طريق الوحي .

7- بيان فضل الصبر ، وأن العاقبة الحميدة للمتقين وهم أهل التوحيد والعمل الصالح .

(173/2)

وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (50) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (51) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (52)

شرح الكلمات :

{ وإلى عاد أخاهم هودا } : أي وأرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم في النسب لا في الدين أخاهم هوداً . وهود من قبيلة عاد وعاد من ولد سام بن نوح عليه السلام .

{ اعبدوا الله } : أي اعبدوه وحده ولا تعبدوا معه غيره .

{ ما لكم من إله غيره } : أي ليس لكم معبود بحق يستحق عبادتكم غيره .

{ إن أنتم إلا مفترون } : أي ما أنتم في تأليه غير الله من الأوثان إلا كاذبون .

{ لا أسألكم عليه أجرا } : أي لا أطلب منك أجراً على إبلاغي دعوة التوحيد إليكم .

{ فطرني } : أي خلقني .

{ مدرارا } : أي كثيرة الدرور للمطر النازل منها .

{ ولا تتولوا مجرمين } : أي ولا تعرضوا عن دعوة التوحيد مجرمين على أنفسكم بالشرك بالله .

معنى الآيات :

هنا شروع في قصة هود مع قومه عاد بعد قصة نوح عليه السلام ومغزى القصة تقرير توحيد الله ونبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى { وإلى عاد أخاهم هوداً } أي وأرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم هوداً وهو أخوهم في النسب وأول من تكلم بالعربية فهو أحد أربعة أنبياء من العرب وهم هود ، وصالح ، وشعيب ، ومحمد صلى الله عليه وسلم . وقوله { قال يا قوم اعبدوا الله } أي قال هود لقومه بعد أن أرسله الله إليهم يا قوم اعبدوا الله أي وحدوه في عبادته فلا تعبدوا معه غيره فإنه ما لكم من إله غير الله سبحانه وتعالى . وقوله { إن أنتم إلاّ مفترون } أي ما أنتم في عبادة غير الله من الأصنام والأوثان إلاّ كاذبون ، إذ لم يأمركمالله تعالى ربكم بعبادتها ، وإنما كذبتم عليه في ذلك . وقوله { يا قوم لا أسألكم عليه اجرا } يريد لا أسألكم على دعوتي إياكم إلى توحيد ربكم لتكملوا بعبادته وتسعدوا أجراً أي مالاً { إن أجري إلا على الله الذي فطرني } أي ما أجري إلا على الله الذي خلقني . وقوله { أفلا تعقلون } أي أفلا تعقلون أنّي لو كنت أبغي بدعوتي إلى التوحيد أجراً لطلبت ذلك منكم ، غير أني لم أطلب من غير ربي أجراً فبان بذلك صدقي في

دعوتكم ونصحي لكم .

وقوله تعالى عن قيل هود { يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه } يخبر تعالى أن هوداً نادى قومه فقال يا قوم استغفروا ربكم أي آمنوا به واطلبوا منه المغفرة لذنوبكم ، ثم توبوا إليه أي ارجعوا إلى عبادته وحده بما شرع لكم على لسان نبيكم ، واتركوا عبادة غيره يكافئكم بأن يرسل السماء عليكم مدرارا أي بالأمطار المتتالية بعد الذي أصابكم من الجفاف والقحط والجدب ، ويزدكم قوة روحية إلى قوتكم المادية ، وقوله { ولا تتولوا مجرمين } ينهاهم ناصحاً لهم أن يرفضوا نصيحته ويرجعوا إلى عبادة الأوثان فيُجْرِمُوا على أنفسهم بإفسادها بأوضار الشرك والعصيان . هداية الآياتمن

هداية الآيات : 1- دعوة الرسل من نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم واحدة هي : أن يَعْبُدَ الله وحده .

2- تقرير مبدأ لا إله إلا الله .

3- المشركون والمبتدعون الكل مفترون على الله كاذبون حيث عبدوه بما لم يشرع لهم 4- وجوب الإخلاص في الدعوة .

5- فضل الاستغفار ووجوب التوبة .

6- تقديم الاستغفار على التوبة مشعر بأن العبد إذا لم يعترف أولا بذنبه لا يمكنه أن يتوب منه .

(174/2)

قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (53) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (54) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (57)

شرح الكلمات :

{ بيّنة } : أي بحجة وبرهان على صحة ما تدعونا إليه من عبادة الله وحده .

{ وما نن بتاركي آلهتنا } : أي عبادة آلهتنا لأجل قولك إنها لا تستحق أن تعبد .

{ إلا اعتراك } : أي أصابك .

{ بسوء } : أي بخَبَل فأنت تهذي وتقول ما لا يقبل ولا يعقل .

{ ثم لا تنظرون } : أي لاَ تمهلون .

{ آخذ بناصيتها } : أي مالكها وقاهرها ومتصرف فيها . فلا تملك نفعاً ولا ضراً إلا بإذنه .

{ إن ربي على صراط مستقيم } : أي على طريق الحق والعدل .

{ فإن تولوا } : أصلها تتولوا فعل مضارع حذفت منه إحدى التائيين ومعناه تُدبروا .

{ على كل شيء حفيظ } : أي رقيبٌ ولا بد انه يجزي كل نفس بما كسبت .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصة هود مع قومه إذ أخبر تعالى عن قيل قوم هود إلى هود فقال { قالوا يا هود ما جئتنا ببيّنة } أي بحجة أو برهان على صحة ما تدعونا إليه من عبادة الله وترك عبادة آلهتنا والاعتراف بنبوتك { وما نحن بتاركي آلهتنا } أي عبادتها { عن قولك } أي من أجل قولك انها لا تستحق أن تعبد لكونها لا تنفع ولا تضر ، { وما نحن لك بمؤمنين } أي بمتابعين لك على دينك ولا مصدقين لك فيما تقول { إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء } أي ما نجد ما نقول فيك إلا أن بعض آلهتنا التي تسبها وتشتمها قد أصابتك بسوء بخبل وجنون فأنت تهذر وتهذي ولا تدري ما تقول . فأجابهم قائلا { إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون } فأعلن براءته في وضوح من آلهتهم وأنه لا يخافها إبطالا لدعواهم أنَّها أصابته بسوء ، وأعلمهم أنه يشهد الله على ذلك ، ثم أمرهم أن يشهدوا هم كذلك . وقوله { من دونه } أي من دون الله من سائر الآلهة والشركاء ثم تحداهم مستخفا بهم وبآلهتهم ، فقال { فكيدوني جميعا } أي احتالوا على ضري ثم لا تنظرون أي لا تؤخرون ولا تمهلون ، ثم كشف لهم عن مصدر قوته وهو توكله على ربّه فقال { إني توكلت على الهل ربي وربكم } أي فوضت أمري إليه وجعلت كل ثقتي فيه فهو لا يسلمني إليكم ولا يخذلني بينكم . ثم أعلمهم بإحاطة قدرة الله بهم وقهره لهم فقال { وما من دابّة إلا هو آخذ بناصيتها } أي قاهر لها متحكم فيها يقودها حيث شاء وينزل بها من العذاب ما يشاء ، ثم أعلمهم أن ربّه تعالى على طريق العدل والحق فلا يُسلط أعداءه على أوليائه ، فقال { إن ربّي على صراط مستقيم } فلذا أنا لست بخائف ولا وجل ثم قال لهم { فإن تولوا } أي فإن تدبروا عن الحق وتعرضوا عنه فغير ضائري ذلك إذ أبلغتكم ما أرسلني به ربي إليكم وسيهلككم ويستخلف قوما غيركم ، ولا تضروه شيئا من الضرر لا قليلا ولا كثيراً { إن ربّي على كل شيء حفيظ } أي رقيب ، وسيجزي كلا بما كسب بعدله ورحمته .

وله الحمد والمنة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- بيان مدة مجاحدة ومكابرة المشركين في كل زمان ومكان .

2- تشابه الفكر الشركي وأحوال المشركين إذ قول قوم هود { إن نقول إلا اعتراك } . . الخ . يردده جهلة السلمين وهو فلان ضربه الولي الفلاني .

3- مواقف أهل الإيمان واحدة فما قال نوح لقومه متحدياً لهم قاله هود لقومه .

4- تقرير مبدأ أن كل شيء في الكون خاضع لتدبير الله لا يخرج عما أراده له أو به .

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (58) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (59) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (60)

شرح الكلمات :

{ ولما جاء أمرنا } : أي بعذابهم وهي الريح الصرر .

{ برحمة منا } : أي بفضل منا ونعمة .

{ جبار عنيد } : أي مستكبر عن الحق لا يذعن له ولا يقبله .

{ ويوم القيامة } : أي ولعنة في يوم القيامة .

{ ألا بعداً لعاد } : أي هلاكاً لعاد وإبعاداً لهم من كل رحمة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في هود وقومه قال تعالى { ولما جاء أمرنا } أي عذابنا { نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا } أي بلطف وفضل ونعمة { ونجيناهم من عذاب غليظ } هو عذاب يوم القيامة فهما نجاتان نجاة في الدنيا من عذاب الريح العقيم الصرر التي دمرت كل شيء بأمر ربها ونجاة من عذاب النار يوم القيامة وهي أعظم . وقوله تعالى { وتلك عاد } أي هذه عاد قوم هود جحدوا بآيات ربهم فلم يؤمنوا وعصوا رسله أي هوداً وجمُع لأن من كذب برسول كأنما كذب بكل الرسل { واتبعوا أمر كل جبار عنيد } أي اتبعوا أمر دعاة الضلالة من أهل لكبر والعناد للحق فقادوهم إلى سخط الله وأليم عقابه وقوله { واتبعوا في هذه الدنيا لعنة } أي اتبعهم الله غضبه وسخطه وهلاكه ، ويوم القيامة كذلك وأشد . ويختم الحديث عن هذه القصة بقوله الله تعالى { ألا إن عاداً كفروا ربهم } أي جحدوه فلم يعترفوا بألوهيته . وعبادته { ألا بعداً } أي هلاكاً لعادٍ قوم هود . فهل يعتبر مشركو قريش بهذه القصة فيؤمنو ا ويوحدوا فينجوا ويفلحوا .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- تقرير التوحيد إذ القصة كلها مسوقة لذلك .

2- بيان سنة الله في الأولين وهي انه يبعث الرسل مبشرين ومنذرين فَإِنِ استجابَ المرسل إليهم سعدوا ، وإن لم يستجيبوا يمهلهم حتى تقوم الحجة عليهم ثم يهلكهم ، وينجي المؤمنين .

3- التنديد بالكبر والعناد إذ هما من شر الصفات الخلقية في الإنسان .

4- اتباع الطغاة والظلم والكفر والفساد لا تقود إلا إلى الدمار والخسار .

(177/2)

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (61) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا

لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (62) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (63)

شرح الكلمات :

{ وإلى ثمود } : أي وأرسلنا إلى قبيلة ثمود .

{ أخاهم صالحا } : أي في النسب لأنه من قبيلة ثمود ، بينه وبين ثمود أبي القبيلة خمسة أجداد .

{ واستعمركم } : أي جعلكم عماراً فيها تعمرونها بالسكن والإقامة فيها .

{ قريب مجيب } : أي من خلقه ، إذ العوالم كلها بين يديه ومجيب أي لمن سأله .

{ مرجوا قبل هذا } : أي قبل أن تقول ما قلت كنا نرجو أن تكون سيداً فينا .

{ أرأيتم } : أي أخبروني .

{ على بيّنة من ربي } : أي على علم بربي علمنيه سبحانه وتعالى فهل يليق بي أن أعبد غيره .

{ غير تخسير } : أي خسار وهلاك .

معنى الآيات :

هذه بداية قصة صالح مع قومه إذ قال تعالى مخبراً عن إرساله إلى قومه { وإلى ثمود أخاهم صالحا } أي وأرسلنا إلى قبيلة ثمود بالحجر بين الحجاز والشام أخاهم في القبيلة لا في الدين صالحاً . فقال { يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره } فناداهم بعنوان القومية جمعا لقلوبهم على ما يقول لهم فقال { يا قوم اعبدوا الله } أي آمنوا به ووحدوه في عبادته فلا تعبدوا معه أحداً . إذ ليس لكم من إله غيره . إذ هو ربكم أي خالقكم ورازقكم ومدير أمركم . { أنشأكم من الأرض } أي ابتدأ خلقكم بخلق أبيكم آدم منها { واستعمركم فيها } أي جعلكم تعمرونها بالسكن فيها والعيش عليها . إذا فاستغفروه بالاعتراف بألوهيته ثم توبوا إليه فاعبدوه وحده ولا تشركوا في عبادته أحداً . وقوله { إنّ ربّي قريب مجيب } أخبرهم بقرب الربّ تعالى من عباده وإجابته لسائليه ترغيبا لهم في الإيمان والطاعة ، وترك الشرك والمعاصي . هذا ما تضمّنته الآية الأولى (61) أما الآية الثانية فقد تضمنت رد القوم عليه عليه السلام إذ قالوا بما اخبر تعالى عنهم { يا صالح قد كنت فينا مرجاً قبل هذا } أي عنا نأمل فيك الخير ونرجوا أن تكون سيداً فينا حتى فاجأتنا بما تدعونا إليه من ترك آلهتنا لإلهك ثم أنكروا عليه دعوته فقالوا { أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا } وأخبروه أنهم غير مطمئنين إلى صحة ما يدعوهم إليه من توحيد الله تعالى فقالوا { وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب } أي موقع في الريب وهو اضطراب النفس وعدم سكونها إلى ما قيل لها أو أخبرت به هذا ما تضمنه الآية الثانية (62) أما الآية الثالثة (63) فقد تضمنت دعوة صالح لقومه بأسلوب رفيع رغبة منه في أقامة الحجة عليهم لعلهم يؤمنون ويوحدون إذ قال بما أخبر الله تعالى في قوله : { قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربّي } أي على علم يقيني بالإيمان بربي ووجوب عبادته وتوحيده وآتاني منه رحمةً وهي النبوة والرسالة ، فمن ينصرني من الله إن عصيته اللهم إنه لا أحد أبداً إذاً فإنكم ما تزيدونني إن أنا أطعتكم في ترك عبادة ربّي والرضا بعباة آلهتكم إلا خساراً وضلالا في هذه الحياة وفي الحياة الآخرة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- وحدة الوسيلة والغاية عند كافّة الرسل فالوسيلة عباة الله وحده ، والغاية رضا الله والجنة .

2- تقديم الاستغفار على التوبة في الآية سره إن المرء لا يقلع عن ذنبه حتى يعترف به .

3- بيان سنة في الناس وهي أن المرء الصالح يرجى في أهله حتى إذا دعاهم إلى الحق وإلى ترك الباطل كرهوه وقد يصارحونه بما صارح به قوم صالح نبيّهم إذ قالوا { قد كنت فينا مرجواً قبل هذا } .

4- حرمة الاستجابة لأهل الباطل بأي نوع من الاستجابة ، إذ الاستجابة لا تزيد العبد إلا خساراً .

(179/2)

وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (64) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (65) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (66) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (67) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ (68)

شرح الكلمات :

{ آية } : أي علامة على صدقي فيما جئتم به من أنه لا إله إلا الله .

{ فذروها تأكل في أرض الله } : أي اتركوها ترعى في المراعي غير المحميّة لآحد ، منه .

{ فعقروها } : أي قتلوها بالعقر الذي هو قطع قوائمها بالسيف .

{ تمتعوا في دياركم } : أي ابقوا في دياركم تأكلون وتشربون وتتمتعون في الحياة ثلاثة أيام .

{ وعد غير مكذوب } : أي صادق لم أكذبكم فيه ولم يكذبني ربي الذي وعدكم به .

{ في ديارهم جاثمين } : أي ساقطين على ركبهم ووجوههم .

{ كأن لم يغنوا فيها } : أي كأن لم يكونوا بها أمس ولم تعمر بهم يوما .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن صال وقومه . إنه لما دعاه صالح إلى توحيد الله تعالى كذبوه وطالبوه بما يدل على صدق مَا دَعَا إليهِ فأجابهم صالح بما أخبر تعالى به في هذه الآية { ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية } وذلك أنهم سألوا أن يخرج لهم ناقة من جبل أشاروا إليه فدعا صالح ربّه فاستجاب الله تعالى له وتمخض الجبل عن ناقة عشراء هي عجب في خلقتها وكمالها فقال عندئذ { يا قوم هذه ناقة الله } أضافها إلى الهل أنها كانت بقدرته ومشيئته { لكم آية } أي علامة لكم على صدق ما دعوتكم إليه من عبادة الله وحده وترك عباة الأوثان ، فذروها تأكل في أرض الله أي خلّوها تأكل من نبات الأرض من المراعي العامة التي ليست لأحد ، ولا تمسوها بسوء كعقرها أو ذبحها وقتلها فيأخذكم عذاب قريب قد لا يتأخر أكثر من ثلاثة أيام ، فكذبوه فعقروها فلما رأى ذك قال لهم بأمر الله { تمتعوا في اركم ثلاثة أيام }

أي عِيشوا فيها . { ذلك وعد غير مكذوب } أي ذلك الوعد وعد صادق غير مكذوب فيه . هذا ما دلت عليه الآيتان (64 – 65) وقال تعالى : { فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا } أي لما اكتملت المدة التي حُددت لهم وجاء أمر الله بعذابهم نجى الله تعالى رسوله صالحاً والمؤمنين برحمة منه أي بلطف ونعمة منه عز وجل وقوله { ومن خزي يومئذ } أي ونجاهم من ذلك ذلك اليوم وعذابه ، وقوله { إن ربّك قوي عزيز } أي إن ربك يا محمد صلى الله عليه وسلم قوي إذا بطش عزيز غالب لا يُغلب على أمر يريده . هذا ما دلت عليه الآية الثالثة (66) وأما الآيتان بعد فقد أخبر تعالى فيهما عن هلاك ثمود بقوله { وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين } أي إنّ الذين أشركوا بربهم وكذبوا بآياته أخذتهم الصحية فانخلعت لها قلوبهم فهلكوا وأصبحوا في ديارهم جاثمين على ركبهم كأن لم يغنوا بديارهم ولم يعمروها قال تعالى { ألا إن ثموداً كفروا ربّه ألا بعداً لثمود } أي هلاكاً لثمود ، وبهذا التنديد والوعيد بعد الهلاك والعذاب المخزي انتهت قصة صالح مع قومه ثمود الذين آثروا الكفر على الإيمان والشرك على التوحيد .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1– إعطاء الله تعالى الآيات للمطالبين بها لا يستلزم الإيمان بها .

2– آية صالح عليه السلام من أعظم الآيات ولم يؤمن عليها قومه .

3– إقامة ثلاثة أيام لا يعد صاحبها مقيما وعليه أن يقصر الصلاة .

4– شؤم الظلم وسوء عاقبة أهله .

(180/2)

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (70) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (73)

شرح الكلمات :

{ بالبشرى } : أي باسحاق ومن وراء اسحق يعقوب .

{ فما لبث } : أي ما أبطأ .

{ بعجل حنيذ } : أي مشوي على الحجارة .

{ لا تصل إليه } : أي لم يتناوله فيأكلوا منه .

{ نكرهم } : أي لم يعرفهم .

{ وأوجس } : أي أحس بالخوف وشعر به .

{ لوط } : هو ابن هاران أخي ابراهيم عليه السلام .

{ يا ويلتا } : أي يا ويلتي أحضري هذا أوان حضورك .

{ وهذا بعلي شيخا } : إشارة إلى ابراهيم إذ هو بعلها أي زوجها .

{ إن هذا لشيء عجيب } : أي أمر يتعجب منه استبعاداً له واستغراباً .

معنى الآيات :

هذه بشارة ابراهيم عليه السلام التي بشره الله تعالى بها إذ قال تعالى { ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى } والمراد بالرسل جبريل وميكائيل واسرافيل ، إذ دخلوا عليه داره فسلموا عليه فرد عليهم السلام وهو معنى قوله تعالى { قالوا سلاماً فقال سلام } وقوله تعالى { فما لبث أن جاء بعجل حنيذ } أي لم يبطأ حتى جاء بعجل مشوي فحنيذ بمعنى محنوذ وهو المشوي على الحجارة . فقربه إليهم وعرض عليهم الأكل بقوله { ألا تأكلون } فلما رأى أيديهم لا تصل إليه أي لم يتناولوه نكرهم بمعنى أنكرهم وأوجس منهم خيفة لأن العادة أن الضيف إذا نزل على أحد فقدم إليه طعاماً فلم يأكل عرف انه ينوي شراً ولما رأت الملائكة ذلك منه قالوا له لا تخف وبينوا له سبب مجيئهم فقالوا إنا أرسلنا إلى قوم لوط أي لإهلاكهم وتدميرهم بسبب إجرامهم . وكانت امرأته قائمة وراء الستار تخدمهم مع ابراهيم . فلما سمعت بنبأ هلاك قوم لوط ضحكت فرحاً بهلاك أهل الخبث فعندئذ بشرها الله تعالى على لسان الملائكة باسحق ومن بعده يعقوب أي بولد وولد ولد ، فلما سمعت البشرى صكت وجهها تعجبا على عادة النساء وقالت { يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى } تشير إلى زوجها ابراهيم { شيخا } أي كبير السن إذ كانت سنة يومئذ مائة سنة وسنها فوق التسعين . { إن هذا لشيء عجيب } أي ولادتي في هذه السن أمر يتعجب منه . قالوا أتعجبين من أمر الله { رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت } أي ذو مجد وثناء وكرم . وامرأة ابراهيم المبشرة هي سارة بنت عم إبراهيم عليه السلام ، والبشارة هنا لابراهيم { إنه حميد مجيد } أي محمود بإفضاله وإنعامه عليكم { مجيد } أي ذو مجد وثناء وكرم . وامرأة ابراهيم المبشرة هي سارة بنت عم إبراهيم عليه السلام ، والبشارة هنا لابراهيم ، وزوجه سارة معاً وهي مزدوجة إذ هي بهلاك الظالمين ، وباسحاق ويعقوب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- استحباب تبشير المؤمن بما هو خير له ولو بالرؤيا الصالحة .

2- مشروعية السلام لمن دخل على غيره أو قوف عليه أو مرّ به ووجوب رد السلام .

3- مشروعية خدمة أهل البيت لضيوفهم ووجوب إكرام الضيف وفي الحديث الصحيح « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .

4- شرف أهل بيت ابراهيم عليه السلام .

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (74) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (75) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (76)

شرح الكلمات :

{ الروع } : الفزع الخوف .

{ البشرى } : أي الخبر السار المفرح للقلب .

{ يجادلنا } : أي يخاصمنا .

{ في قوم لوط } : أي في شأن قوم لوط ، ولوط هو رسول الله لوط بن هاران بن عم ابراهيم .

{ حليم أواه } : الحليم الذي لا يعمل بالعقوبة والأواه كثير التأوه مما يسيء ويحزن .

{ أعرض عن هذا } : أي اترك الجدال في قوم لوط .

{ غير مردود } : أي لا يستطيع أحد رده لأن الله تعالى قد قضى به فهو واقع لا محالة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن بشارة ابراهيم قال تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع أي الفزع والخوف من الملائكة قبل أن يعرفهم وجاءته البشرى بالولد وبهلاك قوم لوط أخذ يجادل الملائكة في شأن هلاك قوم لوط لأجل ما بينهم من المؤمنين فقال إن فيها لوطاً فأجابوه بقولهم الذي ذكر تعالى في سورة العنكبوت { نحن أعلم بمن فيها لننجيّنه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين } وقوله تعالى { إن ابراهيم لحليم أواه منيب } تعليل لمجادلة ابراهيم الملائكة في قوم لوط ، وذلك أن إبراهيم رقيق القلب حليم لا يعامل بالعقوبة فأراد تأخير العذاب عنهم لعلهم يتوبون . وكان أواهاً ضارعا قانتا يكثر من قور آه إذا رأى أو سمع ما يسوء ومنيباً أي توابا رجاعاً إلى ربّه في كل وقت . ولما الحّ ابراهيم في مراجعة الملائكة قالوا له يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدال ، إنه قد جاء أمر ربك أي بهلاك القوم . { وإنهم آتيهم عذاب غير مردود } أي غير مدفوع من أحد وهو ما سَيُذْكَرُ في السياق بعد .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

1- مشروعية الجدال عمن يُرجى له الخير من الناس ، وذلك في غير الحدود الشرعية إذا رفعت إلى الحاكم .

2- فضيلة خلق الحلم .

3- فضل الإنابة إلى الله تعالى .

4- قضاء الله لا يرد أي ما حكم الله به لا بد واقع .

(182/2)

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (78)

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (79) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (80)

شرح الكلمات :

{ سيء بهم } : أي حصل له غم وهم بمجيئهم إليه .

{ وضاق بهم ذرعا } : أي عجزت طاقته عن تحمل الأمر .

{ يوم عصيب } : أي شديد لا يحتمل .

{ يهرعون إليه } : أي مدفوعين بدافع الشهوة يمشون مسرعين في غير اتزان .

{ السيئات } : أي كبائر الذنوب بإتيان الذكور .

{ ولا تخزون في ضيفي } : أي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لضيفي .

{ رجل رشيد } : أي إلى عشيرة قوية تمنعني منكم . ولم تكن له عشيرة لأنه من غير ديارهم .

معنى الآيات :

هذه فاتحة حديث لوط عليه السلام مع الملائكة ثم مع قومه قال تعالى { ولما جاءت رسلنا } وهم ضيف إبراهيم عليه السلام { لوط سيىء بهم } أي تضايق وحصل له هم وغم خوفا عليهم من مجرمي قومه . وقال هذا يوم عصيب أي شديد لما قد يحث فيه من تعرض ضيفه للمذلة والمهانة وهو بينهم هذا ما دلت عليه الآية الأولى (77) أما الثانية (78) فقد أخبر تعالى عن مجيء قوم لوط إليه وهو في ذلك اليوم الصعب والساعة الحرجة فقال عز وجل { وجاءه قومه يهرعون إليه } أي مدفوعين بدافع الشهوة البهيمية مسرعين ومن قبل كانوا يعملون السيئات أي من قبل مجيئهم كانوا يأتون الرجال في أدبارهم فأراد أن يصرفهم عن الضيف فقال { يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم } أي هؤلاء نساء الأمة هن أطهر لكم فتزوجوهن . واتقوا الله أي خافوا نقمته ولا تخزوني في ضيفي أي لا تهينوني ولا تذلوني فيهم . أليس منك رجل رشيد؟ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ فأجابوا لعنهم الله قائلين : لقد علمت ما لنا في بناتك من حق أي من رغبة وحاجة ، وإنك لتعلم ما نريد أي من إتيان الفاحشة في الرجال . وهنا قال لوط عليه السلام : { لو أن لي بكم قوة } أي أنصاراً ينصرونني وأعواناً يعينوني لحلت بينكم وبين ما تشتهون ، أو آوي إلى ركوب شديد يريد عشيرة قوية يحتمي بها فتحميه وضيفه من قومه المجرمين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- فضيلة إكرام الضيف وحمايته من كل ما يسوءه .

2- فظاعة العادات السيئة وما تحدثه من تغير في الإنسان .

3- بذل ما يمكن لدفع الشر لوقاية لوط ضيفه ببنانه .

4- أسوأ الحياة أن لا يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

5- إظهار الرغبة في القوة لدفع الشر وإبعاد المكروه ممدوح .

قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (82) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (83)

شرح الكلمات :

فأسر بأهلك : أي اخرج بهم من البلد ليلا .

{ بقطع من الليل } : أي بجزء وطائفة من الليل .

{ الصبح } : هو من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

{ جعلنا عاليها } : أي عالى القرية سافلها .

{ من سجيل } : أي من طين متحجر .

{ منضود } : أي منظم واحدة فوق أخرى بانتظام .

{ مسومة } : أي معلمة بعلامة خاصة .

{ عند ربك } : أي معلمة من عند الله تعالى .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن ضيف لوط مع قومه إنه بعد أن اشتد بلوط الخوف وتأسف من عدم القدرة على حماية الضيف الكريم وقال متمنيا لو أنّ لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد . هنا قالت له الملائكة { يا لوط إنا رسل ربك إليك لنُنَجِيّنَّكَ ونهلك قومك لن يصلوا إليك أي بأي سوء أو بأدنى أذى فأسر بأهلك أي فاخرج بهم بقطع من الليل أي بطائفة وجزء من الليل ولا يلتف منكم أحد كراهية أن يرى ما ينزل بالقوم من العذاب فيصيبه كرب من ذلك إلا امرأتك وهي عجوز السوء فخلفها في القرية وإن خرجت دعها تلتفت فإنها مصيبها ما أصابهم . وسأل لوطاً عن موعد نزول العذاب بالقوم فقالوا إن موعدهم الصبح ، وكان لوطُ قد استبطأ الوقت فقالوا له : أليس الصبح بقريب؟ وقوله تعالى : { فلما جآء أمرنا جعلنا عاليها سافلها } أي فلما جاء أمر الله بعذاب القوم أمر جبريل عليه السلام فقلبها على أهلها فجعل عالي القرية سافلها ، وسافلها عاليها وأمطر الله عليهم حجارة من سجيل فمن كان خارج القرية أصابه حجر فأهلكه وقوله تعالى { منضود مسومة } أي مركب بعضها فوق بعض معلمة كل حجر عليها اسم من يرمى به ، وقوله { عند ربك } أي معلمة من عند ربك يا رسول الله ، وما هي من الظالمين ببعيد أي وما تلك القرية الهالك من الظالمين وهم مشركوا العرب ببعيد ، أو وما تلك الحجاة التي أهلك بها قوم لوط ببعيد نزلها بالظالمين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- استحباب السير في الليل لما فيه من البركة بقطع المسافات البعيدة بدون تعب .

2- كراهة التأسف هلاك الظالمين .

3- مظاهر قدرة الله تعالى في قلب أربع مدن في ساعة فكان الأعلى أسفل والأسفل أعلى .

4- وعيد الظالمين في كل زمان ومكان بأشد العقوبات وأفظعها .

(184/2)

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (84) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (85) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (86)

شرح الكلمات :

{ وإلى مدين } : أي أرسلنا إلى مدين إلى أهل مدين .

{ المكيال والميزان } : أي إذا بعتم لأحد فلا تنقصوا المكيال والميزان .

{ عذاب يوم محيط } : أي يحيط بكم من جميع جهاتكم فلا ينجو منه أحد منهم .

{ بالقسط } : أي بالعدل أي بالمساواة والتساوي في البيع والشراء على حد سواء .

{ ولا تبسخوا } : أي لا تنقصوهم حقوقهم التي هي لهم عليكم في الكيل والوزن وفي غير ذلك .

{ ولا تعثوا في الأرض } : أي ولا تعثوا في الأرض بالفساد .

{ وما أنا عليكم بحفيظ } : أي رقيب أراقب وزنكم وكيلكم وإنما أنا واعظ لكم وناصح لا غير .

معنى الآيات :

هذا بداية قصص شعيب عليه السلام مع قومه أهل مدين قال تعالى { وإلى مدين أخاهم شعيبا } أي وأرسلنا إلى قبيلة مدين أخاهم في النسب شعيباً . { قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره } أي وحّدوا الله تعالى ليس لكم إله تعبدونه بحق إلا هو إذ هو ربكم الذي خلقكم ورزقكم ويدبر أمركم . وقوله { ولا تنقصوا المكيال والميزان } أي لا تنقصوا المكيال إذا كلتم لغيركم ، والميزان إذا وزنتم لغيركم . وقوله { إني أراكم بخير } أي في رخاء وسعة من الرزق ، { واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط } إن أصررتم على الشرك والنقص والبخس وهو عذاب يحيط بكم فلا يفلت منك أحد . وقوله { يا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط } أمر بتوفيه المكيال والميزان بالعدل بعد أن نهاهم عن النقص تأكيدا لما نهاهم عنه وليعطف عليه نهيا آخر وهو النهي عن بخس الناس أشياءهم إذ قال { ولا تبسخوا الناس أشياءهم } أي تنقصوه حقوقهم وما هو لهم بحق من سائر الحقوق . ونهاهم عما هو أعم من ذلك فقال { ولا تعثوا في الأرض مفسدين } أي ولا ستعوا في الأرض بالفساد وهو شامل لكل المعاصي والمحرمات . وقوله { بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين } أي وما يبقى لكم بعد توفية الناس حقوقهم خير لكم مما تأخذونه بالنقص ووعده ووعيده وقوله { وما أنا عليكم بحفيظ } أي بمراقب لكم حين تبيعون وتشترون ، ولا بحاسب مُحصرٍ عليكم ظلمكم فأجازيكم به ، وإنما أنا واعظ لكم ناصح ليس غير .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- وحدة دعوة الرسل وهي البداية بتوحيد الله تعالى أولا ثم الأمر والنهي لإكمال الإنسان . وإسعاده بعد نجاته من الخسران .

2- حرمة نقص الكيل والوزن أشد حرمة .

3- وجوب الرضا بالحلال وإن قل ، وسخط الحرام وإن كثر .

4- حرمة بخس الناس حقوقهم كأجور العمال ، وأسعار البضائع ونحو ذلك .

5- حرمة السعي بالفساد في الأرض بأي نوع من الفساد وأعظمه تعطيل شرائع الله تعالى .

(185/2)

قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (87) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88) وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (89) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (90)

شرح الكلمات :

{ أصلاتك } : أي كثرة الصلاة التي تصليها هي التي أثرت على عقلك فأصبحت تأمرنا بما لا ينبغي من ترك عبادة آلهتنا والتصرف في أموالنا .

{ الحليم الرشيد } : أي ذو الحلم والرشد ، والحلم ضد الطيش والرشد ضد السفه ولم يكن قولهم هذا مدحاً له وإنما هو استهزاء به .

{ أن أخالفكم } : أي لا أريد أن أنهاكم عن الشيء لتتركوه ثم أفعله بعدكم .

{ أن أريد إلا الإصلاح } : أي ما أريد الإ الإصلاح لكم .

{ وما توفيقي إلا بالله } : أي وما توفيقي للعمل الإصلاحي والقيامة به إلأ بفضل الله عليّ .

{ وإليه أنيب } : أي ارجع في أمري كله .

{ لا يجرمنكم شقاقي } : أي لا تكسبنكم مخالفتي أن يحل بكم من العذاب ما حل يقوم نوح والأقوام من بعدهم .

{ وما قوم لوط منكم ببعيد } : أي في الزمن والمكان إذ بحيرة لوط قريبة من بلاد مدين التي هي بين معان والأردن .

{ رحيم ودود } : أي رحيم بالمؤمنين ودود محب للمتقين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن شعيب عليه السلام مع قومه أهل مدين إنه لما أمرهم بعبادة الله تعالى وحده ونهاهم نقص الكيل والوزن وبخس الناس أشياءهم والسعي في الأرض بالفساد ، إذ كانوا يكسرون الدراهم وينسرنها

ويقطعون الطريق : فردوا عليه قوله بما أخبر تعالى به عنهم في قوله : { قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء } ؟ إنه بهذا الخطاب ينكرون عليه نهيه لهم عن عبادة الأوثان والأصنام التي كان يعبدها آباؤهم من قبلهم كما ينكرون عليه نهيه لهم عن نقص المكيال والميزان وبخس الناس أشياءهم وأمرهم إياهم بالتزام الحق والعدل في ذلك ، ينكرون عليه نهيه لهم وأمره إياهم وينسبون ذلك إلى كثرة صلاته فهي التي في نظرهم قد أصابته بضعف العقل وقلة الادراك ، وقوله له { إنك لأنت الحليم الرشيد } إنما هو تهكم واستهزاء منهم لا انهم يعتقدون حلم شعيب ورشده وإن كان في الواقع هو كا قالو حليم رشيد إذ الحليم هو الذي لا يحمله الغضب أن يفعل ما لا يفعله في حال الرضا والرشيد خلاف السفيه الذي لا يحسن التصرف في المال وغيره هذا ما تضمنته الآية الأولى (87) وأما الآيات الثلاث بعدها فقد تضمنت رد شعيب عليه السلام على مقالتهم السابقة إذ قال { يا قوم أرأيتم } أي أخبروني { إن كنت عل بيّنة من ربي } أي على برهان وعلم يقيني بألوهيته ومحابه ومساخطه ووعده لأوليائه ووعيده لأعدائه ، ورزقني منه رزقاً حسنا أي حلالا طيبا أخبروني فهل يليق بي أن أتنكر لهذا الحق والخير وأُجَارِيكُمْ على باطلكم . اللهم لا ، وشيء آخر وهو أني ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه فإني لا آمركم بتوفية الكيل والوزن وأنقصها ولا بترك عبادة الأوثان وأعبدها ، ولا أنهاكم عن كسر الدراهم وأكسرها فأكون كمن يأمر بالشيء ولا يفعله ، وينهى عن الشيء ويفعله فيستحق اللوم والعتاب ونزع الثقة منه ، وعدم اعتباره فلا يؤخذ بقوله ولا يعمل برأيه .

(186/2)

وأمر آخر هو أني ما أريد بما أمرتكم به ولا بما نهيتكم عنه إلا الإصلاح لكم ما استطعت ذلك وقدرت عليه . وما توفيقي في ذلك إلا بالله ربّي وربكم عليه توكلت في أمري كله وإليه وحده أنيب أي أقبل بالطاعة وأرجع بالتوبة . ثم ناداهم محذراً إياهم من اللجاج والعناد فقال : ويا قوم لا يجرمنكم أي لا يحملنكم شقاقي أي خلافي على الاستمرار في الكفر والعصيان فيصيبكم عذاب مثل عذاب قوم نوح وهو الغرق أو قوم هود وهو الريح المدمرة أو قوم صالح وهو الصيحة المرجفة { وما قوم لوط منك ببعيد } في الزمن والمكان وقد علمتم ما حل بهم من دمار وخراب . أي لا يحملنكم شقاقي وعداوتي على أن ينزل بكم العذاب ، واستغفروا ربكم مما أنتم عليه من الشرك والمعاصي ، ثم توبوا إليه بالطاعة ، { إن ربّي رحيم } لا يعذب من تاب إليه ودود يحب من أناب إليه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- التعريض القريب يُعطي القذف الصريح .

2- كراهية إتيان الشيء بعد النهي عنه ، وترك الشيء بعد الأمر به والحث عليه .

3- كراهيةاللجاج والعناد لما يمنع من الاعتراف بالحق والالتزام به .

4- وجوب الاستغفار والتوبة من الذنوب .

5- وصف الرب تعالى بالرحمة والمودة .

قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (91) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (92) وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (93) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (94) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (95)

شرح الكلمات :

{ ما نفقه } : أي ما نفهم بدقة كثرا من كلامك .

{ ولولا رهطك } : أي أفراد عشيرتك .

{ وما أنت علينا بعزيز } : أي بقوي ممتنع .

{ ظهرياً } : أي لم تأبهوا به ولم تلتفتوا إليه كالشيء الملقى وراء الظهر .

{ على مكانتكم } : أي على ما أنتم عليه من حال التمكن والقدرة .

{ الصحية } : أي صحية العذاب التي أخذتهم .

{ جاثمين } : أي على ركبهم .

{ كأن لم يغنوا فيها } : أي كأن لم يقيموا بها يوماً .

{ ألا بعداً لمدين } : أي هلاكاً لمدين قوم شعيب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن شعيب وقومه إنه بعد الحوار الذي دار بين شعيب وقومه يقول ويقولون وكان عليه السلام فصيحاً مؤيداً من الله تعالى فيما يقول فأفحمهم وقطع الحجة عليهم لجأوا إلى أسلوب القوة والتهديد بل والشتم والإهانة وكان هذا منهم إيذاناص بقرب ساعة هلاكهم فقالوا فيما قص تعالى عنهم في هذه الآيات { يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول } فق نادوه ليسمع منهم ثم أعلموه أنهم لا يفقهون كثيراً من كلامه مع أنه يخاطبهم بلغتهم ، ولكنه الصلف والكبرياء فإن صاحبها لا يفهم ما يقوله الضعفاء . وقالوا له : وإنا لنراك فينا ضعيفاً وهو احتقار منهم له ، وقالوا : ولولا رهطك لرجمناك أي ولولا وجود جماعة من عشيرتك نحترمهم لرجمناك أي لقتلناك رمياً بالحجارة ، وأخيراً وما أنت علينا بعزيز أي بممتنع لو أردناك . وهنا رد شعيب عليه السلام عليهم بقوله فقال ما أخبر تعالى به عنه { قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريّاً } أي غير مبالين بأمره ولا نهيه كما جعلتموه وراء ظهوركم لا تلتفون إليه ولا تسمعون منه ولا تطيعونه ، يا ويلكم { إن ربّي بما تعملون محيط } أي علمه فأعمالكم معلومة له لا يخفى منها عليه شيء ولسوف يجزيكم بها عاجلا أو آجلا وقابل تهديهم له بمثله فقال لهم { ويا قوم اعملوا علاى مكانتكم } أي على تمكنكم من عملكم { إني عامل } أي على تمكني من العمل الذي أعمله { سوف تعلمون بعد من يأتيه عذاب يخزيه } يذله ويهينه ومن هو كاذب منا فيعذب ويخزى ويذل ويهان أيضا وعليه فارتقبوا يومذاك { وارتقبوا فإني معكم

رقيب } منتظر قال تعالى { ولما جاء أمرنا } أي بالعذاب نجيّنا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا } أي بفضل منا ونعمة من عندنا ، { وأخذت الذين ظلموا } أي بالشرك والعصيان { الصحية } أي صحية العذاب التي ارتجفت لها قلوبهم وانخلعت فبركوا على ركبهم جاثمين هلكي لا يتحركون . قال تعالى في بيان حالهم { كأن لم يغنوا فيها } أي كأن لم يقيموا في تلك الديار ويعمرها زمنا طويلا . ثم لعنهم فقال : { ألا بعداً لمدين } بعداً لها من الرحمة وهلاكاً ، كما بعدت قبلها ثمود وهلكت .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- بيان ما أوتي نبي الله شعيب العربي من فصاحة وبيان حتى قيل فيه خطيب الأنبياء .

2- اشتداد الأزمات مؤذن بقرب انفراجها .

3- بيان فساد عقل من يهتم بتنفيذ أوامر النا سويهمل أوامر الله تعالى ولا يلتفت إليها .

4- فضل انتظار الفرج من الله تعالى وهو الرجاء المأمور به .

5- صدق وعد الله رسله وعدم تخلفّه أبداً .

(188/2)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (96) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (97) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (98) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (99)

شرح الكلمات :

{ موسى } : هو موسى بن عمران كليم الله ورسوله إلى بني اسرائيل .

{ بآياتنا } : هي التسع الآياتِ الذي ذكر أكثرها في آية الأعراف .

{ وسلطان مبين } : أي بحجة قوية على عدو الله فرعون فهزمه بها .

{ وملئه } : أي أشرف رجال دولة فرعون .

{ وما أمر فرعون برشيد } : أي بذي رشد بل هو السفه كله .

{ يقدم قومه } : أي تقدمهم إلى النار فأوردهم النار .

{ بئس الورد المورود } : أي قبح وساء ورداً يورد النار .

{ وأتبعوا في هذه لعنة } : أي ألحقتهم في دار الدنيا لعنة وهي غرقهم .

{ بئس الرفد المرفود } : أي قبح الرفد الذي هو العطاء المرفود به أي المعطى لهم . والمرا لعنة الدنيا ولعنة الآخرة .

معنى الآيات :

هذه لمحة خاطفة لقصة موسى عليه السلام مع فرعون تصمنتها أربع آيات قصار قال تعالى { ولقد أرسلنا موسى } أي بعد إرسالنا شعيباً إلى أهل مدين أرسلنا موسى بن عمران مصحوباً بآياتنا الدالة على إرسالنا له وصدق ما يدعوا إليه

ويطالبه به وسلطان مبين أي أي وحجة قوية ظاهرة على وجوب توحيد الله تعالى وبطلان أولوهية من عداه كفرعون عليه لعائن الله { إذ قال ما علمت لكم من إله غيري } وقوله تعالى { إلى فرعون وملئه } أرسلناه بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وأشراف جنده وزعُماء دولته فأمرهم موسى باتباع الحق وترك الباطل فأبوا واتبعوا أمر فرعون فأَلهم . { وما أمر فرعون برشيد } حتى يهدي إلى الفلاح من اتبعه . قال تعالى { يقدم قومه يوم القيامة } أي يتقدمهم إلى النار فيوردهم حياضها { وبئس الورد المورود } أي نار جهنم قوله تعالى { واتبعوا في هذه لعنة } أي فرعون وقومه لعنوا في الدنيا ، ويوم القيامة يلعنون أيضا { فبئس الرفد المرفود } وهما لعنة الدنيا ولعنة الآخرة ، والرفد العون والعطاء والمرفود به هو المعان به والمعطى لمن يرفد من الناس .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- من كتب الله شقاءه لا يؤمن بالآيات بل يردها ويكذب بها حتى يهلك .

2- قوة الحجج وكثرة البراهين لا تستلزم إذعان الناس وإيمانهم .

3- التحذير من اتباع رؤساء الشر وأئمة الفساد والضلال .

4- ذم موارد الباطل والشر والفساد .

5- شر المعذبين من جمع له بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

(189/2)

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (100) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (101) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (102)

شرح الكلمات :

{ ذلك } : الإشارة إلى قصص الأنبياء الذي تقدم في السورة .

{ من أنباء القرى } : أي أخبار أهل القرى قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وقوم لوط وأصحاب مدين وفرعون .

{ منها قائم وحصيد } : منها مدن بقيت آثارها كمدائن صالح ، ومنها مدن لم يبق منها شيء كديار عاد .

{ التي يدعون } : أي يعبدونها بالدعاء وغيره كالذبح لها والنذور والحلف بها .

{ غير تتبيت } : أي تخسير وهلاك .

{ إذا أخذ القرى } : أي عاقبها بذنوبها .

{ أليم شديد } : أي موجع شديد الإيجاع .

معنى الآيات :

لما قص تعالى على رسوله في هذه السورة ما قص من أخبار الأمم السابقة خاطبه قائلا { ذلك } أي ما تقدم في السياق

{ من أنباء القرى } أي أهلها نقصه عليك تقريراً لنبوتك وإثباتاً لرسالتك وتثبيتاً لفؤادك وتسلية لك . وقوله تعالى { منها قائم وحصيد } أي ومن تلك القرى البائدة منها آثار قائمة من جدران وأطلال ، ومنها ما هو كالحصيد ليس فيه قائم ولا شاخص لاندراسها وذهاب آثارها . وقوله تعالى { وما ظلمناهم } بإهلاكنا إياهم ولكن هم ظلموا أنفسهم بالشر والمعاصي والمجاحدة لآياتنا والمكابرة لرسولنا . وقوله تعالى { فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون . من دون الله من شيء } أي لم تغن عنهم أصنامهم التي اتخذوها آلهة عبدوها بأنواع العبادات من دعاء ونذر وذبح وتعظيم إذ لم تغن عنهم شيئاً من الإغناء { لما داء أمر ربك } بعذابهم { وما زادوهم غير تتبيت } أي تخسير ودمار وهلاك . ثم في الآية الأخيرة قال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم { وكذلك أخذ ربك } أي وكذلك الأخذ المذكور أخذ ربك { أذا أخذه أليم شديد } أي ذو وجع شديد لا يطاق فهل يعتبر المشركون والكافرون والظالمون اليوم فيترك المشركون شركهم والكافرون كفرهم والظالمون ظلمهم قبل أن يأخذهم الله كما أخذ من قبلهم؟ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونشر رسالته وتسليته بما بقص الله عليه من أنباء السابقين .

2- تنزه الله تعالى عن الظلم في أهلاك أهل الشرك والمعاصي .

3- آلهة المشركين لم تغن عنهم عند حلول النقمة بهم شيئا .

4- التنديد بالظلم وسوء عاقبة الظالمين .

(190/2)

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (103) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (104) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (105) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (107) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (108) فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (109)

شرح الكلمات :

{ لآية } : أي علامة على أن الذي عذّب في الدنيا قادر على أن يعذب في الآخرة .

{ يوم مشهود } : أي يشهد جميع الخلائق وهو يوم القيامة .

{ إلا لأجل معدود } : أي أجل الدنيا المعدود الأيام والساعات .

{ إلا بإذنه } : أي إلا بإذن الله تعالى .

{ شقي وسعيد } : أي فمن أهل الموقف من هو شقي أزلاً وسيدخل النار ، ومنهم سعيد أزلاً وسيدخل الجنة .

{ زفير وشهيق } : أي صوت شديد وهو الزفير وصوت ضعيف وهو الشهيق .

{ عطاء غير مجذوذ } : أي غير مقطوع بل هو دائم أبداً .

{ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء } : أي في شك من بطلان عبادة هؤلاء المشركين .

{ نصيبهم غير منقوص } : ما قدر لهم من خير أو شر رحمة أو عذاب .

معنى الآيات :

قوله تعالى { إن في ذلك لآية } أي إن في أخذ الله تعالى للأمم الظالمة وتعذيبها بأشد أنواع العذاب آية أي علامة واضحة على أن من عذّب في الدنيا قادر على أن يعذب في الآخرة فالمؤمنون بلقاء الله تعالى يجدون فيما أخبر تعالى به من إهلاك الأمم الظالمة آية هي عبرة لهم فيواصلون تقواهم لله تعالى حتى يلاقوه وهم به مؤمنون ولأوامره ونواهيه مطيعون . وقوله تعالى { ذلك يوم مجموع له الناس ولذلك يوم مشهود } أي ذلك الذي فيه عذاب الآخرة هو يوم القيامة حيث يجمع فيه الناس لفصل القضاء روذلك يوم مشهود } إذا تشهده الخلائق كلها وقوله تعالى { وما نؤخره إلا لأجل معدود } أي وما يؤخر يوم القيامة إلا لإكمال عمر الدنيا المعدود السنين والأيام بل والساعات . وقوله تعالى { يوم يأتي } أي يوم القيامة { لا تكلّم نفس إلا بإذنه } أي بإذن الله تعالى وقوله { فمنهم شقي وسعيد } أي والناس فيه ما بين شقي وسعيد ، وذلك عائد إلى ما كتب لكل إنسان من شقاوة أو سعادة في كتاب المقادير ، أولاً ، ولما كسبوا من خير وشر ثانياً . وقوله تعالى { فأما الذين شقوا } أي في حكم الله وقضائه ففي النار لهم فيها زفير وهو صوت شديد وشهيق وهو صوت ضعيف والصوتان متلازمان إذ هما كأول النهيق وآخره عند الحمار . وقوله تعالى { خالدين فيها } أي في النار { ما دامت السموات والأرض } أي مدة دوامهما ، وقوله { إلا ما شاء ربك } أن لا يخلد فيها وهم أهل التوحيد ممن ماتوا على كبائر الذنوب . وقوله تعالى { إن ربك فعال لما يريد } أي إن ربك أيها الإنسان فعال لما يريد إذا أرد شيئا فعله لا يحل بينه وبين فعله . وقوله { وأما الذين سعدوا } أي حكم الله تعالى بسعادتهم } لما وفقهم الله من الإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي { ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء رَبُّك } إذ إرادة الله مطلقة لا تحد إلا بمشيئته العليا وقوله { عطاء غير مجذوذ } أي عطاء من ربك لأه لطاعته غير مقطوع أبداً وهذا دليل خلودهم فيها أبدا .

(191/2)

وقوله تعالى { فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء } هو خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاه ربه تعالى أن يشك في بطلان عبادة المشركين أصنامهم فإنهم لا دليل لهم على صحة عبادتها وإنما هم مقلدون لآبائهم يعبدون ما كانوا يعبدون من الأصنام والأوثان وقوله تعالى { وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص } يخبر تعالى انه موفي المشركين ما كتب لهم من خير وشر أو رحمة وعذاب توفية كاملة لا نقص فيها بحال .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- فضل وفضيلة الإيمان بالآخرة .

2- حتمية البعث الآخر وأنه لا شك فيه .

3- الشقاوة والسعادة مضى بهما القضاء والقدر قبل وجود الأشقياء والسعداء .

4- عجز كل نفس عن الكلام يوم القيامة حتى يؤذن لها به .

5- إرادة الله مطلقة ، لو شاء أن يخرج أهل النار لأخرجهم منها ولو شاء أن يخرج أهل الجنة لأخرجهم إلا أنه حكم بما أخبر به وهو العزيز الحكيم .

(192/2)

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (110) وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (111) فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112) وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (113)

شرح الكلمات :

{ الكتاب } : أي التوراة .

{ ولولا كلمة سبقت } : أي لولا ما جرى به قلم القدر من تأخير الحساب والجزاء إلى يوم القيامة .

{ لفي شك منه مريب } : أي موقع في الريب الذي هو اضطراب النفس وقلقها .

{ فاسقتم كما أمرت } : أي على الأمر والنهي كما أمرك ربك بدون تقصير .

{ ولا تطغوا } : أي لا تجاوزا حدود الله .

{ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا } : أي لا تميلوا إليهم بموادة أو رضا بأعمالهم .

{ فتمسكم النار } : أي تصيبكم ولازم ذلك دخولها .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على الصبر والثبات وهو يبلغ دعوة الله تعالى ويدعو إلى توحيده مواجها صلف المشركين وعنادهم فيقول له . { ولقد آتينا موسى الكتاب } أي التوراة كما أنزلنا عليك القرآن . فاختلفت اليهود في التوراة فمنهم من آمن بها ومنهم من كفر كا اختلف قومك في القرآن فمنهم من آمن به ومنهممنكفر إذاً فلا تحزن . وقوله تعالى { ولولا كلمة سبقت من ربك } وهي تأخير الجزاء على الأعمال في الدنيا إلى القيامة { لقضي بينهم } فنجى المؤمنين وأهلك الكافرين . وقوله تعالى { وإنهم لفش شك منه مريب } وإن قومك من مشركي العرب لفي شك من القرآن هل هو وحي الله وكلامه أو هو غير ذلك مريب أن موقع في الريب الذي هو شك مع اضطراب النفس وقلقها وحيرتها وقوله تعالى { وإن كلاّ لما ليوفينهم ربك أعمالهم } أي وإن كل واحد من العباد مؤمناً كان أو كافراً باراً أو فاجراً ليوفينّه جزاء عمله يوم القيامة ولا ينقصه من عمله شيئاً وقوله { إنه بما يعملون خبير } لما أخبر به من الجزاء العادل إذ العلم بالعمل الخبرة التامة به لا بد منهما للتوفية العادلة . وقوله تعالى { فاستقم كما أمرت ومن تاب معك } أي بناء على ذلك فاستقم كما أمرك ربك في كتابه فاعتقد الحق واعمل الصالح واترك الباطل ولا تعمل الطالح أنت ومن معك من المؤمنين ليكون جزاؤكم خير جزاء يوم الحساب والجزاء . وقوله { ولا تطغوا } أي

لا تتجاوزوا ما حد لكم في الاعتقاد والقول والعمل وقوله { إنه بما تعملون بصير } تحذير لهم من الطغيان الذي نهوا عنه ، وتهديد لمن طغى فتجاوز منهج الاعتدال المأمور بالتزامه . وقوله تعالى { ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار } أي لا تميلوا إلى المشركين بمداهنتهم أو الرضا بشركهم فتكونوا مثلهم فتدخلوا النار مثلهم فتمسكم النار كما مستهم ، وقوله تعالى { وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون } أي إن أنتم ركنتم إلى الذين ظلموا بالشرك بربهم فكنتم في النار مثلهم فإنكم لا تجدون من دون الله وليّاً يتولى أمر الدفاع عنكم ليخرجكم من النار ثم لا تنصرون بحال من الأحوال ، وهذا التحذير وإن وجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ابتداء فإن المقصود به أمته إذ هي التي يمكنها فعل ذلك أما الرسول صلى الله عليه وسلم فهو معصوم من أقل من الشرك فكيف بالشرك .

(193/2)

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والتخفيف عنه مما يجده من جحود الكافرين .

2- بيان سبب تأخر العذاب في الدنيا ، وهو أن الجزاء في الآخرة لا في الدنيا .

3- الجزاء الأخروي حتمي لا يتخلف أبداً إذ به حكم الحق عز وجل .

4- وجوب الاستقامة على دين الله تعالى عقيدة وعبادة وحكماً وأدباً .

5- حرمة الغلو وتجاوز ما حد الله تعالى في شرعه .

6- حرمة مداهنة المشركين أو الرضا بهم أو بعملهم ، لأن الرضا بالكفر كفر .

(194/2)

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (115)

شرح الكلمات :

{ وأقم الصلاة } : أي صل الصلاة المفروضة .

{ طرفي النهار } : أي الصبح ، وهي في الطرف الأول ، والظهر والعصر وهما في الطرف الثاني .

{ وزلفاً من الليل } : أي ساعات الليل والمراد صلاة المغرب وصلاة العشاء .

{ إن الحسنات يذهبن السيئات } : أي حسنات الصلوات الخمس يذهبن صغائر الذنوب التي تقع بينهن .

{ ذلك ذكرى للذاكرين } : أي ذلك المذكور من قوله وأقم الصلاة عظة للمتعظين .

{ المحسنين } : أي الذين يحسنون نياتهم وأقوالهم وأعمالهم بالإخلاص فيها لله وأدائها على نحو ما شرع الله وبين

رسول الله صلى الله عليه وسلم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وهدايتهم إلى ما فيه كمالهم وسعادتهم فقال تعالى { وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل } أقمها في هذه الأوقات الخمس وهي الصبح والظهر والعصر المغرب والعشاء ، ومعنى أقمها أدها على الوجه الأكمل لأدائها ، فيكون ذلك الاداء حسنات يمحو الله تعالى بها السيئات ، وقوله تعالى { ذلك } أي المأمور به وما يترتب عليه { ذكرى } أي عظة { للذاكرين } أي المتعظين وقوله { واصبر } أي على الطاعات فعلاً وتركاً وعلى أذي المشركين ولا تجزع { فإن الله لا يضيع أجر المحسنين } أي جزاءهم يوم القيامة ، والمحسنون هم الذين يخلصون أعمالهم لله تعالى ويؤدونها على الوجه الأكمل في أدائها فتنتج لهم الحسنات التي يذهب الله بها السيئات .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

1- بيان أوقات الصلوات الخمس إذ طرفي النهار هما الصبح وفيها صلاة الصبح والعشيّ .

وفيها صلاة الظهر والعصر كما أن زلفاً من الليل هي ساعاته فيها صلاة المغرب والعشاء .

2- بيان سنة الله تعالى في أن الحسنة تمحو السيئة وفي الحديث « الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينها ما لم تغش الكبائر » .

3- وجوب الصبر والإحسان وأنهما من أفضل الأعمال .

(195/2)

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (116) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (117) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)

شرح الكلمات :

{ فلولا } : لولا كلمة تفيد الحض على الفعل والحث عليه .

{ من القرون } : أي أهل القرون والقرن مائة سنة .

{ أولو بقية } : أي أصحاب بقيّة أي دين وفضل .

{ ما أترفوا فيه } : أي ما نعموا فيه من طعام وشراب ولباس ومتع .

{ وكانوا مجرمين } : أي لأنفسهم بارتكاب المعاصي ولغيرهم بحملهم على ذلك .

{ بظلم } : أي منه لها بدون ما ذنب اقترفته .

{ أمة واحدة } : أي على دين واحد وهو الإسلام .

{ ولذلك خلقهم } : أي خلق أهل الأختلاف للاختلاف وأهل الرحمة للرحمة .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله { فلولا كان من القرون } من قبلكم أيها الرسول والمؤمنون { أولو بقيّة } من فهم وعقل وفضل ودلين ينهون عن الشرك والتكذيب والمعاصي أي فهلاّ كان ذلك إنه لم يكن اللهم إلا قليلا ممن أنجى الله تعالى من اتباع الرسل عند إهلاك أممهم وقوله تعالى { واتبع الذين ظلموا ما أُترفوا فيه وكانوا مجرمين } أي لم يكن بينهم أولو بقيّة ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجى الله وما عداهم كانوا ظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصي متبعين ما اترفوا فيه من ملاذ الحياة الدنيا وبذلك كانوا مجرمين فأهلكهم الله تعالى ونجى رسوله والمؤمنين كما تقدم ذكره في قصة نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام . وقوله تعالى { وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون } أي لم يكن من شأن ربّك أيها الرسول أن يهلك القرى بظلم من هو وأهلها مصلحون ، ولكن يهلكهم بسبب ظلمهم لأنفسهم بالشرك والتكذيب والمعاصي . وما تضمنته هذه الآية هو بيان لسنة الله تعالى في إهلاك الأمم السابقة ممن قص تعالى أنباءهم في هذه السورة . وقوله تعالى { ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة } أي على الإسلام بأن خلق الهداية في قلوبهم وصرف عنهم الموانع ، ولما لم يشأ ذلك لا يزالون مختلفين على أديان شتى من يهودية ونصرانية ومجوسيةوأهل الدين الواحد يختلفون إلى طوائف ومذاهب مختلفة وقوله { إلا من رحم ربك } أيها الرسول ولا خلاف بينهم دينهم واحد وأمرهم واحد ، وقوله { ولذلك خلقهم } أي وعلى ذلك خلقهم فمنهم كافر ومنهم مؤمن ، والكافر شقي والمؤمن سعيد ، وقوله { وتمت كلمة } أي حقت ووجبت وهي { لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين } ولذا كان اختلاقهم مُهيّئاً لهم لدخول جهنم حيث قضى الله تعالى بامتلاء جهنم من الجن والإنس أجمعين فهو أمر لا بد كائن .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- ما يزال الناس بخير ما وجد بينهم أولو الفضل والخير يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن الفساد والشر .

2- الترف كثيرا ما يقود إلى الاجرام على النفس باتباع الشهوات وترك الصالحات .

3- متى كان أهل القرى صالحين فيهم آمنون من كل المخاوف .

4- الاتفاق رحمة والخلاف عذاب .

(196/2)

وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (120) وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (121) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (122) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)

شرح الكلمات :

{ وكلاّ نقص } : أي وكل ما تحتاج إليه من أنباء الرسل نقصه عليك تثبيتاً لفؤادك .

{ ما نثبت به فؤادك } : أي نقص عليك من القصص ما نثبت به قلبك لتصبر على دعوتنا وتبليغها .

{ وجاءك في هذه الحق } : أي في هذه السورة الحق الثابت من الله تعالى كما جاءك في غيرها .

{ وموعظة وذكرى } : أي وجاءك فيها موعظة وذكرى للمؤمنين إذ هم المنتفعون بها .

{ ولله غيب السموات والأرض } : أي ما غاب علمه فيهما فالله يعلمه وحده وليس لغيره فيه علم .

{ فاعبده } : أي وَحِّدْهُ في العباده ولا تشرك به شيئا .

{ وتوكل عليه } : أي فوض أمرك إليه وثق تمام الثقة فيه فإِنه يكفيك .

معنى الآيات :

لما قص تعالى على رسوله في هذه السورة الشريفة ما قصه من أنباء الرسل مع أممهم مبيّناً ما لاقت الرسل من أفراد أممهم من تكذيب وعناد ومجاحدة وكيف صبرت الرسل حتى جاءها النصر أخبر تعالى رسوله بقوله { وكلاّ نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك } أي ونقص عليك كل ما تحتاج إليه في تدعيم موقفك وقوة عزيمتك من أنباء الرسل أ] من اخبارها مع أممها الشيء الذي نثبت به قلبك حتى تواصل دعوتك وتبلغ رسالتك . وقوله { وجاءك في هذه } أي السورة الحق من الأخبار كما جاءك في غيرها { وموعظة } لك تعظ بها غيرك ، { وذكرى } يتذكر بها المؤمنون فيثبتون على الحق ويصبرون على الطاعة والبلاء فلا يجزعوا ولا يملوا ، وقوله { وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون } أي وقل يا رسولنا للذين لا يؤمنون من قومك ممن هم مصرون على التكذيب والشرك والعصيان اعملوا على حالكم وما أنتم متمكنون منه إنا عاملون على حالنا كذلك ،

وانتظروا أيّنا ينتصرة في النهاية أو ينكسر . وقوله ولله غيب السموات والأرض فهو وحده يعلم متى يجيء النصر ومتى تحق الهزيمة . وإليه يرجع الأمر كله أمر الانتصار والانكسار كأمر الهداية والاضلال والإِسعاد والاشقاء ، وعليه فاعبده يا رسولنا وحده وتوكل عليه وحده ، فإِنه كافيك كل ما يهمك من الدنيا والآخرة ، وما ربك بغافل عما تعملون أيها الناس وسيجزي كلاّ بما عمل من خَيْرٍ أو غيرٍ وهو على كل شيء قدير .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

1- بيان فائدة القصص القرآني وهي أمور منها :

أ) تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم .

ب) إيجاد مواعظ وعبر للمؤمنين .

ج) تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم .

2- علم الغيب لله وحده لا يعلمه غيره .

3- مرد الأمور كلها لله بداءاً وعوداً ونهاية .

4- وجوب عبادة الله تعالى والتوكل عليه .